



المكتبة الأفريقية

حركة اللغة العربية وآدابها

فانيجيريا

من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦ م

دكتور شيخو أحمد سعيد غلارنت

رئيس جامعة صكتو - نيجيريا



دار المعارف

مكتبة الممتدين الإسلامية

فهرس الموضوعات

صفحة

٧ الكتاب ومؤلفه
١١ المقدمة

تمهيد

الإسلام واللغة العربية جنوب الصحراء الكبرى

١٧ ١- أولية العربية في برى إفريقيا
٢١ ٢- دخول الإسلام في برى إفريقيا
٢٨ ٣- دخول الإسلام إلى نيجريا
٣٤ ٤- تقسيم حركة اللغة العربية وآدابها حسب الفترات التاريخية



٥٥ الفصل الأول : أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية
٦٠ الفصل الثاني : الشيخ عثمان بن فودى وثورته الإصلاحية



الباب الثاني

اللغة العربية في نيجيريا

٧٠	الفصل الأول : اللغة العربية في مملكة البنو وولايات الهوسا
٨١	الفصل الثاني : اللغة العربية في دولة سكتو
٨٩	الفصل الثالث : اللغة العربية في نيجيريا خلال فترة الاستعمار البريطاني
١٠٧	الفصل الرابع : اللغة العربية بعد الاستقلال

الباب الثالث

الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر

١٢٦	الفصل الأول : الشعر
١٢٧	المدح
١٣٨	الرثاء
١٤٢	شعر الجهاد
١٥١	الشعر التعليمي
١٥٩	الفصل الثاني : النثر
١٦١	النثر التعليمي
١٦٥	النثر الديواني

الباب الرابع

الأدب العربي النيجيري في القرن العشرين

١٧٩	الشعر :	الفصل الأول
١٨٠	الممدح	
١٨٤	الرثاء	
١٨٦	الوصف	
١٩١	الشكوى والحنين	
٢٠١	الغزل	
٢٠٤	شعر المناسبات الاجتماعية والقومية	
٢٠٨	الشعر التعليمي	
٢١٢	شعر الدعوات والتوسلات	
٢١٣	شعر الدعابة	
٢١٦	النثر :	الفصل الثاني
٢١٦	النثر التعليمي	
٢٢٢	النثر الديواني	
٢٢٤	النثر الفني	
٢٢٨	بعض خصائص اللغة العربية في نيجيريا	الفصل الثالث
٢٢٨	في الخط	
٢٢٩	في النطق	
٢٣٥	في التركيب واستعمال اللغة	
٢٣٩	في الشعر	

الباب الخامس

اللغة العربية في الجامعات والمعاهد العليا

٢٤٥	الفصل الأول : البعثات التعليمية النيجيرية لدراسة اللغة وآدابها
٢٦٢	الفصل الثاني : اللغة العربية في الجامعات النيجيرية
٢٨٥	الخاتمة

الملاحق

٢٩٣	الملحق الأول : تقرير لجنة التعليم الإسلامى العالى
٣٠٨	الملحق الثاني : طائفة من القصائد
٣٢١	الملحق الثالث : رسالة الوزير محمد البخارى
٣٢٧	الملحق الرابع : خريطة
٣٢٩	المراجع : أولاً : المخطوطات
٣٣٢	ثانياً : المطبوعات
٣٣٦	ثالثاً : المراجع الإنجليزية
٣٣٨	ملخص باللغة الإنجليزية

الكتاب ومؤلفه

للأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي

رئيس قسم الأدب - كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

عرفت الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنت عن قرب ، خلال إعداده لرسالة الدكتوراه في الأدب العربي بإشرافى فى كلية دار العلوم ، فرأيت فيه النموذج العالى للمسلم التى ، والعالم المتواضع ، والدأرس المنهجى ، والطالب الدءوب ، لايملّ البحث عن الحقيقة حتى يبلغها ، وقد أخذ لذلك كله عدته كاملة : ثقافة عربية وإسلامية واسعة ، ومعرفة عميقة بتاريخ وطنه وتراثه ، واتصال جيد بالثقافات العالمية ، والإنجليزية من بينها بخاصة ، فجاء كتابه خلاصة هذه الروافد ، وثمره هذه المعارف .

أما الكتاب وهو عن « حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا » فليست بمحدث عنه بأكثر مما يتحدث عن نفسه ، فى أصالة موضوعه ، ولم يعرض له أحد من قبل فيما أعلم ، وفى أهمية القضية التى يتناولها ، وبجسبك أن تعرف بدءاً أنه يقدم لنا صفحات منيرة ، لتاريخ أمة عريقة ، على امتداد القرن التاسع عشر كله ، وحتى العقد السابع من القرن العشرين ، وبهذا يصل بين أبناء الأمة الواحدة ماكان متصلا من قبل ، ثم أتى عليه الاستعمار يصل بين أبناء أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

ويكشف الكتاب عن حقائق عظيمة حاول الاستعمار - وكان يحكم هنا وهناك - أن يلقى عليها ظلاً كثيراً من النسيان ، وهى أن نيجيريا ، كغيرها من الشعوب الإسلامية

عرفت في القرن التاسع عشر الميلادي مصلحاً عظيماً ومجدداً كبيراً ، وداعية مستنيراً من بين بنينا ، وأعنى به : الشيخ عثمان بن فودي ، فكان لها معه ما كان لمصر مع الإمامين جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وما للجزيرة العربية مع محمد بن عبد الوهاب ، وماللسودان مع المهدي ، ومالليبيا مع السنوسي ، وفاق هؤلاء جميعاً في أنه نجح في دعوته عملياً ، فأقام دولة ونظّم حكومة ، وجعل من الإسلام شريعة وقانوناً ، ومن العربية لغة الدولة والأدب والثقافة ، بها يجرى التدريس ، وفيها تكتب الوثائق ، ويتم التقاضي ، وأزهرت عدداً لا بأس به من الفقهاء والكتاب والشعراء ، ويعرض الكتاب الذي نحن بصدده لجانب منهم .

يتماز كتاب الدكتور شيخو بالمنهجية الصارمة ، والعلمية الدقيقة . في تناول القضايا ، لا يندفع ولا يتردد ، لا يجأ ولا يظلم ، لا ينتقص ولا يبالغ ، في لغة علمية رقيقة وعذبة ، خالية من الحشو والإطناب ، بريئة من الصناعة والزخرفة ، وحسّ نقديّ مرهف في تناول الشعر ، وتحليل القصائد ، والوصول إلى النتائج .

ويصحبك ، خلال الحديث عن شعراء العربية في نيجيريا ، في رحلة تاريخية ممتعة ، عن الإسلام في نيجيريا : متى وكيف أخذ طريقه إليها ، وعن اللغة العربية فيها : خصائصها نطقاً ودلالة وتركيباً ، وطرق تعليمها ، ونثرها وطبقاته ، وشعرها وماتناول من أغراض .

وتلمس أن العربية تعرضت هناك تحت الحكم الأجنبي ، لنفس ماتعرضت له هنا في مصر ، وفي شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي ، في الظروف والملابسات ذاتها ، وأنها قاومت ، وصمدت ، ثم نهضت ، وأخذت تسلك طريقها صعداً ، ولها من حاسة المسلمين ، وغيره شبابهم ، ماهو كفيّل بأن يردها إلى أمسها الزاهر ، بل يدفع بها إلى تجاوزه ، لتكون في مستوى الواقع الجديد وما يتطلبه ، فتحسن التعبير عن اهتماماته ، وهمومه ، وقضاياه .

ونيجيريا مدعوةً لأن تلعب دورها في اليقظة الإسلامية والإفريقية ، بما لها من إمكانات هائلة: تعداد سكانيّ ، ومساحة أرضٍ ، ووفرةٍ خيرٍ ، ويعلّق عليها المسلمون الطيبون في مصر وخارجها أملاً كبيراً وعزيراً ، في تنشيط حركة الإسلام في وسط إفريقية وغربها ، والدّود عنه ، وردّ الغارة عليه ، وفي بعث الأدب العربي والثقافة الإسلامية .

لقد وحدّ بيننا الإسلام ، وجمعت بيننا الإفريقية ، وقاربت بيننا آلام الماضي ، وكانت قاسيةً ، وآمال المستقبل ونأمل أن يكون عظيماً ، ويؤكد العلم بيننا أواصر القرّبي ، وهو رَجِمٌ بين أهله ، كما كان شيوخنا القدامى يقولون .

ولسوف يسعدنا دائماً أن نلتقي في مصر بشباب نيجيريا ، يدرسون معنا ، ويعمّقون معارفهم بيننا وأخيراً ، وقد عرفت منهم عدداً لا بأس به ، تبقى لهم شهادة في عنقٍ : إن الذين جاءوا منهم إلى هنا كانوا مثلاً علياً في الأدب والخلق والتخصّر ، والمثابرة والجد والإخلاص ، وهم جديرون بكل تقدير وإعجاب .

وفي انتظار المزيد من أبحاث ودراسات صديقنا العالم الدكتور شيخو أحمد سعيد ، وسيلمس أكيداً بعد قليل ، مالكتابه هذا من أثر حسن في نفوس القارئ ، وقوى في تعميق الصلة بين المسلمين .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

اللغة العربية وآدابها لها أهمية كبيرة في نيجيريا ، ولها تاريخ قديم . وكانت - ولا تزال - منتشرة في المدارس والمعاهد العليا . إلا أن طريقة تعليمها لا تخلو من مشكلات وصعوبات يكابدها كل من المعلم والمتعلم ، وأعتقد أن تذييل تلك الصعوبات غير ممكن إلا بعد دراسة وافية لحركة هذه اللغة وآدابها في نيجيريا ، والوقوف على الدور الخطير الذي قامت به هذه اللغة في الماضي ، ومدى أثرها في الحياة العلمية والدينية والاجتماعية .

وقد اخترت هذا الموضوع « حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا » رجاء أن يكون هذا البحث بداية تمهد الطريق أمام الباحثين ودارسي هذه اللغة في نيجيريا ، ولغيرهم من الباحثين في الأقطار العربية والعالم العربي ، لكي يسهموا في هذا المجال ، منقبين عن هذا التراث ، أو جامعين لآثاره ، أو دارسين لظواهره . فالميدان واسع والمادة وفيرة وما زال الكثير منها مخطوطاً محفوظاً في دور المحفوظات وفي مكتبات الجامعات والمكتبات الخاصة .

لقد توفر عدد من الباحثين قبل ذلك على دراسة مواضيع تاريخية ، كما قام البعض الآخر ببحوث عاجلوا فيها مسائل تدور حول اللغة العربية في نيجيريا أو حول أديها ، لاعن اللغة نفسها أو عن الأدب ذاته . وقد ترجم البعض قليلا من المؤلفات العربية إلى اللغة الإنجليزية أو إحدى اللغات المحلية . وأول من قام ببحث في هذا الميدان هو

الدكتور على أبو بكر في رسالة له كان موضوعها : « الثقافة العربية في نيجيريا » . وقد ذكر فيها عدداً من العلماء والأدباء وأورد نماذج من إنتاجهم النثرى والشعري . ولكنه ركز على الجانب المتصل بالثقافة الإسلامية كانتشار الإسلام ودور الطرق الصوفية وذكر المعاهد الدينية ، وعلى تأثير اللغة العربية في لغتى الهوسا والفلانبة بإفاضة . على حين تناولت في دراستى هذه الجانب المتصل باللغة العربية في انتشارها وتحركها ، وبالأدب العربى في فنونه ورجاله .

وفى تواضع أزعم أن دراستى هى الأولى فى هذا المجال ، ومن هنا آثرت أن أعطى صورة كاملة للجوانب المختلفة للأدب العربى فى نيجيريا ، برغم اقتناعى بأن عدداً من الظواهر يمكن أن يكون وحده دراسة مستقلة فى المستقبل مثل شعر الحرب أو شعر المديح أو شعر الصوفية . وكلها تتطلب عكوفاً زائداً على جمع المخطوطات وتصنيفها وترتيبها واستخراج النتائج منها .

وقد تضمنت الرسالة دراسة تمهيدية عن الإسلام واللغة العربية جنوب الصحراء الكبرى وخمسة أبواب جاءت على الوجه التالى :

الباب الأول : دور الإسلام فى نشر اللغة العربية

الباب الثانى : اللغة العربية فى نيجيريا .

الباب الثالث : الأدب العربى النيجيرى فى القرن التاسع عشر .

الباب الرابع : الأدب العربى النيجيرى فى القرن العشرين .

الباب الخامس : اللغة العربية فى الجامعات والمعاهد العليا .

والخاتمة عن النتائج التى انتهت إليها والمقترحات التى أراها ضرورة لازدهار الأدب العربى فى نيجيريا وتطوره وتقديمه .

وقد ألحقت نص تقرير لجنة التعليم الإسلامى العالى سنة ١٩٥٣ مترجماً من اللغة الإنجليزية كوثيقة هامة ، استفدت منها واعتمدت عليها .

كذلك ألحقت بعضاً من القصائد المطولة ، ذات القيمة الأدبية والفنية والتي استشهدت بها ، ولأنها مخطوطة لما تنشر آثرت أن أضعها بين يدي قارئى هذا البحث كاملة ليكون تصورهم لشكل القصيدة العربية في نيجيريا كاملا .

كذلك رأيت من المفيد جداً أن ألحق نص الرسالة التي وجهها الوزير محمد البخارى إلى « أهل العلم والتدبير » في نيجيريا إثر ما جرى بينه وبين الإنجليز من الصلح ، لتعطى صورة واضحة لما وصل إليه النثر الديوانى العربى في نيجيريا في مطلع هذا القرن .

ولما كان الكثير من البلاد والمواضع التي ترد في هذا الكتاب جديدة على سمع القارئ العربى ألحقت مصورا يضم معظم هذه البلاد إن لم يكن كلها . وأما المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث فكثيرة ، وقد أوردتها مفصلة في آخر الكتاب . وأكثرها مخطوط . ولقد قمت بتصوير جلها ، وهو مجموعة كبيرة أملكها وموجودة الآن لدى .

تمهيد

الإسلام واللغة العربية جنوب الصحراء الكبرى

- ١ - أولية اللغة العربية في غربي إفريقيا .
- ٢ - دخول الإسلام إلى غربي إفريقيا .
- ٣ - دخول الإسلام إلى نيجيريا .
- ٤ - تقسيم حركة اللغة العربية وآدابها حسب الفترات التاريخية .

١ - أولية اللغة العربية في غربي إفريقيا

من المعروف أن هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب^(١) وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي ، أى قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية . وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل ، كانت تبدأ من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة إلى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسية في غربي إفريقيا ، مثل غانة القديمة ، وإلى تمبكو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها . وقد تصل بعض هذه الطرق في الصحراء ثم تتفرع وتتجه إلى جهات مختلفة ، فثلا القافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولاً صوب المغرب إلى أوجلة ومرزوق ، وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس ، فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كانم (برنو) بواسطة بلما ، في حين أن بعض القافلة يستمر جنوباً إلى أن يصل إلى غاط حيث يلتقي بقافلة أخرى من تونس ، ثم يتجه صوب الجنوب إلى ولايات الهوسا عن طريق أمير . ووصف لنا المؤرخ فيج Fage^(٢) تلك الصلة التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وغربي إفريقيا بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر الميلادي حيث ذكر عدة طرق تجارية في تلك الفترة . ويذكر المؤرخ

(١) وحد المغرب كما يذكره ابن عذارى المراكشي « هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر المغرب ، وحدّه مدينة سلا ، وينقسم أقساماً : قسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها ، وأقلها إمارة ، وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ، ويقال أيضاً بلاد الزاب الأعلى ، وتلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل ، وحدّها إلى مدينة تيمهرت ، ويلها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة ، وحدّها مدينة سلا وهي آخر المغرب . (انظر : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وا . ليني يروفنشال - دار الثقافة ، بيروت ، الجزء الأول ، ص ٥)

بويل Bovill (٣) أربعة طرق رئيسية كانت تربط بين الشمال والجنوب وهي (٤) :

١ - من سبجلماسة إلى ولات ، ثم تتجه إلى بلاد السنغال وأعلى نهر نيجر حيث الذهب .

٢ - ومن غدامس إلى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غايط وأهير .

٣ - ومن طرابلس إلى البرنو ونهر تشاد مارة بفزان وكوار .

٤ - ومن قورينة Cyrenaica إلى وادي Wadai عن طريق كفرة .

وأهم المراكز التجارية التي تتصل بموضوعنا هي غانة القديمة وتبكتو Timbukta وجاو Gao . وجنى Janne ، وكنو Kan ، وكثنة Katsina . وكانم - برنو - Kanem, Bornu . وقد أصبحت كل هذه المدن مراكز تجارية وثقافية مشهورة وكان فيها أسواق مشهورة يؤمها كثير من التجار من شتى البلاد المغربية ، وقد قام كل منها بنشاط لنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في مختلف الأزمان .

وكان أولئك التجار يحضرون معهم إلى غربي إفريقيا تلك البضائع المطلوبة كالحرير والسرورج والسيوف والنحاس والملح والأدوات وأنواعاً شتى من المنسوجات ، فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبود وغير ذلك (٥) ويقال إن تلك التجارة ظلت لعدة قرون بأيدي الإغريق والرومان قبل دخول العرب والإسلام إلى المغرب ، ثم تولاها العرب بعد فتح شمال إفريقيا ودخول الإسلام إليها (٦) .

فجعل العرب بعد ذلك يجتازون الصحراء الكبرى ويتوغلون في إفريقيا النحاساً

(٣) Bovill, E. W., The Golden Trade of the Moors, London, 1958, p. 52.

(٤) انظر الخريطة في صفحة ٣٢٧ .

(٥) انظر Fage, J. An Introduction to the History of Africa, Cambridge, 1961, p. 120

(٦) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج ١٢ ص ٣٢٨ . وقد لعب المشون دوراً هاماً في تلك التجارة . فهم الذين يعرفون الطرق الصحراوية . وبعد دخول الجمل إلى إفريقيا كانوا هم الذين يسوقون القوافل . وهم الذين يخفرون الآبار أيضاً ويحفظون بها . والمشون هم الطوارق ، وهم من القبائل الصحراوية . انظر Bovill, p. 51

للرزق . وكانوا يتجرون في البضائع نفسها التي كان يتجر فيها من قبلهم من التجار . وتذكر بعض المراجع أن المسلمين من المغرب ومصر كانوا في العقود الأخيرة للقرن السابع الميلادي أو الأول الهجري يغشون الأسواق الرئيسية في إفريقية ، بل إن بعضهم كان يقيم هناك سفيراً أو وكيلاً لمن يسكن في ساحل البحر المتوسط من التجار . فتأتي إليه البضائع ليوزعها على الأهالي كما يجمع منهم تلك البضائع التي يصدرها إلى الساحل ، ومن هناك إلى أوروبا وإلى الشرق (٧) . وبعض هؤلاء استقروا فيما بعد وتزوجوا مع الأهالي فأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منهم .

وهذه العلاقة التجارية بين العرب وغربي إفريقية التي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشر هي فيما أعتقد أولية العربية في إفريقية . ولقد ظلت هذه العلاقة بطريقة سليمة طبيعية الحال تستلزم معها إيجاد لغة للتخاطب بين البائع والمشتري ، كما تولد الصلة القريبة بينها . وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية فمن الطبيعي أن تكون هي اللغة المستعملة بين التجار في ذلك الزمن (٨) . ومن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشروها فيما بينهم . وهذا أمر واقعي نراه في أسواقنا إلى يومنا هذا ، يذهب أحدنا مثلاً إلى الأسواق الرئيسية

(٧) المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٨) وما يذكر أن التبادل التجاري في غربي إفريقية ، وخاصة المنطقة المشهورة بكثرة الذهب وهو الونفرا Wangara كانت في العصور الأولى عن طريق مايسى بالتجارة الصامتة Silent Trade ، حيث يأتي التجار من المغرب بسلمهم ويضعونها منتظمة في مكان معروف ثم يخفون . وعندئذ يخرج الأفارقة ويضعون بحوار كل سلعة نظيرها من الذهب ثم يخفون أيضاً ، فيأتي بعد ذلك التجار ، فإذا رضوا بقيمة الذهب الموضوع أخذوه وانصرفوا وإلا تركوه واختفوا مرة ثانية ، ثم يخرج الأفارقة فيزيدون من كمية الذهب ، وهكذا تستمر العملية إلى أن يقتنع كلا الطرفين . انظر Bovill, p. 83 . وانظر أيضاً : « إمبراطورية غانة » لمؤلفه دكتور إبراهيم علي طرخان ، المينة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٧٠ وما بعدها حيث أورد وصف المسعودي لتلك التجارة الصامتة ، والظاهر أن التبادل التجاري كان بهذه الطريقة البدائية أولاً ثم تطور إلى التخاطب والتفاهم وجهاً لوجه .

اليوم في القاهرة فيجد التاجر فيها ملماً بعض الإبلام باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات الأجنبية . كما أننا نرى الشيء نفسه في الأسواق النيجيرية الرئيسية . فنرى في سوق كنو مثلاً تجاراً يلمون بعض الشيء باللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية . وكل ذلك لم يكن بواسطة دراسة منظمة في المدارس ، ولكنها دراسة عملية يومية يمارسها التاجر هو وبنوه في متجره .

فهذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت الحجر الأساسى للعربية في إفريقية . بدأ أولئك التجار يدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجاً حتى توغلت في ربوع إفريقية واندماج بعضها في اللغات المحلية وخاصة بعد انتشار الإسلام . وما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الإفريقية ، مثل لغتى الهوسا والفولى ، وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام . فنجد في لغة الهوسا مثلاً ان أسماء هذه البضائع عربية . فكلمة السرج والحريز والأزعفران واللجام والقلم والدواة وأمثالها ، كلها وافدة على لغة الهوسا وتنطق بتحريف بسيط ^(٩) وسنرى فيما بعد عند الكلام عن دخول الإسلام في نيجيريا كيف انتشرت هذه اللغة انتشاراً عظيماً بانتشار الإسلام . ويكفى هنا أن نشير إلى أن هذه اللغة بدأت تدخل على أيدي التجار العرب ولكنها كانت في نطاق محدود ، لا يعرفها إلا التجار ونحوهم ، اللهم إلا ما جاء من أسماء تلك البضائع الوافدة التي لم تعرف قبل ذلك ، والتي لا بد أن تسمى بأسمائها العربية عن العرب مع ذلك التحريف البسيط الذى أشرنا إليه سابقاً .

(٩) انظر رسالة الدكتور على أبى بكر عن « الثقافة العربية في نيجيريا » الباب السادس ص ٢٤٢ وما بعدها ، حيث تكلم عن أثر اللغة العربية على اللغتين الهوسية والفلاتية وذكر أمثلة كثيرة .

٢ - دخول الإسلام إلى غربي إفريقية

قامت عدة ممالك وولايات في القرون الغابرة في غربي إفريقية ووسطها ، وبعبارة أخرى في المنطقة التي كان بعض كتاب العرب القدامى يطلقون عليها اسم بلاد السودان^(١) . وهي منطقة واسعة تمتد من حدود الصحراء الكبرى شمالاً إلى مايعرف بنطاق الغابات الوسطى جنوباً ومن تلال الحبشة شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً ، والمنطقة التي نخصنا في هذا الفصل هي التي تبدأ من بحيرة فطرى Lake Fitri على حدود كانم Kanem شرقاً وتمتد إلى المحيط الأطلنطي غرباً . ففي تلك المنطقة قامت الممالك والولايات الكثيرة في مختلف الأزمان ، وقد كانت تختلف في كبرها وسطوتها باختلاف الملوك والأمراء الذين حكموها . وكانت تتداول في أيدي الملوك وكانت مملكة غانة القديمة^(٢) تعتبر أقدم الممالك التي قامت في تلك المنطقة ، وأعظمها ملكاً ،

(١) ذكر عدد من الجغرافيين والمؤرخين العرب السودان ، أو بلاد السودان ، في كتاباتهم . ولكنهم يختلفون في مدلول هذا اللفظ فمنهم من يقصد به البلاد الإفريقية المعروفة لديهم حين ذاك . ومنهم من يقصد غربي إفريقية ، في حين أن بعضهم كان يخلط شعبياً غير إفريقية كالمند في شعوب السودان .

انظر مثلا السعدي في كتابه : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الأول ص ٣٢٢ وما بعدها . وانظر أيضاً مقالة عن السودان وبلاد السودان للدكتور عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي في : Bulletin of Cairo University, Khartoum, vol III, 1972. ولكن المقصود هنا بالسودان هي تلك البلاد الإفريقية التي تقع في غربي إفريقيا ووسطها .

(٢) لايعرف على وجه التحديد موقع مدينة غانة القديمة اليوم . ويختلف المؤرخون فيه . والراجع حسب الحفائر البحثية التي قامت في السنوات الأخيرة هو أن أطلال «كمى صالح» التي تعتبر عاصمة لغانة قد عثر عليها بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا الإسلامية الحديثة ، وتقع داخل أراضي جمهورية مالي الحديثة . وبينها وبين غانة الحديثة مسافة لاتقل عن ألف هيل ، ونحو مائتي ميل شمالي بامكو عاصمة جمهورية مالي الحديثة . انظر Page, p. 20. وانظر أيضاً عن الحفائر الأثرية «إمبراطورية غانة الإسلامية» للدكتور إبراهيم علي طرخان ، الهيئة المصرية العامة للنشر ، ١٩٧٠ ص ٣٤ وما بعدها .

وأكثرها سطوة ، وأغناها ذها ، ويقول المؤرخون إن تاريخها يرجع إلى حوالى القرن الأول الميلادى . ويذكر لنا السعدى أن « سلطتهم كانت قبل البعثة ، فتملك حينئذ اثنان وعشرون ملكا وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكا^(٣) .

فإذا كانت هناك مملكة قديمة وعظيمة يعرفها التاريخ فى تلك المنطقة وفى تلك القرون الأولى فالأسئلة التى تتبادر إلى الذهن هى : هل تطرق الإسلام إلى تلك المملكة ؟ ومتى تطرق ؟ وإلى أى حد قامت بنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى البلاد الإفريقية الأخرى المجاورة لها ؟

من الصعب أن يعرف على وجه التحديد متى دخل الإسلام إلى تلك المملكة القديمة وذلك لعدم وجود مراجع قديمة كتبت قبل القرن العاشر الميلادى وعالجت هذا الموضوع^(٤) . ومن المرجح أن أول مصدر مهم كتب باللغة العربية كان فى سنة ١٠٦٨ ، وهو كتاب المسالك والممالك لمؤلفه أبى عبيد الله بن عبد العزيز البكرى^(٥) . ويعتبر ما كتبه البكرى عن غربى إفريقيا ، وعن غانة بالذات ، من أوثق وأدق ما كتب عن هذا الموضوع^(٦) . كتب هذا المؤلف - وهو يصف لنا غانة - قال : « ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدها يجتمعون فيه . ولها الأئمة والمؤذنون والراتيون وفيها فقهاء وحملة علم ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينها متصلة

(٣) السعدى ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر ، تاريخ السودان ، تحقيق هوداسى ، باريس ١٩٦٤ م ، ص ٩ .

(٤) لقد أعطى عدد من المؤرخين والجغرافيين العرب بعض معلومات عن إفريقية قبل ذلك ، مثل الطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك ، واليعقوبى فى تاريخ البلدان وغيرها ولكنها كانت معلومات عامة غير مفصلة . فلم تظهر مراجع مهمة أعطت لغربى إفريقيا حقها من البحث والدرس إلا فى القرن الحادى عشر وما بعده .

(٥) ولد البكرى عام ١٠٢٨ م فى الأندلس وتوفى بها سنة ١٠٩٤ م انظر : Bovill, p. 61.

(٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

ومبانيها بالحجارة وخشب السنط . . . وفي مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك» (٧) .

فإذا كان في إحدى مدينتي غانة اثنا عشر مسجداً وعدد من العلماء والفقهاء، فلا شك أن الإسلام كان منتشرًا وكان عريقاً في تلك المدينة قبل قيام حركة المرابطين في تلك المنطقة، الذين استولوا على غانة عام ١٠٧٦ وعينوا عليها حاكماً مسلماً من البربر. وما يؤكد هذا القول وجود عدد من المدن الأخرى المجاورة لغانة والتابعة لها، والتي يسكنها المسلمون في تلك الفترة، فمثلاً مدينة غياروا التي تبعد عن غانة - كما ذكر البكري - بنحو مسيرة ثمانية عشر يوماً كان « فيها من المسلمين كثير» وبغربها أيضاً « مدينة برسني يسكنها المسلمون وماحولها مشركون» وقد ذكر أسماء مدن أخرى كان يسكنها عدد من المسلمين (٨). فهذا كله يدل دلالة واضحة على أن الإسلام كان منتشرًا في غانة قبل القرن الحادي عشر بكثير. وليس معنى هذا أنها أصبحت مملكة مسلمة حينذاك لأن أكثر ملوكها قبل دخول المرابطين على حسب ما نقوله المراجع وثنيون (٩)، إلا أن المسلمين كانوا على ما يظهر يتمتعون باحترام حتى من الملك نفسه وكان أحدهم قد بنى مسجداً في الحى الوثني، مما يدل على أنه يحترم هذا الدين ويتسامح معه. ويقول البكري عن أحد ملوكهم الذي يسمى بسى: إنه كان « محمود السيرة محباً للعدل مرثداً للمسلمين» (١٠). ولكن هذا أيضاً لا يمنع وجود من اعتنق الإسلام من أولئك الملوك (١١).

(٧) البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق م س دى سلان، باريس ١٩٦٥، ص ١٧٥.

(٨) مثل مدينة كوغة والوكن، انظر البكري، ص ١٧٨ وما بعدها.

(٩) المرجع السابق ص ١٧٥ وما بعدها.

(١٠) المرجع السابق ص ١٧٤.

(١١) مثلاً يقول البكري: إن قنمر بن بسى ملك الوكن مسلم ينجي إسلامه انظر، في ص ١٧٩.

ثم جاء المرابطون وأخضعوا غانة سنة ١٠٧٦ م ، فأصبحت من ذلك التاريخ ملكة مسلمة ، واستمرت كذلك إلى أن أفل نجمها فاخضعت من التاريخ ، وذلك عندما قضت عليها قبائل الصوصو Susu في مطلع القرن الثالث عشر أو على وجه التحديد في سنة ١٢٠٣ م^(١٢) .

والظاهر أن الإسلام دخل إلى غانة في وقت مبكر عن طريق التجارة ، فلا شك أن شهرتها في تلك العصور الغابرة . وكثرة ذهبها ، وأبهة ملكها مما يجلب إليها كثيرًا من التجار والدعاة المسلمين . وتدل كثير من القرائن على وجود عدد كبير من المسلمين مما يستدعى وجود مدينة مستقلة لهم قبل القرن الحادى عشر . وأما ما يظنه بعض الباحثين من أن الإسلام دخل إلى غانة عن طريق الفتوح في صدر الإسلام فبعيد . ومن المحتمل جدًا أن يكون جيش المسلمين قد بعث بالفعل ليفتح غانة بين سنة ٧٣٤ إلى ٧٥٠ م كما يذكره بويل Bovill^(١٣) ولكنه من البعيد جدًا أن يكون ذلك الجيش قد تمكن من فتح غانة بما كان لديه من الإمكانيات ، وبما كان لدى غانة من القوة والبطش في تلك الفترة . فلعل ذلك الجيش هزم ، ولعله لم يصل إلى غانة أبدًا بعدها ، ولأنه ليس من السهل لدى ذلك الجيش أن يجتاز الصحراء الكبرى . وقد ذكر البكرى أنه « ببلاد غانة قوم يسمون بالهنيبين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام ، وهم على دين أهل غانة إلا أنهم لا ينكحون في السودان ، فهم بيض الألوان حسان الوجوه ، ويسلى أيضًا قوم منهم يعرفون بالقامان^(١٤) . فكون أولئك البيض في غانة لا يدل على أنهم من ذرية ذلك الجيش المذكور ، إذ أن أكثر المؤرخين يتفقون على أن حكام غانة الأصليين كانوا من

Encyclopaedia of Islam, vol. 4 pp. 489—490 Bovill, p. 90.

(١٢) انظر :

Bovill, p. 68

(١٣) انظر

(١٤) البكرى ، ص ١٧٩

المهاجرين البيض الساميين ، ولكنهم يختلفون في أصلهم : هل هم من الشرق أو من شمال إفريقية . فن المؤرخين من قال إنهم بيض إفريقيون من البربر اللبيين^(١٥) ، ولكن السعدى يقول : « إنهم بيضان في الأصل ، ولكن ما نعلم من يسمى إليه في الأصل^(١٦) » . وأما طرخان فيقول إن الراجح « أنهم من البربر الذين اختلطوا بالزنج^(١٧) » . فالهم هنا هو أن عبارة البكرى المذكورة تدل دلالة واضحة على أن أولئك البيض المذكورين كانوا من البيض الذين حكموا غانة أولا . فهو يقول : « وبلى أيضا قوم منهم » مما يؤكد أنهم من ذرية الحكام القدامى ، إذ ليس من المعقول أن يكون ذلك الجيش قد فتح غانة ثم انتشر في مدنها .

والراجح أن يكون الإسلام قد دخل إلى غانة عن طريق السلم وانتشر بالطريقة نفسها . فيكون التجار والدعاة الذين دخلوها أفرادا ووفودا هم الذين قاموا بنشره ، وهذا شيء طبيعي ، ثم توسع كثيرا بعد حركة المرابطين وتوغل في غربي إفريقية ووسطها . وما يذكر أن المرابطين كانوا يرسلون « العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة . ويفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي »^(١٨) .

ولقد كان للثقافة الإسلامية العربية أثر واضح في حكومة غانة القديمة قبل دخول المرابطين . فالمسلمون هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة فذلك كانوا هم الذين يتولون إدارة الدواوين . ومنهم الوزراء الذين كانوا يساعدون الملوك الوثنيين . وقد ذكر البكرى : « أن تراجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر

وزرائه^(١٩) . فهذا دليل على انتشار الثقافة الإسلامية . وإذا كان هذا هو الحال قبل استيلاء المرابطين عليها فمن المتوقع أن تتوسع تلك الثقافة وتنتشر بعد أن أصبحت مملكة غانة دولة إسلامية .

وبالإضافة إلى الدور الذى قام به التجار والدعاة فى نشر الإسلام فى غانة ، فهناك عامل آخر ساعد على نشره فى الممالك المجاورة لها . وذلك هو الهجرة التى قام بها التجار المسلمون من غانة إلى المدن الأخرى ، وبخاصة إثر غزو قبائل الصوصو لغانة والاستيلاء عليها^(٢٠) . فانتشروا فى البلاد . وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير فى نشر الدين والثقافة العربية فى إفريقية .

ثم أخذت مملكة مالى دور غانة بعد اختفائها من المسرح التاريخى السياسى ، فواصلت عملية نشر الإسلام وثقافته . ووصلت أوجها بين القرنين الثالث والرابع عشر ، وأصبحت من كبرى الدول الإسلامية التى قامت فى غربى إفريقية فى تلك العصور . وكان أهلها متمسكين بالإسلام ومتحمسين له ، وخصوصا قبيلة الماندنجو ، وقد أعطانا ابن بطوطة صورة واضحة لهذه المملكة حين زارها فى سنة ٧٥٣ هـ ١٣٥٢ م ، وقد أعجب بشدة بعنايتهم بحفظ القرآن حيث قال : « وهم يحعلون لأولادهم القيود إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه ، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه . ولقد دخلت على القاضى يوم العيد . وأولاده مقيدون فقلت له ألا ترشحهم ؟ فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن^(٢١) .

ويرجع الفضل الأكبر فى نشر الإسلام فى ولايات الهوسا وصيرورته دين دولة إلى مالى كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله .

(١٩) البكرى ، ص ١٧٥ .

(٢٠) انظر :

(٢١) ابن بطوطة : تحفة للنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعه بولاق ، ١٩٣٤ ، الجزء الثانى

هذا ، ويتضح فيما سبق أن الإسلام قد دخل في غربي إفريقية ووسطها أولاً بطريقة سلمية ، وهي طريقة التجارة والدعوة . وبما أن دولة غانة كانت أقدم دولة إفريقية في تلك المنطقة ، فمن الطبيعي أن يدخل الإسلام إليها ، ثم ينتشر منها إلى البلاد المجاورة لها . وبعد استيلاء المرابطين على دولة غانة من مطلع القرن الحادى عشر ، أصبح الإسلام ينتشر عن طريق الفتح والتجارة والدعوة معاً . وبهذا توسع نطاق الإسلام في البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى .

٣ - دخول الإسلام إلى نيجيريا

من المعروف أن نيجيريا لم تكن معروفة بهذا الاسم وبهذا الشكل الموجود اليوم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، حينما اقتحم المستعمرون الإنجليز تلك المنطقة ، واستولوا عليها . فكانت تقع في المنطقة التي كان العرب يطلقون عليها بلاد السودان . أو بلاد التكرور . يقول محمد بللو : « إن هذا الاسم التكرور علم على الإقليم الغربى من الجنوب السودانى . . وهذا الاسم شائع في الحرمين ومصر والحبشة ، ومندرس في محله حتى لا يعرفه أهل هذه البلاد أصلا . وإنما يتقلونه من الحجاج الذين سمعوه بالحرمين ومصر^(١) . » . ويقول أيضاً : « ورأينا لبعضهم أنه عبر عن كثره وكنهه وما والاها ببلاد السودان ، وعبر عن تمبكتو وما والاها ببلاد التكرور »^(٢) .

فالموجود قبل القرن التاسع عشر إذن هو عدة ولايات وممالك موزعة في تلك المنطقة ، تختلف في حجمها وقوتها . وقد تختلف أيضاً في عاداتها وتقاليدها . وكانت كل واحدة منها مستقلة ومنفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . إلا أن بعضها ، وهى ولايات الهوسا ، كانت تربطها صلة قوية . وهى صلة لغة الهوسا التى تتكلم بها ، وهناك رابطة أخرى تربط كل هذه الولايات الهوسوية وهى الرابطة التجارية . فهذه الولايات يحتاج بعضها إلى بعض . وقد تحالف في أوقات الحرب أو الخوف ضد العدو . ولقد شاهد التاريخ ذلك مثلاً عندما قام الشيخ عثمان بن فودى بثورته الإصلاحية ضد ما كان من تلك الولايات من فساد . فكتب ملك غوبر Gobir (إحدى ولايات

(١) محمد بللو ، إتفاق المسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق وتنبغ Whitting لندن ١٩٥١ ، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

الموسا) إلى زملائه الأمراء يطلب المساعدة منهم ضد الشيخ^(٣) .
ثم جاءت حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في مطلع القرن التاسع عشر.
وأدت إلى تأسيس مملكة إسلامية قوية مكونة من مجموعة من الولايات التي كانت
موجودة كما سئرى فيما بعد . واتسع نطاق تلك المملكة حتى شمل ما يربى على نصف
مساحة نيجيريا الحالية من الناحية الشمالية .

وبعد ذلك دخل الإنجليز . فكانوا في جولاتهم الاستعمارية يطلقون على تلك البلاد
اسم محمية ساحل نيجر Niger Coast Protectorat تارة ، والبلاد الواقعة في حوض
نهر نيجر The Territories in the Basin of the Niger طوراً وغير ذلك من
الأسماء ، وأخيراً سموها في مطلع القرن العشرين بنيجيريا بعد أن استعمروها^(٤) ،
وهذه التسمية نسبة إلى البلاد التي تقع حول نهر نيجر .

وأما عن دخول الإسلام في تلك المنطقة فإن أكثر المؤرخين والباحثين الذين كتبوا
عن هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإسلام دخل فيما بين القرن الحادى عشر والرابع عشر
الميلادى^(٥) . ويقولون إن الإسلام دخل في مملكة كانم في القرن الحادى عشر ، وأن
أول من اعتنقه من ملوكها هو همى جلمى (١٠٨٥ - ١٠٩٧ م) وسمى نفسه بعد

(٣) يقول محمد بللو : إن أمير غويره كاتب إخوانه أميركنته وأميركنو وأمير زركو وأمير دورو وأمير أزين (وتقع
أزين الآن في نيجر Niger فأجابوه كلهم بما التمس منهم من مساعدة ومعونة على كل من انتسب إلى الشيخ
وأذنوا له في الغزو ، وأخذ كل واحد منهم يتأهب لغزو من انتسب إلى الشيخ في بلده . انظر إنفاق المسور ،
ص ٧٣ .

(٤) وكان أول قرار يصدر من الحكومة البريطانية عن ذلك هو القرار الذى صدر عن البرلمان البريطانى في شهر
يوليو سنة ١٨٩٩ ، ويقال إن الاسم نيجيريا ظهر أولاً في جريدة التايمس اللندنية في شهر يناير ١٨٩٧ . انظر تفصيل
ذلك في : Coleman, J.S., Nigeria Background to Nationalism, California, 1958, p.44.
(٥) انظر مثلاً :

- i. Hogben, S.J., The Muhammeden Emirates of Northern Nigeria, 1930, p. 163.
- ii. Bovill, E.W. The Golden Trade of the Moors, 1958 p. 220

إسلامه بمحمد^(٦) . وأسلمت على يده مملكته كلها . وأما في ولايات الهوسا فإنهم يقولون : إن الإسلام دخل في كئو مثلا في القرن الرابع عشر ، وأن أول ملك أسلم فيها هو على ياجي (١٣٤٩ - ١٣٨٥ م) وانتشر الإسلام في عهده^(٧) . يذكر المؤرخون ذلك كأن الإسلام لا يمكن أن يدخل إلى قطر من الأقطار إلا إذا اعتنقت الأسرة الحاكمة في تلك الأقطار أو إلا إذا دخل بطريق الفتوحات . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن المؤرخين العرب وهم أول من كتب عن تاريخ هذه البلاد كانوا يهتمون اهتمامًا بالغا بتاريخ الفتوحات الإسلامية ، وكانوا يعتبرون . وهم على حق ، أن البلاد المسلمة هي تلك التي أسلم ملوكها : أو البلاد التي فتحها المسلمون والتي تدين بالإسلام وبحكمها ولاية مسلمون خاضعون للنظم الإسلامية والقوانين الشرعية .

ولكنه من الممكن ، ولعله من الأصوب ، أن نفرق هنا بين دخول الإسلام بالفتوحات كما دخل المغرب مثلا ، وبين دخوله بالطريقة السلمية كما دخل في بقاع إفريقية الغربية . وعلى هذا فيستحسن تقسيم دخول الإسلام إلى غرب إفريقية إلى قسمين :

أولا : دخوله إلى الدولة وإلى الطبقة الحاكمة وانتشاره على أيديها بالطريقة الرسمية .

ثانياً : دخوله إلى الشعب أو إلى الأفراد وانتشاره بالطريقة غير الرسمية . والطريقة

(٦) وهو هَمَى بن سلما الملك الثاني عشر. انظر مقالة المؤرخ الأستاذ عبد الله سميت في :

Abdullahi Smith, The early states: of the Central Sudan, History of West Africa, edited by Ajayi and Crowder, 1971, vol. I pp, 172.

Hogben, p. 163.

وانظر أيضا :

(٧) انظر تاريخ أرياب هذا البلد المسمى كئو . وهو مخطوط قم يذكر تاريخ كئو من قديم الزمان . وهو المصدر الأول في تاريخ هذه الولاية ، ولا يعرف مؤلفه . وعندى نسخة مصورة منه ، واستمعت بنسخة أخرى للدكتور محمد الحاج بكلية عبد الله بايرو - بكنو .

الثانية - وهي أقدم بكثير من الأولى - كانت تتمثل في دخول الإسلام عن طريق التجارة . وقد رأينا آنفاً كيف كانت العلاقة التجارية موجودة بين المغرب وتلك المناطق في العصور الغابرة ، فالدين الإسلامي كما هو معروف دين لا رهبانية فيه فكل مسلم داعية ومبشر فالتاجر المسلم الذى يدخل أحد البلاد الإفريقية للتجارة يدخل ومعه بضاعته وإسلامه . فيتصل بأحد التجار الإفريقيين ، وربما يقيم عنده بضعة أيام ، فبى مضيفه وأصحابه تلك المزايا الإسلامية الحميدة والصفات الخلقية الحسنة . فيكون لكل هذا وقع وأثر فى قلوب الناس ، وبذلك يكسب هذا التاجر المسلم احتراماً عند السكان ، وبخاصة لما يرونه من عدالته وصدقه وأمانته فى معاملاته . وبهذه الطريقة يبدأ بعضهم فيدخل فى هذا الدين الجديد وبالتدريج يتشرف فى تلك المنطقة ، وقد أجاد السير توماس أرنولد Sir Thomas Arnold عندما أشار إلى هذه النقطة فقال :

« ومن السهل أن يفهم كيف يؤثر على الإفريقي الوثني تأثيراً كبيراً مظهر التاجر المسلم وهو يؤدي الصلاة ويكثر فى السجود . ويستغرق فى عبادة كائن خفي وهو صامت خاشع . ذلك الإفريقي الذى كان له شعور قوى نحو الأسرار الخفية . . تلك الأسرار التى تكون موجودة فى الغالب حيث الحضارة البدائية الساذجة . وحب الاستطلاع ، بطبيعة الحال ، يدفع إلى الاستعلام ، والمعلومات الإسلامية التى يجدها المهتمدى الجديد (بعد السؤال) يمكن أن تكسبه . ولعله يولى ظهره لو قدمت إليه تلك المعلومات أولاً كهبة من غير طلب (٨) .

فالتجارة بين المغرب وبلاد السودان كانت رائجة وقديمة كما تقدم ، وليس من المعقول أن يقال إن الإسلام لم يدخل بهذه الطريقة وبهذه الوساطة ، بل أنا أعتقد أن

(٨) انظر :

Sir T.W. Arnold, *The Preaching of Islam*. Ashraf Press, Lahore, 1968 p. 423.

انتشار الإسلام وخصوصاً في المراكز التجارية بما فيها مدينة غانة القديمة كان بهذه الطريقة بالدرجة الأولى .

وقد يكون التاجر الأجنبي المسلم صداقة وصلة بأحد الأمراء ، أو من يتسمى إلى الأسرة الحاكمة فيهديه الله ويقبل الإسلام فيكون وسيلة لنشره في ولايته وقد يعتقد أحد الملوك الإسلام هو والطبقة الحاكمة ويبقى سواد الشعب وثنيتهم كما حدث في مالي قبل أن تصير دولة إسلامية على حسب ما أورده البكري حيث يقول : « وملكهم يعرف بالمسلماني ، وإنما سمي بذلك لأن بلده أجذب بعد عام فاستقوا بقرايينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ، ولا يزدادون إلا قحطاً وشقاء . وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة . فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك ، فقال له : أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته . واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك ، وأن تعم الرحمة أهل بلدك . وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنة ما لا يسع جهله . . . فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته ، وأهل مملكته مشركون » (٩) .

وأما الطريقة الأولى وهي دخول الإسلام بطريق الفتوح ، فمن المعروف أنها بدأت في الغرب بفتح مصر في القرن السابع الميلادي . وامتدت الفتوحات إلى شمالي إفريقية حتى استولى المسلمون على الشريط الساحلي ثم اتجه عقبة بن نافع الفهري صوب الجنوب فاتحاً تلك البلاد ، وناشراً دين الإسلام فيها . وقد وصف لنا البكري كيف أن عقبة نزل بغدامس سنة ٤٦ هـ وترك أصل جيشه هناك تحت زعاية زهير بن قيس البلوي

(٩) وذكر البكري بعد ذلك أنهم استقروا فأعهم الله بالسق ، انظر البكري ص ١٧٨ ، إلا أن الغالب في تلك العصور أن تكون النولة مسلمة إذا كان ملكها مسلماً ، كما قيل : « الناس على دين ملوكهم » .

« ثم سار بنفسه في أربعائة بعير وثمانمائة قرية ماء »^(١٠) . فلم يزل يفتح مدناً في إفريقية واحدة تلو أخرى إلى أن وصل إلى « قصور كوار فافتحتها (فتحتها) حتى انتهى إلى أقصاها وفيه ملكها فأخذه »^(١١) . وتقع كوار في حدود الصحراء الكبرى شمالاً قرب بلما ، حيث كانت تتفرع إحدى طرق القوافل التي كانت تأتي من طرابلس . فتوجه إما جنوباً إلى مملكة كانم (برنو) ، أو إلى الجنوب الغربي إلى ولايات الموسا . وهي قريبة من حدود مملكة كانم (برنو) التي تقع الآن في نيجيريا . وعندما أكمل فتحها - بحسب رواية البكري - « سألهم هل من ورائكم أحد ؟ فلم يعلموا من ورائهم أحداً ، فكر راجعاً »^(١٢) . فلو واصل السير صوب الجنوب لوصل إلى تلك المملكة . وقد لا تكون مملكة كانم (برنو) قائمة في ذلك التاريخ ، فلا ندرى على وجه التحديد متى تأسست ولكن من المحتمل على الأقل أن تكون في تلك المنطقة بمجموعة قبائل وهي في طور النشأة للمملكة . فهذا ما انتهى إليه عقبة من الفتوحات وبعده بقرون واصل المرابطون هذه العملية حتى وصلوا إلى غانة كما ذكرنا سابقاً .

هذا ونستطيع أن نقول إن تلك الفتوحات وأشباهاها قد ساعدت إلى حد ما في نشر الدين الإسلامي في القارة الإفريقية ، ولكن انتشاره لم يرقم على القسر ، بل تم بواسطة الدعوة ويرجع الفضل الأول إلى الدور المهم الذي قام به التجار والرحال كما ذكرنا سابقاً .

(١٠) البكري ، ص ١٣ .

(١١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(١٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٤ - تقسيم حركة اللغة العربية وآدابها بحسب الفترات التاريخية

ذكرنا وجود مجموعة من الممالك والولايات فيما يعرف الآن بنيجيريا ، والراجع أن تلك الممالك والولايات قد نشأت في أوقات مختلفة . ولا يخلو تاريخ نشأتها من غموض كثير وأساطير متنوعة . وليس هنا محل سرد تلك الأساطير والأقاويل . وحسبنا هنا أن نشير إلى أن بعض تلك الممالك في أغلب الظن كانت موجودة قبل القرن العاشر الميلادى . ومما يؤكد ذلك وجود بعضها في حالة نشاط وازدهار في القرن العاشر مثل برنو .

وإذا أردنا أن نتبع تاريخ حركة اللغة العربية وآدابها من دخولها إلى العصر الحاضر فيمكننا أن نقسمها بحسب فترات تاريخية على الوجه الآتى :

أولاً : فترة تأسيس تلك الممالك والولايات من بدايتها قبل القرن العاشر الميلادى إلى آخر القرن الثالث عشر تقريباً .

ثانياً : فترة الوفود والحركات الثقافية الإسلامية وهي من القرن الرابع عشر إلى الثامن عشر تقريباً .

ثالثاً : فترة دولة سكتو وبدايتها من سنة ١٨٠٤ م إلى سقوطها بأيدي المستعمرين سنة ١٩٠٣ م .

رابعاً : فترة الاستعمار . ولقد نجح المستعمرون في هذه الفترة في ضم الممالك الجنوبية إلى مملكة سكتو فأسموا كل ذلك نيجيريا . ثم قسموها فيما بعد إلى ثلاثة أقاليم وهي الإقليم الشمالى Northern Region والغربى Western Region والشرقى Eastern Region وفى سنة ١٩٥٥ م أوجدوا إقليماً رابعاً مقتطعاً من الغرب والشرق وسمى بالإقليم الأوسط Mid West وكان المستعمرون دائماً يؤكدون وجود

الفوارق والاختلافات بينها ، ويخلقون حواجز وهمية . فكانت سياستهم فيها مختلفة وبخاصة في التعليم . أخذوا بالمبدأ الاستعماري المعروف (فرق تسد) وانتهت هذه الفترة باستقلال نيجيريا في أول أكتوبر سنة ١٩٦٠ م . ولم يحدث بعد الاستقلال أى تغيير لافى اسم نيجيريا ولا فى حدودها ولا تقسيم أقاليمها .

خامساً : فترة ما بعد الاستقلال . وقد شهدت هذه الفترة فتناً وحروباً أهلية أوشكت أن تمزق البلاد تمزيقاً . وقبل قمع هذه الفتن أوجدت نيجيريا نظاماً فيدرالياً جديداً . وهو عبارة عن تقسيم البلاد إلى اثنتى عشرة ولاية وكان ذلك فى سنة ١٩٦٧ وانتهت الحروب الأهلية فى سنة ١٩٧٠ . ولعل تقسيمها إلى عدة ولايات كان له أثر واضح وخصوصاً بعد انتهاء الحروب الأهلية - فى سياسة التعليم ، وكان بمثابة فصل جديد أدى إلى وجود فترة أخرى .

ولسنا فى حاجة إلى ذكر كل الممالك التى كونت نيجيريا الحالية ، ولكننا نكتفى فقط بذكر تلك المملكة التى لعبت دوراً هاماً فى نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر أو قبله ، ونترك بقية الممالك والولايات لتدخل كلها تحت نيجيريا من مطلع هذا القرن العشرين . ولنبدأ بمملكة برنو لأسبقيتها فى هذا الميدان .

مملكة كامم - برنو :

كانت هذه المملكة القديمة تقع إلى الشرق من برنو الحالية فى منطقة بحيرة تشاد Chad . وهى من أقدم الممالك وأوسعها فى غربى إفريقيا ووسطها فى العصور الغابرة . وهى بلدة ذات أنهار وأشجار ورمال واسعة . عامرة بالسكنى . . ولم يكن فى هذا القطر (النيجيرى) أوسع منها وأكثر عمارة ^(١) . ولا نعرف على وجه التحديد متى تأسست هذه المملكة . وهل كان ذلك قبل ظهور الإسلام أو بعده ولكن الذى لا شك فيه أن

(١) إنفاق المسور ، ص ٨ .

المملكة كانت موجودة بالفعل في القرن التاسع الميلادي . وقد ذكر بعض المؤرخين العرب الذين كتبوا في تلك الفترة مملكة كانم في كتاباتهم مما يدل على أنها كانت مملكة عظيمة تمتد شهرتها إلى البلاد العربية الإسلامية (٢) .

وعلى هذا نستطيع أن نفترض أن مملكة كانم كانت قائمة في القرن التاسع الميلادي . وكما لا نعرف على وجه الدقة تاريخ نشأة هذه المملكة ، فإننا لا نعرف أيضاً الشعوب الأصلية والوافدة التي كونت كانم . وهذا الموضوع لا يزال موضع نقاش وجدل بين المؤرخين . يذكر لنا محمد بللو أن سكانها كانوا من البربر والعرب والفلايين ، وأن أصلهم من الشرق . واستوطنوا إفريقية من أرض الحبشة ، ثم وافوا كانم واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجماء تحت حكم إخوانهم التوارك (٣) . يقال لهم امكيته وغلّبهم على البلد ، وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم البلد حتى ملكوا أقاصي البلاد من هذا القطر (٤) ، وتقول رواية أخرى إن سيف بن ذى يزن ، وهو بطل من أبطال العرب ، هاجر هو وجاعته إلى تلك المنطقة . واستولى على شعوب بدوية كانت تسمى بمجمي Magami وتسكن في الشكال الشرق لبحيرة تشاد . فأصبح هؤلاء ملوكها (٥) . ومن المؤرخين من يقول إن أصل ملوكها كانوا من البربر المسلمين الذين يعرفون بزغاوا Zaghawa وهاجروا إليها في عام ٨٠٠ م تقريباً (٦) ، فهذه الروايات كلها تتفق في شيء واحد وهو أن عددًا من المهاجرين قد دخلوا في تلك المنطقة واستولوا على الشعوب البدوية الساذجة التي تسكنها ، ولكنهم يختلفون في الجهة التي

Abdullahi Smith, p. 168.

(٢) انظر :

(٣) الظاهر أنه يقصد بالتوارك هنا التكرور بمعنى القبائل الأصلية الموجودة في تلك المنطقة . وقد يستعمل

اللفظ أيضاً في نيجيريا بمعنى الطوارق بإبدال الطاء تاء .

(٤) إتفاق الميسور ، ص ٨

Abdullahi Smith p. 170.

(٥) انظر :

Hogben, p. 49.

(٦) انظر :

أنى منها أولئك الوافدون ، فهل كانوا من الشرق أو الغرب أو من الشمال ، فلمهم بالنسبة لنا هنا هو أن طائفة من المهاجرين قد دخلوا منطقة كاتم . بثقافة أرق من ثقافة تلك الشعوب البدوية الساكنة هناك ، ونجحوا في ضم الشعوب مع بعضها ، وكونوا بها مملكة أصبحت بالتدريج قوية ، وملك كاتم لفترة تربو على ألف سنة .

وأما عن دخول الإسلام فيها فتقول الروايات إن أول ملك هداه الله إلى الإسلام في كاتم هو همى جلمى بن سلما Hummi Jilmi b. Selemma الملك الثانى عشر . وكان ذلك فى أواخر القرن الحادى عشر . ومن ذلك التاريخ أصبحت دولة إسلامية . هذا ما تواتر عن دخول الإسلام إلى كاتم ، ولكن هناك عاملاً مهماً لا بد أن نشير إليه ، فربما يكون دخول الإسلام تم عن طريقه فى وقت مبكر ، وهو العامل التجارى . فن المعروف أن إحدى طرق القوافل التجارية كانت تبدأ من طرابلس وتتجه إلى الجنوب عن طريق فزان وبلبا إلى أن تصل إلى كاتم . وهذا مما يسهل وصول التجار المسلمين إليها ، وبالتالي دخول الإسلام . فلا شك أن التجار هم الذين أدخلوا الإسلام فى تلك المنطقة ، فهذا محمد بللويقول : « إن الإسلام فى هذه البلاد إنما ورد به التجار والمسافرون فأخذه من أخذه منهم »^(٧) . فالراجح إذن أن يكون الإسلام قد وجد طريقه إلى كاتم فى وقت مبكر عن طريق التجار المسلمين كما رأينا فى البلاد الأخرى مثل غانة القديمة . ولا ننسى أيضاً بأن جيش عقبة بن نافع الفهري قد وصل إلى حدود تلك المملكة فى عام ٤٦ هـ كما ذكرنا سابقاً (إذا فرضنا أن المملكة كانت قائمة حينذاك) وكان قد سلك نفس الطريق ، مما يدل على قدمها . فإذا كان الإسلام قد دخل إلى البلاد المجاورة لها والتي كانت بينها رابطة تجارية فمن المحتمل جداً أن يتسرب إلى كاتم فى القرن الأول الهجرى ، ويتشر بالتدريج بين الشعب ، ثم يصل إلى

(٧) إفتاق المسور ، ص ١٠ .

ذروته حينما اعتنق ملكها الإسلام فأصبحت المملكة منذ ذلك الزمن دولة مسلمة .
ولقد أصبح الإسلام فيها منتشرًا فيما بعد « في سلاطينهم وعامتهم ، بل لا يوجد في هذه
البلاد عامة معتنون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وكتابته منهم »^(٨) .

كانت عاصمة تلك المملكة ومركز السيادة هي النجى Njimi في كاتم إلى النصف
الثاني من القرن الرابع عشر . فكثرت الحروب عندئذ بينها وبين شعب بلالا Bulala
واشتد الأمر على كاتم . فلم تزل بلالا تقاتلها وتتصر عليها إلى أن وصلت قلب كاتم وإلى
العاصمة ، وتتابع سقوط ملوكها صرعى تحت أقدام بلالا . وأخيرًا لم يجد ملك كاتم
عمر بن إدريس حلاً لتلك الأزمة إلا الهجرة ، فهاجر هو وجيشه وديوانه إلى منطقة
برنو . فلم تزل برنو في حروب مع بلالا من جهة ، وفي حروب أهلية من جهة أخرى إلى
أواخر القرن الخامس عشر ، حين أصبح على غاج بن دناما بن برى
Ali Gaji b. Dunama b. Biri ملكاً على برنو^(٩) فبذل جهوداً كثيرة ، وأعاد للمملكة
قوتها ، وبنى عاصمة جديدة بغزرغمو Ngazargamu ومن ذلك أصبحت المملكة
معروفة بمملكة برنو . وبعد أحد الملوك الثلاثة المشهورين في تلك المملكة . وأما الملك
الذى ضرب البلالا ضربة شديدة فقدت بعدها توازنها ودخل النجى فهو إدريس
كتغرمي Katagarmabe وفي خلال القرن السادس عشر شاهدت مملكة برنو عصرًا
مزهراً بالفتوحات وبالتقدم السياسي والثقافي . ذلك هو عصر ملك إدريس ألوما
(١٥٧١ إلى ١٦٠٣ م) ، الملك العالم العادل والشجاع التقى ، حسب ما يصفه لنا
مؤرخه أحمد بن فرطوه Fartuwa^(١٠) . قام بعدة غزوات ضد البلالا واستولى على
المناطق الواقعة في غربي برنو كلها حتى وصل إلى كنو . وهكذا وصلت مملكة برنو إلى

(٨) إتفاق المسور ، ص ٩ .

Abdullahi Smith, p. 174.

(٩) انظر تفصيل ذلك في :

(١٠) أحمد بن فرطوه ، تاريخ مي ادريس وغزواته ، كنو ١٩٢٢ ، ص ١٣٦ .

أوجها . ثم بدأ الضعف يدب فيها بعد ذلك . وكانت كذلك إلى أن ظهرت الثورة الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في القرن التاسع عشر .

ولقد استطاع ملوك كانم وملوك برنو بعد ذلك إيجاد علاقة سياسية وتجارية بين مملكتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة مصر وطرابلس وتونس ومراكش . وكذلك الحجاز بسبب الحج . وقد أورد لنا المؤرخون بعض المراسلات التي جرت بين هذه المملكة وتلك البلاد العربية . والظاهر أن هذه العلاقة بدأت بسبب الحج إذ أنه من المعروف أن كثيراً من ملوك كانم - برنو كانوا - ولا يزالون يؤدون تلك الفريضة (١١) .

ويذكر لنا ابن خلدون وصول رسول من كانم في سنة ٦٥٥ هـ ١٢٥٧ م إلى أبي عبد الله محمد (المستنصر الأول) أحد خلفاء بني حفص بتونس ، وكان الرسول يحمل معه هدايا ثمينة إلى الخليفة (١٢) . وقد أورد لنا أيضاً القلقشندي نص الرسالة التي كتبها ملك برنو عثمان برى بن إدريس (١٣٩١ - ١٣٩٣ هـ) إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بمصر يستنجد به ضد أعدائه ، ويذكر له الحالة الاضطرابية الموجودة في بلده حين ذاك (١٣) .

ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة . فقد انتشر فيها التعليم وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء ، ومما ساعد في نشر اللغة العربية وجود عدد كثير من

(١١) انظر إتفاق المسور ، ص ٨ .

(١٢) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٣١٠ وما بعدها ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ويذكر الناصري أيضاً في كتابه الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (ج ٥ ص ١٠٤ وما بعدها) أن رسول ملك البرنو قدم إلى المنصور في سنة ٩٩٠ هـ ومعه هدية إليه من العبيد والإماء والكساء قوبل بمجاورة عظيمة . وكان ملك البرنو يطلب من أمير المؤمنين المنصور المدد من الصاكر والبنادق ومدافع النار ، فاشتراط عليه الأمير أن يدخل في بيعته أولاً لقبول الرسول ذلك وكتبت صورة البيعة التي أخذها الرسول إلى ملك البرنو . انظر تفصيل ذلك في الكتاب المذكور .

(١٣) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى ، القاهرة ١٩١٣ إلى ١٩١٩ ، الجزء الثامن ،

ص ١١٦ وما بعدها .

العرب الوافدين إليها ، والذين اشتهروا باسم قبيلة شوا Shuwa وهذه القبيلة تسكن الحدود الشرقية للبرنو بجوار نهر تشاد (١٤) .

ويتضح فيما سبق أن مملكة كانم - برنو تأسست قبل القرن العاشر الميلادي بكثير ، ثم دخل إليها الإسلام عن طريق التجار أولاً وانتشر تدريجياً ، كما دخلت اللغة العربية وانتشرت ، ولقد ساعد في انتشارها وجود عدد كبير من العرب فيها ووجود صلة تجارية وثقافية وسياسية مع البلاد العربية الإسلامية . وهكذا كان حالها إلى مطلع القرن التاسع عشر .

ولايات الهوسا :

كانت كلمة الهوسا تطلق على الشعوب والقبائل الساكنة بين مملكة برنو شرقاً والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غرباً ، ومن حدود مملكة أهير شمالاً إلى حدود نهر بينوى جنوباً ، وتطلق كلمة الهوسا على اللغة التي تحدث بها هذه الشعوب والقبائل . فهي لغة كانت ولا تزال متشرة على نطاق واسع في غربي إفريقيا كلها ، وكانت لغة المعاملات التجارية والمالية Lingua Franca فيها . وهي إحدى اللغات الإفريقية الثلاثة الرئيسية التي يتكلم بها المسلمون في إفريقيا . أولاً وأكثرها انتشاراً اللغة العربية ، وثالثها اللغة السواحلية . وقد تأثرت هذه اللغة كثيراً باللغة العربية ، وخصوصاً بعد انتشار الإسلام في غربي إفريقيا . وكانت العلاقة الموجودة بين العرب وتلك القبائل هي التي جعلت لغة الهوسا أقدم اللغات الإفريقية التي تكتب بالحروف العربية .

(١٤) هاجرت شوا إلى البرنو في أواخر القرن الرابع عشر ، ويقال إنهم كانوا من قبيلة بني هلال التي طردت من مصر في العهد الفاطمي . طردهم الخليفة المستنصر . واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة والبطش ولذلك استفاد بهم ملوك البرنو في الجيش .

كانت تلك الشعوب والقبائل التي تتكلم بهذه اللغة ساكنة ومبعثرة في تلك المنطقة من زمن سحيق . ويقول المؤرخون إنها كانت مجموعات زراعية تسكن في أرض خصبة ، كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى ، وتجمعها لغة الهوسا كلها ، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن تكاثرت وتجمعت ثم تطورت إلى ولايات عدة (١٥) .

ونحن في الواقع لانعرف شيئاً عن تاريخ نشأة تلك الولايات ولاعن الفترة التي أخذتها قبل تطورها إلى ولايات . وكل مانعرفه عنها هو وجود عدد من تلك الولايات في القرن الحادى عشر الميلادى . ومنذ ذلك التاريخ ازدهر بعضها وأصبح مركزاً تجارياً وملقى للقوافل التجارية (١٦) .

ولاينخلو تاريخ نشأة الولايات في إفريقية من أساطير لعدم وجود الوثائق التاريخية القديمة التي يمكن الاعتماد عليها . والأسطورة الشائعة عن بزوغ ولايات الهوسا تقسمها إلى مجموعتين :

الأولى : وتسمى بالولايات السبع الأصلية Hausa Bakwai وهي : Kano وكنته Katsina وزكرك Zazzau ودورا Daura وغوير Gobir وغارن غبس Garun Gabas

والثانية : وهي : كيب Kebbi ونقى Nupe ويربا Yoruba وياورى Yawuri وكوررفا Kwararrafa وبرغو Bargu وزنفرا Zanfara وهي الولايات السبع الفرعية Banza Bakwai وتقول إن تاريخ نشأتها كولايات يرجع إلى وقت واحد ، وإن مؤسسها وأمرائها الأوائل كانوا من أصل واحد وأب واحد وهو بياجد Bayajida وإن باوو Bawo بن بياجد هو الذى أنجب سبعة أولاد قام كل واحد

= انظر : Mabogunje, Akin, *The Land and Peoples of West Africa, West Africa*, op. cit, p 27.

Abdullahi Smith, p. 187

(١٥) انظر :

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

منهم بتأسيس ولاية وهي المجموعة الأولى (١٧) .

ومن المحتمل جداً أن يكون الإسلام قد بدأ يندخل في بعض هذه الولايات عن طريق التجارة في وقت مبكر كما دخل في غانة القديمة أوكانم . وما يذكره بعض المؤرخين (١٨) من أن الإسلام كان منتشرًا في القرن الحادى عشر من مملكة غانة غرباً إلى مملكة كانم شرقاً يؤيد هذا القول ، لأن هذه الحدود المذكورة تضم أكثر ولايات الهوسا التي كانت موجودة في ذلك الزمن ، ولكن انتشار الإسلام بطريقة واسعة لم يحدث إلا في القرن الرابع عشر حينما بدأ عدد كبير من القبائل الفلانية Fulani يهاجرون من مملكة مالى وماجاورها إلى بلاد الهوسا شرقاً . وكان لهذه الهجرات أثر بعيد في تاريخ نيجيريا فيما بعد .

وللمؤرخين في أصل الفلانيين أقوال كثيرة مختلفة وهم أيضاً مقسمون إلى مجموعتين رئيسيتين : المجموعة الأولى سكنت المدن واختلطت بالسكان الأصليين وتزاوجت معهم وفظنت واستقرت ، وهي تسمى بفلانن غداً Fulanin Gida (الفلانيون المقيمون) وهم مسلمون وتمسكون بدينهم ، وفيهم علماء ينشرون الدين بطريقتى التدريس والدعوة ، ويتنقلون من مدينة لأخرى طلباً للعلم . وبما أن ثقافتهم الدينية أرقى من ثقافة غيرهم من سكان تلك المناطق ، فإنهم إذا دخلوا مدينة سرعان ما يسيطرون على سكانها ويأخذون بزمام الملك فيها . وقد شاهدت ولايات الهوسا ذلك بطريقة واسعة عندما استولى الفلانيون على الولايات كلها ، واحدة تلو أخرى تحت زعامة قائدهم الشيخ عثمان بن فودى في مطلع القرن التاسع عشر . واستمروا يحكمون فيها إلى أن اعتدت القوات الاستعمارية على تلك البلاد واستولوا عليها سنة ١٩٠٣ م . وكان الفلانيون منتشرين في غرب إفريقيا ، واعتنقوا الإسلام في وقت مبكر وثقفوا بالثقافة العربية

(١٧) والأسطورة الشائعة تقول إن يياجد وكان اسمه الحقيقى أبا يزيد هو الذى هاجر من الشرق إلى دورا .

الإسلامية وساعدوا كثيرا في نشرها في غربي إفريقيا ووسطها ، يقول عنهم فرنسيس مور Francis Moore وقد زار موطنهم على نهر الجمبيا سنة ١٧٣١ م . إنهم ينتشرون على نهر الجمبيا وإنهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلمون العربية لأنهم يتعلمونها في مدارسهم ، ولهم لغة غير مهذبة تسمى (فول) ... ولهم رؤساء يحكمونهم حكماً معتدلاً .. وهم يشتهرون بالكرم ولوفرة القمح عند الفلاني لا يدعون أى واحد منهم يقاسى الحاجة ، بل إنهم يعولون المسن والأعمى والأعرج ، ويساوون بينهم وبين الآخرين ... وأهل هذه البلاد مسلمون مخلصون لدينهم^(١٩) .

والمجموعة الثانية وهى التى تسكن الخلاء وترعى البقر والمواشى تسمى بالفلانيين الرحل Fulanin Daji أو بررو Bararo فهم يشبهون البدو الرحل ، ولايسكنون المدن ، ولكنهم يتقلون من واد إلى آخر التماساً للمرعى والماء . وفى الغالب لا يختلطون ولا يتراوجون مع غيرهم ، ولذلك حافظوا على جنسيتهم . وقد يتعاملون مع المجموعة الأولى لاتحاد أصلهم ولغتهم . وربما يعتنق بعضهم الإسلام ، ولكن إسلامهم فى الغالب مختلط بعبادات وتقاليد وثنية غير إسلامية وذلك لجهلهم جهلاً تاماً بالإسلام^(٢٠) . ويعرفون بالشجاعة والمروءة والصدق وحب العزلة ، وفيهم الغلظة وإباء النفس . ولا يزال كثير منهم إلى يومنا هذا فى هذه الحالة . وهذا ما جعل كثيراً منهم يعافون إرسال أولادهم إلى المدارس ، بل يرافقهم أطفالهم حينما ذهبوا ويتعلمون تلك الحياة الهمجية البدائية . هذه المجموعة وتلك كانت منتشرة فى ولايات الهوسا وغيرها منذ القرن الثالث عشر الميلادى^(٢١) ، ثم ظهر الشيخ عثمان بن فودى القائد الفلاني

(١٩) نقلا عن حسن إبراهيم حسن من كتابه انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية ، مكتبة النهضة ، الطبعة الثانية ، ص ١١٨ إلى ١١٩ .

(٢٠) انظر بعض تلك التقاليد الوثنية فى إنفاق الميسور ، ص ٣١ .

(٢١) انظر :

المشهور في القرن التاسع عشر ، فجمع شملها تحت زعامته ، وكون أمة قوية أخذت على عاتقها نشر الثقافة الإسلامية تحت دولة مسلمة .
وبجدد بنا الآن أن نتكلم على ثلاث ولايات رئيسية من ولايات الهوسا كان لها الفضل في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المناطق قبل تأسيس مملكة سكتو ، وهي كنو وكثنة وزكرك .

ولاية كنو :

تعتبر كنو أهم ولايات الهوسا ، وقد ازدهرت وصارت مركزاً تجارياً هاماً في غربي إفريقيا ، وخاصة من القرن الخامس عشر ، ويرجع تاريخها المدون إلى القرن العاشر الميلادي . وتذكر المراجع التاريخية أن أهل كنو قبل هذا التاريخ كانوا يسكنون بجوار تل دال Dala وكانوا يعبدون صنماً اسمه ثمبريرا Tsumburbura وهو عبارة عن شجرة كبيرة محاطة بسور عال لا يدخله إلا الراهب الكبير . واشتهر من رهبانهم بربوشى Barbushe (٢٢) وهو رئيسهم وكان يسكن على تل دال ولا يتزل منه إلا مرة واحدة في السنة ، ثم أتى بغودا Bagauda هو وجاعته واستولى على السكان ، وأصبح ملكاً عليهم من سنة ٩٩٩ إلى ١٠٦٣ م (٢٣) وبعد وفاته خلفه أولاده ، ثم توالى الملوك واحداً بعد الآخر إلى مستهل القرن التاسع عشر الميلادي .

ومن الصعب جداً تحديد تاريخ دخول الإسلام إلى كنو أيضاً ، ولكن المعقول ، كما ذكرنا سابقاً ، أن يكون دخوله مبكراً عن طريق التجارة وقد كانت كنو مركزاً تجارياً هاماً . وكان سوقها كاسور كرمي Kasuwar Kurmi من أكبر الأسواق في غربي إفريقيا يغشاه التجار من شتى النواحي .

(٢٢) انظر تاريخ كنو الذي سبق ذكره . ص ١٧

والذى تقوله المراجع التاريخية (٢٤) هو أن أول ملك أسلم في كنهو الملك الحادى عشر على ياجى بن ناميا Ali Yaji dan Tsamiya فى النصف الأول من القرن الخامس عشر. وتذكر أن وفداً من الونفراوين (٢٥) يبلغ عددهم أربعين قد وصلوا إلى كنهو حينذاك ويقودهم زعيمهم عبد الرحمن زيقى . ولما وصل الوفد إلى كنهو اتصل بالملك ودعاه إلى الإسلام وإلى نشره فى مملكته وإلى بناء المساجد ، وإقامة شعائر الإسلام فقبل الملك ذلك وأسلم ، ثم أصدر أوامره إلى كل المديرىات التى تحته بنشر الإسلام والعسك بتعاليمه . وبنى مسجدًا فى مكان الشجرة التى كانوا يتخذونها مكانًا لعبادتهم ، ثم عين الملك بعض أعضاء الوفد لمناصب ذات أهمية فى المجتمع الإسلامى . فعين عبد الرحمن زيقى قاضياً وغردامس إماماً ومحمد الأول مؤذنًا وأوتا مشرفاً على ذبح اللحوم على الطريقة الشرعية .

وأما مندولى (مَنَدَوْرِي) فهو الذى عين إماماً للونفراوين كلهم ولرؤساء الناس فى كنهو (٢٦) . فمن هذه الرواية نستطيع أن نستنتج أن الإسلام كان معروفًا فى كنهو قبل ذلك التاريخ . فليس من المعقول أن يدخل وفد كما دخل أولئك ويأتى بدين جديد غير

(٢٤) والذى ورد فى مخطوط تاريخ كنهو هو أن هذا الوفد وصل إلى كنهو فى عهد على ياجى . ولكن الدكتور محمد الحاج قد اكتشف أخيراً مخطوطاً آخر اسمه « ورقة مكتوبة فى أصل الونفراوين للتسبين للشيخ الفقيه العالم العلامة التقى الصالح البالغ فى العلم درجة القدوة وهو للمسى باسم البركة عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن محمد قثم الونفري » . وهذا المخطوط الثانى يقول إن الوفد وصل فى عهد الملك محمد رمفا ، وهو زمن وصول المغيل أيضاً . فلا ندرى أى الروايين أصح . ويجوز أن يلتبس أمر هاتين الزيارتين ، على كاتب المخطوط الثانى لعدم معرفته للفترة التى بين المهدين . ترجم محمد الحاج هذا المخطوط وعلق عليه ونشره فى مجلة دراسات كنهو ، ج ١ رقم ٤ ، سنة ١٩٦٨ ، ص ٧ وما بعدها .

(٢٥) ونفرا Wangara هو البلد الذى اشتهر بكثرة الذهب وجودته فى القرون الطابرة ويقع على الضفة الغربية لنهر السنغال . وكان تحت مملكة مالى حينما هاجر الوفد منها إلى كنهو . انظر دراسات كنهو المذكورة ، ص ٧ . وانظر أيضاً :

Bovill, p. 191.

(٢٦) تاريخ كنهو المذكور .

معروف فيجد ذلك القبول وتلك الحفاوة التي وجدها في كنفه وخاصة من الأسرة الحاكمة . فالذي يغلب على الظن أن الإسلام كان منتشرًا إذ ذاك وكانت مزاياه قد اتضحت للناس . ومن الممكن أن تفسر هذه الحفاوة بحاجة المجتمع الإسلامي في كنفه إلى علماء متخصصين في شئون الدين ، وتحقق هذا المطلب في وفد الونفراوين . ومن ثم كان الترحيب به ذا طابع علمي ، وكان أيضًا تقليده مناصب ذات طابع علمي . وبما لاشك فيه أيضًا هو أن الأسرة الحاكمة بدأت في ذلك الزمن تعاف ماتراه من ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به الرهبان الوثنيون الذين كانوا يحكمون المجتمع قبل أن يؤسس بغودا مملكته في أواخر القرن العاشر . فالملاقة بين الحكام الجدد وبين الرهبان الحكام القدامى ، بطبيعة الحال لم تكن حسنة كما يبدو . وقد ورد أن الملك التاسع ثامبيا تمكن من اقتلاع الشجرة التي يقلمسونها وهدم السور الذي يحيط بها ، فهرب إذ ذاك راهبهم الكبير واختفى في مكان يسمى طن كوى^(٢٧) . وليس من الضروري أن يكون ذلك حبة للإسلام أو كراهية للوثنية ولكنه رد فعل ضد أولئك الرهبان ، إلا أن هذه الواقعة وماحدثت من وصول الوفد من ونفرا والحفاوة التي وجدها أفرادها كل هذه تدل على وجود مجموعة مسلمة تستطيع أن تقوم على قدميها ، وتدافع عن نفسها عند الحاجة . فالملك لم يكن يستطيع أن يهدم المعبد لولا أنه قد عرف أن هناك قوة تستطيع أن تمد إليه يد المساعدة عند الحاجة إليها . وكذلك لولا أن رأى الملك على ياجي من مزايا الإسلام ما يستميله إليه ومن المسلمين ما يجعله يثق بهم لما أصدر تلك الأوامر التي أصدرها إلى مملكته .

كان انتشار الإسلام إذن في كنفه على يد علي ياجي ، وقد بذل قصارى جهده في ذلك ، كما قام بشن غارات عنيفة ضد مجوس فندا وكوررفا وأبلى بلاء حسنًا^(٢٨) .

Hogben, p. 98.

(٢٧) المصدر نفسه . انظر أيضا :

(٢٨) المصدر السابق .

وتعاقبت الملوك إلى عهد محمد رمفا Rumfa ١٤٦٣ - ١٤٩٩ ذلك العهد الذى يستحق الذكر لما حدث فيه من نشاط كثير نحو نشر الإسلام والثقافة العربية ، ولكون هذا الملك من أشهر ملوك كنو فى تلك القرون . وفى عهده وصلت كنو إلى ذروة شهرتها ، فأصبحت مركزاً تجارياً وثقافياً هاماً لافى نيجيريا فحسب ، بل فى غربى إفريقيا كلها ، وفى عهده قام الشيخ محمد بن عبد الكرم المغيلى التلمسانى ^(٢٩) بزيارة إلى كنو . فاستقبله الملك استقبالا عظيماً وأكرمه غاية الإكرام . وكان لهذه الزيارة أثر بالغ فى نشر الثقافة الإسلامية فى هذه المملكة . وقد اتخذ محمد رمفا هذا الشيخ صديقاً أميناً وشيخاً هادياً حتى أصبح المغيلى مستشاراً خاصاً للملك يستشيريه فى أمور دينه ودولته . وساعد الشيخ الملك فى تأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة . وأمره بتكوين مجلس استشارى يضم الوزير والقاضى والإمام وبعض رجال الدولة . وكان الشيخ ذاته يجلس فيه ويشترك فى تنفيذ أموره وخلفه ابنه فيه بعد مغادرته لكنو ^(٣٠) . ولا يزال أفراد ذريته يجلسون فى مجلس أمير كنو إلى يومنا هذا .

وللشيخ المغيلى وصية مشهورة كان قد كتبها لمحمد رمفا لتكون مرجعاً له فى سياسته . وكانت بدون شك بمرتلة دستور حكومى دقيق ، أكد فيها المغيلى وجوب درء المفسد الدينية والدينيوية بالقوة فقال ^(٣١) : « إنه لا بد من درء المفسد الدينية والدينيوية بالمقاعم الشرعية على حسب الطاقة البشرية ، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده مع إمكان رده عنه بسبب أو لعن أو حبس أو ربك أو ضرب أو صلب أو قتل أو نهب أو نهب

(٢٩) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكرم بن محمد المغيلى . ولد فى سنة ١٤٢٥ تقريباً ونشأ فى تلمسان . انظر ترجمته فى رسالة الدكتور غورزو بعزان المغيلى ، حياته وأفكاره ، الفصل الثالث ، ص ٣٠ وما بعدها وصورة الرسالة موجودة فى مكتبة كلية عبد الله بايرو ، بكنو .

(٣٠) ترك ثلاثة أولاد فى كنو ومنهم السيد فرى ، انظر تاريخ كنو المذكور .

(٣١) الشيخ عثمان بن فودى ، تنبيه الإبحان على أحوال أرض السودان . مخطوط فى مكتبة الوزير الخاصة ،

ص ١٤ وعندى نسخة مصورة .

ماله أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية . لكل داء دواء ولكل مقام مقال . وذكر فيها أن الملك لا بد أن يكون دائماً على حذر نحو رعيته لثلا يرجع الناس إلى كفرهم ، لأن الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب ، ولا بد من منع كل أنواع الشرك وجميع المحرمات ، ولا بد أن يهتم الملك بكل مافي مملكته وبكل مصالح رعيته ، فلا يترك الغشاشين والمطففين في السوق ، بل يعاقبهم بالحبس والضرب والقتل والنهب (٣٢) . وفي آخر الوصية أشار عليه بالقيام بالعدل في سياسته وبألا يفرق بين رعيته في إقامة الحدود الشرعية فقال : « واعلم أن الناس في حكم الله ورسوله سواء فلا تخرج من ذلك عالماً ولا عبداً ولا شريفاً ولا أميراً وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى » (٣٣) .

ولقد كان لهذه الزيارة التي قام بها الشيخ المغيلي إلى كنو صدى كبير ونتائج عظيمة تركت أثراً واضحاً لا في كنو فحسب ، ولكن في ولايات الهوسا جميعها . لأن انتشار الإسلام في كنو أدى إلى انتشاره في الولايات الأخرى . ومن ذلك الوقت نستطيع أن نقول إن ولاية كنو أصبحت ولاية إسلامية حقاً وبدأت بعدئذ تلعب دوراً هائلاً في خدمة الثقافة الإسلامية في الولايات الأخرى . واستمر الإسلام يتسع ويتشتر ، كما استمرت الثقافة العربية تتسع وتتقدم في هذه الولاية ، ولقد أصبحت مركزاً ثقافياً نفذ إليها وفود عديدة من العلماء وطلاب العلم من كل صوب كما سنرى قريباً .

ولاية كئنة :

يرجع تاريخ ولاية كئنة كغيرها من ولايات الهوسا الأخرى إلى القرن الحادى عشر . ويقال إن أول ملك لها يعرفه التاريخ هو Kumayo حفيد يياجد ، الجذ الأول للملوك

(٣٢) المرجع نفسه ، ص ١٦ .

(٣٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

الهوسا^(٣٤) . وكانت كمثيلتها كنو مركزاً تجارياً هاماً وملتقى لخطوط تجارية تصل من الشمال . ولذلك كانت هناك منافسة شديدة بين الولايتين في القرون الغابرة ، وأول ملك لها اعتنق الإسلام - كما تذكر المراجع - هو محمد كورو Korau (١٤٩٣ م) وقد يكون إسلامه على يد المغيلي الذي زار كئنة وكنو في سنة ١٤٩٣^(٣٥) كما ذكرنا سابقاً وربما يكون قد أسلم قبل زيارة المغيلي ، ولكن وصوله أثر فيه وساعد في تأسيس حكومة إسلامية كما سبق أن رأينا في كنو .

وكانت مملكة صنغاي قد أغارت على ولاية كئنة سنة ١٥١٢ - ١٥١٣ م واستولت عليها . وبقيت كئنة تحت سيطرتها لمدة تبلغ أربعين عاما تقريبا^(٣٦) وعلى الرغم من كون كئنة تابعة لصنغاي في تلك الفترة فقد ازدهرت من الناحية الثقافية . لقد زار كثير من علماء تمبكتو هذه الولاية وأقاموا فيها ودرسوا ، كما قام عدد من طلاب العلم منها بالرحلة إلى تمبكتو وجمنى يقبسون ما لهاتين المدينتين من الثقافة العربية الإسلامية^(٣٧) ، وظلت كئنة حيناً من الدهر عرضة لغارات تشن من الولايات الأخرى المجاورة لها . وكانت في حروب مع كنو في عهد محمد رمفا ، واستمرت لإحدى عشرة سنة ثم توقفت فترة لتبدأ من جديد بعد فترة قصيرة .

ولم يبدأ القرن الثامن عشر إلا وكئنة في أوج سلطانها حتى إنها أصبحت أهم من كنو من الناحية التجارية والثقافية معاً . بل إنها في تلك الفترة فاقت تمبكتو التي بدأت تتقهقر وبدأ العلماء منها يواصلون هجراتهم إلى كئنة وكنو . وهكذا كانت كئنة تتمتع بمركزها الرئيسي في غربي إفريقيا إلى أواخر القرن الثامن عشر . ثم دخلت في حروب مع

(٣٤) انظر : Hogben, p. 80 وانظر أيضاً : Abdullahi Smith p. 192 .

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ٨٣ .

(٣٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣٧) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

غوير أدت إلى ضعفها (٣٨) وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأت حركة الجهاد على يد الشيخ عثمان وأصبحت كثنة كما أصبح غيرها خاضعة للدولة الإسلامية الجديدة .

ولاية زكرك :

ظهرت زكرك أيضاً بوصفها ولاية في القرن الحادى عشر . ولكنها تختلف عن كنو وكثنة . فهى لم تكن مركزاً تجارياً ولم تكن ملتقى للخطوط التجارية كما كانتا . ويذكر المؤرخون أن ملكتين عظيمتين قد ملكتا هذه الولاية في القرن السادس عشر . وهما أمينة وزاريا . والملكة الثانية هى التى أعطت زكرك اسمها الجديد زاريا . Zaria الذى تعرف به من ذلك الوقت إلى اليوم . ويقال إن أمينة قد شنت غارات كثيرة على الولايات المجاورة لها وخاصة كنو وكثنة اللتين أصبحتا تحت سيطرتها وكانتا تدفعان أتاوة لها (٣٩) .

وتقول المراجع إن أول ملك اعتنق الإسلام هو محمد ريو Raba وكان ذلك في أواخر القرن الخامس عشر . إلا أن هناك مشكلة غامضة وهى أن التاريخ سجل لنا اسمى ملكتين حكمتا في هذه الولاية في القرن السادس عشر . وهذا أمر يخالف التقاليد الإسلامية . كما سجل التاريخ بعض أسماء لحكام تدل على أنهم غير مسلمين . ولعل الواقع هو أن الإسلام دخل بواسطة الولايات المجاورة لها واعتنقه بعض حكامها ، وقد يكون الملك مسلماً ثم يخلفه غير المسلم أو يرتد المسلم كما حصل في ولاية كنو ، ولعل الفترة التى قامت فيها الملكتان بالحكم في زاريا بعد حكم محمد ريو لم يكن أصحاب الحل

(٣٨) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣٩) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

والعقد فيها مسلمين . ولعلّ الإسلام لم يكن فيها منتشرًا إلا في القرن الثامن عشر وعندئذ بدأت الثقافة العربية في النمو والانتساع . وفي القرن التاسع عشر أصبحت هذه الولاية من أهم مراكز التعلم في تيجيريا ، ووفد إليها كثير من طلاب العلم واشتهرت بعلمى النحو واللغة .

البَابُ الأوَّلُ

دور الإسلام في نشر اللغة العربية

الفصل الأول : أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية .

الفصل الثاني : الشيخ عثمان بن فودي وثورته الإصلاحية .

الفصل الأول

أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية

رأينا سابقاً كيف دخل الإسلام في مملكة البرنو وولايات الهوسا الرئيسية . وذكرنا أن ذلك كان عن الطريق السلمى ، طريق التجار والدعاة . وكان التجار قبل دخول الإسلام قد بدعوا في وضع الحجر الأساسى للعربية كما تقدم ، ولقد بدأت البذور الأولى . تبنت وتوسع بانتشار الإسلام . فحيثما وضع الإسلام قدميه يدخل معه التعلم ، إذ يجب على كل مسلم أن يتعلم على أقل تقدير ما يكفيه لأداء فرائضه من صلاة وغيرها . فيتعلم بعض الآيات والسور القرآنية وبعض الاصطلاحات الدينية ^(١) ولا يخفى أن الدين الإسلامى دائماً يشجع التعليم ويجعله جزءاً لا يتجزأ من الدين ، ويعطى العلماء في المجتمع الإسلامى منزلة لا تساويها منزلة . (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ^(٢) ولا نبالغ إذا قلنا إن العالم في المجتمع النيجيرى في القرون الماضية كان يتمتع بتبجيل وإجلال يكاد يبلغ حد التقديس وذلك لما يمتاز به من ثقافة دينية راقية . فيلتف حوله عدد من الناس ليتعلم وليتثقف ، بذلك تبتدى الفصول الدراسية وبالتدريج تترعرع وتزدهر . ولا يزال العلماء يتمتعون بهذه المكانة إلى يومنا هذا وخاصة أصحاب الطرق الصوفية .

(١) ولا يزال قادة الفكر الإسلامى يرددون هذه الفكرة إلى يومنا هذا . نشرت جريدة الأهرام نداءً للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية يقول فيه إن تعلم العربية ضرورى لكل مسلم . الأهرام ١٩٧٣/٧/٣١ صفحة ٤ .

(٢) الآية رقم ٩ من سورة الزمر .

وقد ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام . وكان المجتمع المسلم النيجيري كغيره يهتم بهذه المدارس ويرسل الأطفال بنين وبنات إليها . فيتعلمون شيئاً من القرآن كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية . وطريقة التعليم في تلك المدارس أو الكتاتيب كما تسمى في مصر لا تختلف من منطقة إلى أخرى ، ولا تختلف في نيجيريا عن مثيلاتها في مصر . فكلها ذات طريقة تقليدية قديمة . ولم تكن تلك المدارس تخضع لأى نظام موضوع ، فليس للحكومة عليها يد ، وباستطاعة أى إنسان أن يفتحها ويدرس فيها إذا حفظ بعض السور القرآنية وتعلم الكتابة والقراءة . وليس بشرط أن يحفظ القرآن كله كما كان الحال في مصر . وفي الغالب كان المعلم يبدأ بتعليم أولاده أو أولاد أقاربه وأصحابه فيرسل الناس أطفالهم بعد ذلك حتى تصبح مدرسة . ويتعلم البنون والبنات فيها القراءة والكتابة ويستطيعون بذلك قراءة القرآن وكتابته . وفي خلال ذلك يتعلمون أيضاً قراءة وكتابة لغاتهم المحلية . هذه هي الصورة في كل المناطق التي دخل فيها الإسلام في نيجيريا .

ولهذا الجانب - أعنى جانب تعلم القراءة والكتابة - أهمية كبيرة . فلذلك كان إسهام المدارس القرآنية في نشر الثقافة في نيجيريا كبيراً جداً . فهي المدارس الوحيدة في ذلك العصر التي كانت تعلم الكتابة والقراءة . فإذا ما أكملها التلميذ استطاع بعد ذلك أن يقرأ القرآن ويقرأ كذلك لغته ويكتبها . فهي بمثابة المدارس الأولية ، أو تكاد تشبه ذلك المجهود الذي يبذل في عصرنا هذا نحو الأمية في بعض الدول ، وكل ذلك لم يكن يكلف الدولة مليماً^(٣) .

ولقد نال تعليم اللغة العربية أهمية كبيرة بعد تأسيس دولة سكتو كما سنرى فيما بعد إن شاء الله .

(٣) انظر سلسلة محاضرات أكتوبر للكتاب ، نشرته وزارة الثقافة والإرشاد النيجيرية سنة ١٩٧٢ .

وبانتشار الإسلام انتشر التعليم وأصبحت بعض المراكز التجارية مركزاً أيضاً للتعليم والثقافة العربية الإسلامية . وكونت صلة ثقافية وثيقة بمراكز التعليم الرئيسية في العالم الإسلامي منذ القرن الخامس عشر وخاصة بمصر والحجاز وطرابلس وتبكتو وفاس . وقد ذكرنا وجود القوافل من قديم الزمان . وبدخول الإسلام أصبحت تلك الخطوط التجارية والطرق الصحراوية خطوطاً ثقافية تربط بين منطقة وأخرى . يقبَس التجار فكرة من بلد فيبذرونها في بلد آخر فثبت بالتدريج حتى ثمر ثم تنتشر . وكان السفر إلى الحج أيضاً عاملاً مساعداً في ربط العلاقات الثقافية وكذلك السفر لطلب العلم ونشر الدعوة :

وكان العلماء يواصلون زيارتهم إلى تلك المراكز التجارية التي أصبحت فيما بعد مراكز ثقافية فيفيدون ويستفيدون . وقد يهاجر بعضهم إليها . فقد رأينا كيف أثمرت زيارة الشيخ المغيلي إلى كنو وكنته وكيف أنتجت هجرة الوفد الذي وصل إلى كنو في عهد علي ياجى .

وكثيراً ما يعرج إليها الحجاج من الممالك المجاورة إما عند الذهاب وإما عند العودة . فقد عرج على كنو على سبيل المثال من علماء تمبكتو أحمد^(٤) بن عمر بن محمد أقيت جد أحمد بابا المشهور . وأقام بها مدة ودرس فيها وانفتح به جمع كثير . وقد لقي هذا العالم جلال الدين السيوطى والشيخ خالد الوقاد الأزهرى وغيرهما عندما مرّ بمصر في طريقه إلى الحج وذلك في سنة ثمانمائة وتسعين هجرية ، وكذلك الشيخ محمد بن أحمد بن أبى محمد التازخى الذى أشتهر بأيد أحمد والذى يقول عنه السعدى إنه كان فقيهاً عالماً فهاماً متحدثاً متقناً محصلاً جيد الخط حسن الفهم كثير المنازعة^(٥) فقد تعلم ببلاده على يد أحمد بابا ثم لقي الإمام المغيلي بتكدة فحضر دروسه واستفاد منه . وبعد

(٤) السعدى - تاريخ السودان ، ص ٣٧ .

(٥) المرجع السابق والصفحة نفسها .

ذلك سافر إلى الشرق ولقى عدداً كثيراً من العلماء الأجلاء ، ووجد إجازة من أبي البركات النويري وغيره من مكة ثم عاد وتوطن كثنة فأكرمه الحاكم هناك وولاه منصب القضاء^(٦) .

وتذكر المراجع أيضاً الشيخ العالم الطاهر بن إبراهيم الفلاني الذي تنقل في الممالك المجاورة لنيجيريا ثم استقر في برنو وأصبح موضع إجلال هناك . وكان صريحاً في نصحه للسلطين لا يخاف في ذلك لومة لائم . وله عدة مؤلفات وأشعار ، منها نظمه الدرر اللوامع ومنتار الجامع في علم التصريف ، ومن الذين سافروا إلى الشرق ودرسوا ودرّسوا الشيخ محمد الفلاني الكثناوي . وكان عالماً متفتناً ، أقر له بالعلم والفضل علماء الحرمين ومصر .

يقول عبد الرحمن الجبرتي^(٧) إنه مر في رحلته (إلى الحج) بعدة ممالك واجتمع بملوكها وعلمائها . فمن بين من اجتمع به في كاغ برن الشيخ محمد كركك . وأخذ عنه أشياء كثيرة من علوم الأسرار والرمل . وأقام هناك خمسة أشهر . وعنده قرأ كتاب الوالية للكردى وهو كتاب جليل معتبر في علم الرمل وقرأ عليه الرجراجي وبعض كتب من الحساب ، وله رحلة تتضمن ما حصل في تنقلاته . وحج سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف . وجاور بمكة وابتدأ هناك بتأليف الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في علم الطلاسم والنجوم^(٨) . وبعد عودته من الحج أقام في مصر برهة مع صاحبه الحسن

(٦) السعدى - تاريخ السودان ص ٣٩ .

(٧) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، الجزء الأول ص ١٥٩ وما بعدها .

(٨) والظاهر أن الكثناوي قد أتم تأليف هذا الكتاب وهو في مصر ، فهو يقول في مقدمته : « وقع الفراغ من

تبييضه على يد مؤلفه وعمره الفقير المعترف بالذنب والتقصير محمد بن محمد الفلاني الكثناوي .. ضحى يوم الأحد لاثني عشر خلت من شهر الله الحرام رجب الفرد من شهر سنة ست وأربعين ومائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وذلك في بيت فاضل زمانه ولطف أوانه على الإطلاق كما اعتقد على ذلك الإجماع والانتهق التحرير الفاضل والأستاذ الكامل الشيخ حسن الجبرتي .. »

الجبرتي والد عبد الرحمن المؤرخ ، وتوفى هناك . ولهذا الشيخ أيضاً عدّة مؤلفات .
وأمثال هؤلاء من العلماء الذين وفدوا من الشرق إلى كثر أو كثر أو منها إلى الشرق
كثيرون . . ولقد لعبوا دوراً هاماً في نشر الثقافة العربية وخاصة في نشر التعاليم
الإسلامية ، إذ أن أكثرهم علماء وفقهاء .

ويجدد بنا الآن قبل أن نخوض في ذكر نتائج النهضة أن نذكر باختصار طرفاً من
تاريخ الشيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية لئلا نرى كيف أخذ زمام الملك من أيدي
ملوك الهوسا ، وأوجد مملكة إسلامية نهضت خلالها اللغة العربية . وذلك لأن تاريخ
تأسيس المملكة متعلق بتاريخ النهضة ولا يمكن إدراك قيمة نتائج النهضة إدراكاً كاملاً
إلا بمعرفة ذلك التاريخ .

= وأسلوب الكشواوي كما يتضح من هذا الكتاب سليم وسلس مما يدل على طول باعه في اللغة العربية وذوقه
الأدبي . انظر إليه في المقدمة أيضاً وهو يقول : « لما ساقني سائق القدر والإرادة الأزلية وقادني قائد الرحمة الإلهية
إلى زيارة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وإلى حج بيته الحرام ، فقضيت منها بعض وطرى وفزت بها والله
الحمد والمثنة بما لو أن لي في كل منبت لساناً لما أديت ببعض الواجب من شكره ... »
اكتشف الدكتور محمد الحاج هذا المخطوط في تركيا في مكتبة Nurosmaniye Kütüphaner رقم ٥٠٧٥
في سنة ١٩٦١ وقد أورد له الجبرتي بعض الشعر وهو :

طلبت المستقرَّ بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقراً
تبع مطامعي فاستعبدني ولو أتى قنعت لكنت حراً
انظر في الجبرتي ج ١ ص ١٦٠ .

الفضل السباني

الشيخ عثمان وثورته الإصلاحية

ولد الشيخ عثمان بن محمد فودي في أواخر صفر سنة ١١٦٨^(١) هـ الموافق ديسمبر سنة ١٧٥٤ م . ووالده محمد الملقب بفودي - ومعناه باللغة الفلانية الفقيه - ينتمي إلى قبيلة فلانية تسمى توروب - Torubbe وهي من القبائل الفلانية التي هاجرت من فوت^(٢) إلى أن وصلت تدريجياً بعد سنين إلى غوبر إحدى ولايات الهوسا حيث استقرت . وولد الشيخ عثمان هناك . وشبّ الغلام في قرية تسمى طفيل Degel وقرأ القرآن على والده . وبعد أن أكمله شرع يتقل من عالم إلى آخر ، يتعلم ويتفقه حتى أصبح عالماً كبيراً . ومن أشهر العلماء الذين قرأ عليهم وتأثر به شيخه جبريل بن عمر . وكان من أكبر العلماء هناك في ذلك الزمن . وتذكر المراجع أن جبريل كان قد رحل إلى الحج واتصل بكبار العلماء في الحرمين ثم رجع وتصدّر للتدريس والوعظ^(٣) وصاحبه الشيخ عثمان نحو سنة ، يقرأ عليه ويستمع إلى وعظه وإرشاداته . وحينما اعترم الشيخ جبريل الحج للمرة الثانية صاحبه تلميذه إلى بلاد أقدس ، وأراد أن يرافقه إلى رحلته هذه . ولكن الشيخ جبريل أمر التلميذ بالعودة إلى أهله لأنه لم يستأذن والده في الذهاب إلى الحج^(٤) . فكّر الشيخ عثمان راجعاً^(٥) واستمر أستاذه إلى الأراضى

(١) الجنيد ، ضبط الملتقطات ، مخطوط عنده ، ص ١٠٤ وعندى نسخة مصورة منه .

(٢) وهي تقع الآن في السنغال . (٣) انظر إنفاق اليسور ، ص ٢٧ .

(٤) الشيخ عبد الله بن فودي ، يلداع النسخ ، طبعة نولا ، ص ٥ .

(٥) ظن بعض الكتاب أن الشيخ عثمان قد حج وليس هذا صحيحا ، ظن ذلك كل من الدكتور أحمد شلبي في =

المقدسة ، وبعد رجوعه أقام في بلدة أدر Adar وظل بها بقية حياته ، وتوفي ودفن بها . ولا شك أن الشيخ جبريل قد أثر في الشيخ عثمان تأثيراً كبيراً ، وقد أقر بذلك الشيخ عثمان حيث يقول عن شيخه هذا : « إنه أول من قام بهدم هذه العوائد الذميمة في بلادنا السودانية هذه . وكان كمال ذلك ببركة الله على أيدينا . . ونحن بالنسبة إلى مقامه نسبة الضالع من الضليع :

إن قيل فيَّ بحسن الظن ما قِلا فوجدة أنا من أمواج جبريلا (٦)

ويقول عن هذا الشيخ أيضاً السلطان محمد بللو بن عثمان :

شيخ الشيوخ بأرضنا جبريلُ بركاته مانالها تفصيلُ
كُشفت به ظلم الضلال كأنه في كشفها ببلادنا قنديل (٧)

وعندما ناهز الشيخ عثمان العشرين من سنه بدأ في حركته الإصلاحية . فكان يدرس للناس ويعظهم ويرشدهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويدعو بترك العوائد المخالفة للشرع وبإحياء السنن وإخجاد البدع (٨) ، ولم يزل ذلك دأبه ينتقل من قرية إلى أخرى للوعظ والإرشاد حتى اشتهر أمره وكثرت جماعته وأتباعه . ويقال (٩) إنه لم يكن يبالي بالملوك في ذلك الزمن ، لا يسير إليهم ولا يعاملهم في حين أن غيره من العلماء كان يلتف حولهم ويتلطف بهم التماساً للرزق والجاه . ولكن لما اشتهر أمره رأى أن لا بدّ من السير إليهم . فسار أولاً إلى أمير غوبر باوا Bawa غير ملتصق لرزق

= كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٦ ص ٢٢٦ حيث يقول : « ثم ذهب حاجاً إلى مكة ، واتصل هناك بالدعوة الوهابية وتأثر بها . والدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ص ١١٩ .

(٦) إفتاق الميسور ، ص ٢٧ ، ٢٨ والبيت من بحر الكامل .

(٧) المصدر السابق ص ٢٨ ، والبيتان من بحر البسيط .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٩) ضبط الملتقطات ، ص ١٧ .

أوجاه ، ولكنه كان داعياً وواعظاً . فبين للأمر الإسلام الصحيح ونصح به باتباع السنة وإقامة العدل في بلاده^(١٠) ، ولعل أمير غوير أصغى إليه في أول الأمر ، ولكنه لما فُكر في أمره وقدّر أدرك خطورة هذه الحركة الإصلاحية التي بدأ يدعو إليها الشيخ عثمان ، فخاف منه وضاق به ذرعاً . وقبل أن يتخلص من الشيخ عثمان وافاه الأجل فخلفه أخوه يعقوب وبعده نافتا Nafata ، وهو الآخر الذي أراد أن يطفى نور تلك الحركة الإصلاحية إلا أن مدة ملكه لم تطل ، فلم يلبث أن قضى نحبه . ثم تولى الأمر بعده ابنه ينفأ ، Yunfa وكان كسلفه أو أشد منه كراهة للحركة الإصلاحية^(١١) .

ومن الطبيعي أن يكره ملك غوير وأمثاله من ملوك ولايات الهوسا هذه الحركة الإصلاحية التي كان يبثها الشيخ عثمان حين ذاك لأنها تدعو لإقامة العدل ، وهم لا يريدون أن يعدلوا ، وبترك البدع المحرمة ، وهم لا يحبون تركها . وعلى العموم فإنها تدعو إلى إقامة الحدود الشرعية واتباع القوانين والنظم الإسلامية ، وهم يكرهون كل ذلك . وكانوا يحقدون على الشيخ لما كان يتمتع به من الاحترام من جماعته . وقد اتضح للملوك أن الجماعة الذين التفتوا حول الشيخ قد اتخذوه إماماً وقائداً لهم . وكان عددهم يزداد في كل وقت وحين .

ولما كثرت جماعة الشيخ كثرت مكائد أعدائهم عليهم ، وكادت تضيق عليهم الأرض بما رحبت لكثرة الأذى ، ولما يتوعددهم به الأعداء من الغزو والقتل^(١٢) وعندئذ بدأ الشيخ يحضّ جماعته على التسلح دفاعاً عن أنفسهم لئلا يغشاهم العدو على غرة^(١٣) ، وأخيراً اضطر الشيخ وجماعته أن يهاجروا ، فخرجوا من قريتهم طفلاً ،

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٢ وما بعدها .

(١٢) ضبط المتقطعات ، ص ٢٦ وما بعدها .

(١٣) عبد الله بن فودي ، تزيين الورقات ، مطبعة ابادن ١٩٦٣ ، ص ٥١ .

وهاجروا إلى مكان قرب حدود ولاية غوبر يسمّى غد Gudu وكان ذلك يوم الخميس الثاني عشر من ذى القعدة سنة ١٣١٨هـ (١٤) الموافق الحادى والعشرين من فبراير سنة ١٨٠٤م . ولما أصبحت هذه الجماعة منعزلة عن غيرها رأت ألاحيلة لها إلا أن تستعد للدفاع عن نفسها بمواجهة أعدائها . ورأت أن لا بد من اتخاذ إجراءات لازمة لتنظيم نفسها . فاجتمع رؤساؤها وتشاوروا فيما بينهم ، فانفقوا أولاً أن يختاروا رئيساً لهم ، فوقع الاختيار على الشيخ عثمان فبايعوه قائداً وإماماً لهم على الكتاب والسنة ، وأول من بايعه هو أخوه عبد الله بن فودى ثم ابنه محمد بللو وبعده صاحبه عمر الكم ثم بقية الجماعة (١٥)

هذه الحادثة كانت بمثابة فصل جديد في تاريخ نيجيريا . فهى نقطة البداية للحوادث التى هدمت ولايات الهوسا التى أشرنا إليها سابقاً ، وبُنيت مملكة سكتو على أساس كان قوامه الدين .

ولم تلبث الأحداث أن أدت إلى وقوع قتال بين جماعة الشيخ عثمان وأمير غوبر وأتباعه . فتبايعت الغارات التى أدت إلى واقعة كُتُو Koto تلك الواقعة التى وصفها محمد بللو بأنها أعظم واقعة بينهم وبين أعدائهم ، فهى كما قال بمثابة يوم الفرقان يوم التقي الجمعان (١٦) ، وكان أمير غوبر ينفذ قد أعد جيشاً كبيراً قاده هو بنفسه ونهض به صوب أعدائه . فلما التقي الجيشان وتحالط الصفان تقاتل الفريقان قتالاً عنيفاً . وهزَمَ أمير غوبر وجماعته فولّوا هاربين . وفى ذلك يقول عبد الله بن فودى فى قصيدة له :

فَشَتَّ جَمْعَهُمْ وَهُمْ عِطَاشٌ حَيَّارٌ مِثْلَ غَوْغَاءِ الْجِرَادِ
قَتَلْنَاهُمْ وَحَزْنَا كُلَّ مَالٍ لَهُمْ تَرَكَوهُ مَنْشُورًا بَوَادِ

(١٤) ضبط المتنقطات ، ص ٢٦ إلى ٢٧ .

(١٥) إنفاق الميسور ، ص ٧٠ إلى ٧١ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

وكان ينفا في مقدمة الهاربين كما تذكر هذه الآيات :

ففرّ بلا التفات ينفا يعدو أمام خيوله تعدو بداد
فأنقذه من الموت المتاح تعلقه على عرف الجواد (١٧)
سوادّ الليل صار له حصونا فبات ولم يذق طعم الرقاد
وهكذا انتصر جيش الشيخ على أعدائه ، وفاز بكثير من الغنائم التي تركها الأعداء
وراء ظهورهم . ولا يخفى أهمية هذا النصر لأصحاب الحركة الإصلاحية ، فقد زاد في
قوتهم وشجعهم وأعطاهم ثقة في أنفسهم . فاجعلوا يشبهون حالهم بحال المهاجرين
الأولين ، ويقارنون بين واقعهم هذه وبين واقعة بدر ، فهم ضعفاء وأعداؤهم أقوياء .
وليس لهم إمكانيات كثيرة كما لأعدائهم ، ولكن إيمانهم بالله وحبهم للإسلام
واعتمادهم نيل إحدى الحسينيين أعطتهم حماسة ليس فوقها حماسة . وفي ذلك يقول
عبدالله :

فقتلاكم في جنة الخلد دائماً وراجعكم بالعزّ والمال يرجع
فليس لما تبني يدُ الله هادماً وليس لأمر الله إن جاء مدفع (١٨)
وقل عكس كل ذلك نحو أمير غوير وطائفته . فقد أدخلت هذه الهزيمة الذعر
والخوف في قلوبهم ، وولدت فيهم عقدة النقص التي أذهبت ثقتهم بأنفسهم . وبعد
هذه الانتصارات العظيمة كتب الشيخ عثمان إلى كل ملوك الهوسا يبين لهم موقفه ليكونوا
على علم . وذكر لهم أنه عازم على إحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية (١٩)
وأمرهم أن يخلصوا لله دينه ، وأن يتبرءوا من كل ما يخالف الشرع . فوقعت أوامره هذه

(١٧) ترتيب الورقات ، ص ٦٠ . لا يوقف في آخر صدر البيت في الشعر العربي إلا على كلمة يكون الوقف عليها
جائزا وصحيحاً ، أما الوقف على كلمة فيها (ال) فلا يكون إلا في القافية ، ولا بد في هذا البيت أن يوقف على كلمة
(المتاح يجعلها مجرورة ، والوقف الصحيح بالسكون وهو يكسر البيت ، والآيات من بحر الوافر .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٥٩ ، هذه القصيدة من بحر الطويل .

(١٩) ضبط الملتقطات ، ص ٣٥ وما بعدها .

في آذان صماء . ولم يجد كتابه قبولاً حسناً من الأمراء ، فمنهم من مزقه ومنهم من توعد الكاتب وهده (٢٠) .

ولم يزل الشيخ وجاعته يقاثلون ملوك الهوسا حتى انتصروا عليهم كلهم ، وسقطت الولايات واحدة تلو أخرى ، ودخلت بعد ذلك كلها تحت الدولة الجديدة ، وصار الشيخ عثمان إماماً لهذه المملكة الواسعة . فوضع لها نظاماً إدارياً دقيقاً ، خاضعاً للنظم الإسلامية السليمة ، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة ، وهي كذلك لغة الثقافة فيها . وبعد أن استولى الشيخ على أكثر الولايات بما فيها ألقاضاوا حيث لقي أمير غوبرينغا حتفه ، واستقر له الأمر ، رأى أن الأليق أن يترك زمام القيادة بيدي وزيريه ، ابنه محمد بللوا وأخيه عبد الله ، ويتفرغ هو للتدريس والوعظ والتأليف . فجعل الأول والياً على البلاد الشرقية والثاني والياً على البلاد الغربية . وأمرهما بمراعاة العدل فيها (٢١) وكان ذلك في سنة ١٢٢٧ هـ الموافق ١٨١٣ م . واستمر الأمر كذلك إلى أن توفي الشيخ سنة ١٢٣٢ هـ الموافق ١٨١٧ م وعمره ثلاث وستون سنة .

(٢٠) ضبط المتقطعات ، ص ٣٦ .

(٢١) إنفاق اليسور ، ص ١٩٠ .

البَابُ الثَّانِي

اللغة العربية في نيجيريا

الفصل الأول : اللغة العربية في مملكة البرنو وولايات الهوسا .

الفصل الثاني : اللغة العربية في مملكة سكتو .

الفصل الثالث : اللغة العربية في نيجيريا خلال فترة الاستعمار البريطاني ١٩٠٣

. إلى ١٩٦٠ م .

الفصل الرابع : اللغة العربية بعد الاستقلال ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦ م .

يجدر بنا الآن أن نتبع تطور اللغة العربية في تيجيريا منذ دخولها إلى سنة ١٩٦٦ - سنة الانقلاب العسكري الذي أطاح بنظام الحكم المدني - ونرى حالتها منذ دخولها ، ثم انتشارها خلال الفترات التاريخية المذكورة في الباب الأول . ولكي تكون الصورة واضحة ، ينبغي أن نأخذ كل فترة على حدها ، وبذلك نستطيع أن نشاهد التطور الذي مرّ بهذه اللغة إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن . .

الفصل الأول

اللغة العربية في مملكة البرنو وولايات الهوسا

قلنا فيما سبق : إن اللغة العربية قد بدأت تسخر في بعض ولايات الهوسا ومملكة البرنو عن طريق التجارة . وقد رأينا سابقاً أنه ليس من السهل أن نعرف على وجه التحديد متى بدأ ذلك الاتصال التجاري بين البلاد العربية وغرب أفريقيا ، وذلك لعدم وجود المراجع الأصلية التي كُتبت عن ذلك . ولكننا نستطيع أن نفترض أن قيام ولايات الهوسا في القرن العاشر الميلادي ، هو بداية هذا الاتصال التجاري بين البلاد العربية وولايات الهوسا ، إلا أن ذلك الاتصال بالنسبة لمملكة البرنو كان أقدم حسب ما رواه أهل هذه المملكة من أجدادهم وأسلافهم^(١) وما يؤكد الرأي الذي يقول : إن ذلك الاتصال بين العرب وولايات الهوسا يرجع إلى القرن العاشر الميلادي ، أن بعض تلك الممالك ككنو Kano وكثنة Katsina وذكرك Zazzau التي اشتهرت فيما بعد وأسهمت في نشر اللغة العربية والدين كانت في نفس الوقت مراكز تجارية هامة . وتلك الممالك لم تدهر إلا من القرن العاشر الميلادي .

ومع أنه من الصعب أن نجد كل المعلومات التي نحتاج إليها لمعرفة تلك الفترة وحالة

(١) ومن المبالغة ما يزعمه أهل برنو اليوم أن الإسلام دخل إليهم في القرن السابع الميلادي أي الأول الهجري . ويقولون إن ذلك كان عن طريق الحبشة . ولكن ذلك بعيد جداً ، إذ لم يكن هناك أي مبرر للهجرة من الحبشة إلى البرنو ، والمقول هو أن الإسلام قد دخل في تلك المنطقة في وقت مبكر قبل أن يدخل في ممالك الهوسا . ولعل الإسلام تسرب من منطقة كوار ، بعدما احتضها عقبة بن نافع الفهري ، كما يذكر المؤرخون . هذا إذا افترضنا أن مملكة كانم - برنو كانت موجودة حين ذاك ، أو على الأقل كانت في طور النشأة .

اللغة العربية فيها والعلماء الذين عاشوا فيها على نحو دقيق مضبوط لقلّة المراجع ، فإننا نستطيع أن نجد ما يكفينا لتكوين صورة لتلك الفترة من المراجع القليلة التي وصلت إلينا مما كتب في تلك الحقبة ، ومن المراجع الكثيرة التي كتبت في الفترة الثانية بعد قيام دولة سكتو ، مع أننا لا بد أن ننظر إلى النوع الأخير من هذه المراجع بشيء من التحفظ ، لأنها كتبت بعد مضي فترة طويلة ، ولأن الكتاب اعتمدوا على ما وصل إليهم من الروايات الشفهية من أسلافهم لا على وثائق أو مخطوطات معتمدة .

فالمصلة التجارية إذن هي التي نثرت البذور اللغوية أولاً ، وكان ذلك في إطار محدود جداً لا يتجاوز الأسواق الرئيسية في المدن التجارية ، ولم يكن يعط اللغة مجالاً واسعاً للتوسع في ذلك الزمن . وكان لذلك الاتصال أثر من ناحيتين :

الناحية الأولى : أدخلت كلمات عربية جديدة في اللغات المحلية وخاصة في لغة الهوسا التي كانت ولا تزال اللغة التجارية السائدة في غربي إفريقية . أدخلت مثلاً أسماء بعض البضائع المستوردة من البلاد العربية والتي لم تكن معروفة عند أهل تلك الولايات قبل ذلك . مثل الحرير والزعفران والسرج وغيرها ^(٢) وكذلك أدخلت العقود من الأعداد من عشرين إلى تسعين ، وبعض الكلمات التي لا يستغنى عنها التجار كالغش والأمانة وأمثالها ^(٣) فهذه الكلمات وأمثالها كلها دخلت في لغة الهوسا في تلك الفترة ومنها إلى بعض اللغات المحلية كلفة فولا Fula ويربا Yoruba .

والناحية الثانية : هي أن بعض التجار في تلك الولايات الذين كانوا يتعاملون مع العرب في الأسواق تعلموا من تلك اللغة أكثر من غيرهم . ولعلمهم كانوا يلقتون أبناءهم شيئاً منها ، أو يلتقطها أبناءهم منهم .

(٢) انظر رسالة الدكتور على أبي بكر ، الباب السادس ، ص ٢٤٢ .
هذه الكلمات تنطق في الهوسا بتحرير بسيط : الحرير ينطق : الحرين Alharini والزعفران زعفرني

Za'afarani والسرج : سردى Sirdi وهكذا .

(٣) يقال في الهوسا الغش Algus وأمانه Amana .

ولقد كان لانتشار الدين أثر في انتشار اللغة . كانت اللغة العربية تدخل حيناً داخل الدين الإسلامي كما ذكرنا سابقاً . فالمسلمون لابد أن يتعلموا على الأقل ما يكفيهم لأداء فروضهم الدينية العينية من صلاة وصيام وغيرها . ومعنى ذلك هو حفظ بعض السور القرآنية والأدعية المأثورة ، وتعلم كلمات دينية كالركوع والسجود والكفارة وغيرها . ولعله في أوائل تلك الفترة أيضاً دخلت أسماء الأيام العربية وانتشر استعمالها حتى نسي الناس أسماءها المحلية ⁽⁴⁾ وانتشار الإسلام هو الذي أدى إلى انتشار المدارس القرآنية لتحفيظ الأطفال شيئاً من القرآن الكريم . فهي ضرورية في المجتمع الإسلامي . والمسلمون دائماً يعطون أهمية كبيرة لها ويفتحونها لتعليم أطفالهم . فلا بد أن يكون بعض التجار الذين أدخلوا الإسلام ساعدوا أيضاً في فتح المدارس القرآنية وتدرّيس شيء بسيط لمن اعتنق الإسلام .

وإذا حاولنا أن نتصور حالة اللغة العربية في الفترة التي نسوق الحديث عنها رأينا أنها فيما بين القرن العاشر والرابع عشر لم تتطور تطوراً كبيراً . ولم تخرج من إطار ضيق محدود . لا يتجاوز معرفة قليل من القرآن والمطالب الدينية البسيطة التي تكفي المسلم أداء الفروض الدينية العينية ولا تعدو الكلمات والتعابير التي أدخلها التجار واندمج أكثرها في اللغات المحلية . والذي يؤكد هذا الرأي هو عدم وجود علماء نابغين قبل القرن الرابع عشر الميلادي وعدم وجود ما كتب وسجل في تلك الحقبة . فلو وصلت اللغة العربية حين ذاك إلى مستوى يسمح بالكتابة بها لسجلوا لنا ما يعطينا اليوم صورة واضحة لحياتهم الثقافية بين القرن العاشر والرابع عشر ، ولنبيخ من بينهم علماء يحفظ التاريخ لنا بأسمائهم ، ولو بطريق الروايات الشفهية كما احتفظ ببعض الشخصيات التاريخية بهذه الطريقة . ولكن عدم وجود ذلك لا يني وجود اللغة العربية بمستوى ضئيل . فهي

(4) وتنطق بالهوسا كالألي : Asabar . لحد : Lahadi : لتين : Litinin : ثلاثا : Talata

لاربا : Laraba الحميس : Alhemis ، جمعه : Jumu'a .

كانت موجودة جنباً إلى جنب مع الإسلام . وكانت تتقدم بخطوات يسيرة لعدم الدوافع الكثيرة التي تدفعها إلى الأمام . والذي يدل على ذلك هو وصولها إلى طور الازدهار في القرن الرابع عشر . فمن المستحيل أن يكثر العلماء وتكثر المدارس والمعاهد الدينية في القرن الرابع عشر إذا لم يكن الأساس مبنياً قبل ذلك التاريخ .

ومن القرن الرابع عشر وجدت عوامل ساعدت في نشر التعليم الإسلامي والعربي . منها زيارة الوفود والأفراد لبعض ممالك الهوسا التي بدأ أثرها يظهر من ذلك القرن . فقد كان العلماء في تلك القرون الغابرة ينتقلون من بلد إلى آخر طلباً للعلم والتماساً للرزق والحياة . وكانوا يدرسون ويتعلمون في خلال تلك التنقلات التي يصحبهم فيها بعض طلبتهم . فإذا سمعوا بمركز علمي أو تجاري قصده و اتصلوا بعلمائه وملوكه . فإذا طابت لهم الإقامة أقاموا فيه ماشاء الله أن يقيموا ، وكانت كنو وكثنة مركزين رئيسيين للعلم والتجارة فكثر فيها الزوار وفوداً وأفراداً . فكان أول من دخل من الوفود كما سجل لنا تاريخ كنو^(٥) هو وفد الونغاويين^(٦) فقد دخلوا كنو في عهد ملك كنو على ياج Ali Yaji كما ذكرنا سابقاً . ولدخولهم أثر واضح في كنو . فقد أصبح الإسلام هو الدين الرسمي فيها بعد تلك الزيارة .

وقد حلّ تلك الديار أيضاً الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأتباعه في عهد محمد رمفال Muhammed Rumfal كما أشرنا سابقاً^(٧) . ولا تزال آثار تلك الزيارة باقية . وهكذا استمرت تلك الزيارات إلى العصر الحديث . وكلما أتى عالم التف حولہ طلبه العلم ، وأخذوا منه واستفادوا ، وقد يرافقه بعضهم إلى حيث يتجه حتى يرضع كفايته منه ثم يعود إلى وطنه ويتصدر للتدريس .

(٥) تاريخ كنو ، صفحة ١١٣ وما بعدها .

(٦) ارجع إلى الهامش رقم ٢٤ و ٢٥ ، ص ٤٥ .

(٧) ارجع إلى ص ٤٧ .

ومن تلك العوامل الحج : لقد كان المسلمون في نيجيريا يقومون بأداء فريضة الحج مع أنه أمر شاق جداً في ذلك الزمن ، وكان يستغرق عدة سنوات . فكان الحجيج يخرجون في قافلة صوب الشرق ويتكسبون في الطرقات ، إما بالتجارة أو الصناعة أو كليهما . وربما يقومون في بعض الأحيان بالأعمال الزراعية ، إما لغيرهم وإما لأنفسهم . ويقوم البعض بالتدريس خلال السفر كما يقوم بالتعلم إذا صادف من هو أعلم منه في الطريق . وكان أمثال أولئك إذا مرّ بالأزهر انتهزوا الفرصة واستمعوا إلى مشايخه وإلى علمائه الكبار ، واتصلوا بهم وبغيرهم من العلماء وكونوا صداقة معهم وأفادوا واستفادوا في العلم . والذي يغلب على الظن أن أمثال هؤلاء كثيرون لكثرة من يقوم بأداء هذه الفريضة من غربي أفريقية . ولكن كتب التاريخ لم تذكر إلا القليل ممن نبغ واشتهر منهم ^(٨) . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قلة من كتب في هذا المجال وعدم وجود أى سجل رسمي أو غيره لمن كان يقصد الحج في تلك الحقبة . فقد ذكرنا سابقاً على سبيل المثال الشيخ محمد الفلاني الكنتاري الذي اتصل بالحسن الجبرقي وصداقه وأقام عنده فترة في القاهرة ثم توفي هناك بعد عودته من الحجاز ^(٩) . ويذكر السعدى أيضاً عدداً من العلماء التابعين الذين شرّفوا وقضوا فترة من الزمن بين مصر والحرمين ، ثم عادوا إلى أوطانهم وتصدروا للتدريس ، وقد عرفنا أسماء بعضهم ممن عادوا إلى ولايات الهوسا واشتهروا بالتدريس هناك ^(١٠) ، ويذكر القلقشندي كذلك أنه اتصل برسول ملك البرنو إلى الملك الظاهر أبي سعيد برقوق الذي وصل إلى الديار المصرية سنة أربع وتسعين وسبعمائة هجرية (١٣٩١ م) في صحبة الحجيج ^(١١) .

(٨) منهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت حج سنة ٩٨٠ هجرية ، ثم عاد ودخل كوة وكنتة ودرس وأفاد فيها . ومنهم مخلوف بن علي بن صالح البابل الذي يقول عنه السعدى : إنه اشتهر بقوة المحافظة حتى ذكر عنه العجب . أقام في كوة وكنتة أيضاً ودرس فيها وأمثالها . انظر تاريخ السودان للسعدى ، ص ٣٧ وما بعدها .
(٩) ارجع إلى الباب الأول صفحة ٥٨ .

(١٠) ارجع إلى الهامش رقم ١ .
(١١) صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٣٧٩ .

واستمر الحج عاملاً مهماً لنشر التعلم الديني والعربي خلال تلك القرون ، ولم يزل الأمر كذلك إلى القرن الثامن عشر الميلادي وبداية دولة سكتو . ولقد ذكرت المراجع أن بعض العلماء قاموا بنفس العملية في القرن الثامن عشر . ومن أولئك العلماء ذلك العالم الكبير الشيخ جبريل الذي درّس للشيخ عثمان ^(١٢) فقد حج مرتين وأقام مدة طويلة في المرة الأولى . وكذلك محمد سمبو Sambo بن عبد الله بن محمد . وكان من أشهر العلماء في القرن الثامن عشر . وهو الذي يقول عنه عبد الله بن فودي : إنه « لم يترك فينا حين خرج أفضل منه في العلم والصلاح » ^(١٣) ، ومع تطلّعه في العلم فقد قضى أكثر من عشر سنوات في الحرمين لمّا حج ودرس هناك ، ثم عزم على العودة إلى وطنه ولكن وافاه الأجل وهو في أقدس Agadas ، ورثاه عبد الله بن فودي بأبيات منها قوله :

إلى الحرمين حتى قام عشرا وبضعا فيهما بيني المعالي ^(١٤)
 فقدّر ربّه ان سوف يبدو بأقدس ^(١٥) قبره بعد الزوال
 وبما أن الحجاج يقضون فترة طويلة في الشرق فإنهم يتعلمون خلالها اللغة العامية المستعملة في الحجاز ، كما أنهم كانوا يأتون بكتب معهم .
 ومنها تلك النهضة العلمية التي قامت ونمت في المسجد الجامع ومسجد سنكري بمدينة تمبكتو من القرن الرابع عشر . فقد كانت تلك المدينة المركز الديني والعلمي والأدبي في السودان الغربي عامة ^(١٦) وكان العلماء وطلبة العلم يقبلون عليها زرافات

(١٢) إضاق المسور ، ص ٢٧ .

(١٣) تزيين الورقات ، ص ٣٩ .

(١٤) استخدام (قام) بمعنى (أقام) وهذا غير جازم . ولو استعمل أقام لانكسر البيت . والبيتان من بحر الوافر .

(١٥) أقدس Agadas اسم مدينة في جمهورية النيجر Niger .

(١٦) انظر تاريخ السودان من الباب السابع إلى العاشر ، ص ٣٠ إلى ٥٦ .

ويقتبسون من أنوارها ، ثم يعودون إلى أوطانهم ، ويذكر السعدى أن تمبكتو في القرن التاسع الهجرى أى الخامس عشر الميلادى حافلة « بالطلبة السودانين أهل المغرب المجتهدين فى العلم والصلاح » (١٧) والذى يغلب على الظن أن كثيراً من طلبة ولايات الهوسا ومملكة البرنو كانوا من بين الطلبة الذين كانوا يشرؤون من ينايع العلم فى تلك المدينة التى كثر فيها العلماء والصالحون .

ومنها وصول الكتب إلى تلك الممالك . فقد كانت الوفود تأتى بشيء منها فينسخها الطلبة ثم تتداول بين أيديهم . ومع أن المراجع التى ذكرت زيارة المغيلى لم تذكر أسماء الكتب التى أحضرها إلا أنها قالت : إنه أتى بكتب كثيرة زيادة على الكتب التى وضعها هو فاحتمل أنها نسخت منه ودرست ثم تداولت (١٨) .

وتذكر المراجع أن عدداً من الفلانين قدموا إلى كنو من مالى فى عهد الملك التاسع عشر وهو يعقوب بن تساق والد محمد رمفا . وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة . وكان الناس قبل ذلك لا يعرفون إلا كتب الحديث والفقہ بعد القرآن (١٩) ولا تذكر المراجع أسماء تلك الكتب التى أحضرت فى التوحيد واللغة . ولكن المحتمل أن يكون المقصود بكتب اللغة بعض القصائد الشعرية ، وخاصة شعر أصحاب المعلقات التى كانت تدرس وتحفظ كرخيرة لغوية . وقد قدم أيضاً أحد الشيوخ إلى كنو من مصر مع تلاميذه . وكان ذلك فى عهد محمد رمفا بعد دخول الونفراويين . ومع ذلك الشيخ كتاب « المختصر فى الفقہ المالكى » لخليل بن إسحاق الجندى المالكى المتوفى سنة ١٣٦٥ الميلادى . فجعل الشيخ يدرسه لطلبة . ولما شاع فى المدينة ذلك ذهب الشيخ Zaghaiti (زبى زيتى) رئيس الونفراويين فى كنو ليستمع إليه ، ولما حضر المجلس أكرمه الشيخ المصرى وأجلسه على بساطه ثم شرع فى التدريس . ولقد أعجب الشيخ

(١٧) المرجع السابق ، صفحة ٤٧ .

(١٩) المرجع نفسه ، ص ٢٢ .

(١٨) تاريخ كنو ، ص ٢٣ .

بالكتاب والشيخ معاً. ثم أمر طلبته بنسخه^(٢٠) ، وفي عهد قيسوكي Kisoke الملك الثاني والعشرين جاء الشيخ التونسي بكتاب الشفا للقاضي عياض . وقدم الشيخ عبد السلام من المغرب بالمدونة والجامع الصغير والسمرقندي^(٢١) ولما سمع طلبة العلم بقدوم هذا الشيخ أتوا إليه حتى من مملكتي زكرك والبرنو ودرسوا تلك الكتب عنده^(٢٢) .

يتضح لنا إذن أن الكتب المتداولة في أيدي العلماء والطلبة من القرن الرابع عشر الميلادي لا تتجاوز القرآن الكريم وتفسيره لجلال الدين السيوطي ، وفي الحديث : البخارى ومسلم وموطأ مالك ، وفي الفقه : المدونة والجامع الصغير ورسالة أبي زيد القيرواني والعزية والمختصر لخليل بن إسحاق ، وفي النحو : الأجرومية وقطر الندى شرح ابن هشام وشذور الذهب وألفية ابن مالك . وفي الأدب : مقامات الحريري والقصائد العشر وقليل من أمثال هذه الكتب التي دخلت كمنظومة يحيى القرطبي في الفقه^(٢٣) .

ذلك النشاط الديني والعربي نما في القرن الرابع عشر الميلادي ، ووصل ذروته في القرن الخامس عشر. ثم بدأ النشاط في التدهور لأسباب غامضة غير مفهومة واستمر الحال كذلك إلى القرن الثامن عشر.

وفي خلال تلك القرون وخاصة تلك التي كثر فيها النشاط العلمي ، كثر العلماء وتعددت المراكز الدينية والعربية وقام العلماء بتدريس علوم دينية وعربية فضلاً عن القرآن^(٢٤) . ودخلت الطرق الصوفية التي ساهمت أيضاً في نشر الثقافة الدينية والعربية في أواخر تلك الفترة^(٢٥) ، ويذكر لنا الشيخ محمد بللو في كتابه إنفاق الميسور^(٢٦)

(٢٠) انظر كتاب أصل الونفراوين ، وانظر Kano Studies, Volume I No. 4 1968 pp. 17.

(٢١) تاريخ كنو، ص ٢٨ . المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٢٣) والذي يؤكد هذا الرأي هو أن هذه الكتب كلها ذكرها الشيخ عبد الله بين الكتب التي درسها . انظر :

إيداع النسخ ، ص ٢ وما بعدها . (٢٤) انظر إنفاق الميسور ، ص ٥ إلى ٢٩ .

(٢٥) انظر رسالة الدكتور على أبو بكر في الباب الثالث حيث تكلم عن دور الطرق الصوفية ، ص ١٤٥

وما بعدها . (٢٦) إنفاق الميسور ، ص ٥ وما بعدها .

أسماء من نبغ من العلماء بعد القرن الرابع عشر وتآليفهم الكثيرة في الفقه والنحو والصرف إلا أن أكثر تلك المؤلفات لم تصل إلينا . ومن المخطوطات القديمة التي اكتشفت ذلك المخطوط الذي أسماه واضعه « ورقة مكتوبة فيها أصل الونفراويين »^(٢٧) ، ولعله لا يكون خروجاً عما نحن بصده إذا اقتبسنا شيئاً من ذلك المخطوط لنجد صورة لطريقة الكتابة ، ولنوع الأسلوب السائد في تلك الفترة يقول المخطوط :

« ثم إن الشيخ عفا الله عنه ذهب بصره بكثرة رمده ، وصار يقرئ الناس العلم من كل فن . . . روى أنه كان في عاه يقرئ الناس وقدم رجل من مصر مع تلاميذه يقرئ الناس الخليل قبل أن يراه الناس بعينه إلا سماع ذكره ، وشاع في الناس أن رجلاً مشرقياً جاء بكتاب يقال له الخليل قد أعجب الناس فوعيته ومشهور كلامه حتى قال الشيخ غدا إن شاء الله أركب إلى هذا الرجل ونسمع قراءة هذا الكتاب . فابتدر الناس تلك الليلة إلى ذلك الشيخ فأعلموه أن عالم تلك البلد قادم عليك غدا فشر على ساعدك ، فأوقد السراج ويات ساهراً مطالعاً لمكان قراءة كل من علم يقرأه إلى الصبح » فلما صلى الصبح أخذ يتطلع إلى أن يحضر الطلبة فجعل يقرأهم إلى أن جاء الشيخ زغبتي وقام وأخذ بركابه حتى نزل . وأخذ بيده إلى أن يجلسه على السرير وأسند ظهره إلى السرير وهو قاعد تحته . وأمر الشيخ بالإقراء . فما فعل تأدباً منه حتى استأذن له الشيخ والقراءة عند « فصل الجماعة بفرض » حتى وصل وركع من خشي فوات ركعة يدب كالصفيين . وقال الصفيين طويل . لوقال كخطوتين . ففتح الشيخ فوجد صوابه كخطوتين لأن صفيين قد بعد^(٢٨) .

ولا يخفى ما تتضمنه هذه القطعة من الأخطاء الكثيرة ، فالقطعة جمل متقطعة غير متماسكة يظهر في تركيبها أثر لغة الكاتب المحلية . ويجد القارئ أن الكاتب لا يفرق بين

(٢٧) ارجع إلى الماشرق رقم ٢٤ ، ص ٤٥ . (٢٨) كتاب أصل الونفراويين .

الثلاثي المجرد والمزيد فقرأ يستعمل بدل أقرأ . وتأتى الضمائر وهي لا تطابق أصلها مثل « الناس بعينه » أو تتغير الضمائر من الغائب إلى المخاطب فتسبب تعقيداً في المعنى أو يستعمل « على » بدل « عن » في مثل « فشر على ساعدك » وهكذا . وعلى العموم فالأخطاء في هذه القطعة كثيرة وركاكة الأسلوب واضحة .

ومعنى انتشار اللغة العربية في تلك الفترة هو انتشار الدين الإسلامي وكثرة من يستطيع أن يقرأ الكتب الدينية المكتوبة باللغة العربية ويفهمها . وليس معنى ذلك أن العلماء كانوا يتكلمون بالعربية لأنها ليست لغة للمخاطب فيما بينهم ولكنها هي لغة الثقافة . وكانوا يتعلمونها على الطريقة التقليدية بواسطة قراءة الكتب الدينية وتفسيرها أو ترجمتها باللغات المحلية .

فإذا استطاع المتعلم أن يقرأ الكتب الدينية ويفهمها ويترجمها ويعرف معنى كل كلمة على حدتها فقد وصل إلى المطلوب . وإذا استطاع فضلاً عن ذلك أن يكتب رسائل بالعربية بأسلوب فقهى ركيك فقد تفوق على الأقران .

ومساحة اللغة العربية في تلك الفترة كانت بدون شك محدودة في البداية ، مقصورة على المناطق التجارية . وابتشار الإسلام في المدن انتشرت اللغة كذلك على النحو الذي ذكرنا . ولكنها لم تخرج من حلقة العلماء . وفي أواخر القرن الثامن عشر كان عدد العلماء في ولايات الهوسا ومملكة البرنو كثيراً . ومع أننا الآن لانستطيع أن نعرف عددهم إذ ذاك وعدد من يفهم العربية على وجه التحديد ، لكننا نستطيع تصور ذلك تقريباً إذا أخذنا في الحسبان ما نجده من المعلومات عن عدد العلماء في إحدى الولايات في ذلك الزمن . تذكر بعض المراجع^(٢٩) أن عدد العلماء الذين جمعهم سلطان غوبر باوا في عيد الأضحى للمناظرة مع الشيخ عثمان في سنة ١٢٠٢ هجرية الموافق ١٧٨٨

(٢٩) انظر ضبط المتقطعات ، ص ١٨ وترتين الورقات ، ص ٣٠ .

ميلادية كان فوق الألف (٣٠) ، فإذا كان عدد العلماء في ولاية غوبر التي لم تكن ولاية مسلمة كلها يبلغ هذا الحد فلا شك أن العدد يكون أكثر في ولاية مثل كنو وكثنة لأهميتهما العلمية والتجارية ولصلتها بالعالم الإسلامي أكثر من بقية الولايات . وربما كانت مملكة البرنو تحتوى على أكبر عدد ممن يفهم العربية في تلك الحقبة لسببين : أولاً : انتشار الإسلام فيها . وفي ذلك يقول محمد بللو : « وقد انتشر فيها الإسلام انتشاراً في سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم ، بل لا يوجد في هذه البلاد عامة معتنون بقراءة القرآن وتجويده ، وحفظه وكتابته منهم (٣١) .

وثانياً : وجود قبيلة « شوا » على حدود تشاد وهي تتكلم بالعربية الدارجة الشيبية بالدارجة السودانية . ولا تزال تلك القبيلة تسكن الحدود الشرقية للبرنو بجوار نهر تشاد . ونستطيع أن نقول : إن اللغة العربية في تلك الفترة الأولى قد مرت بمراحل من دخولها إلى القرن الثامن عشر . ويمكن تلخيص تلك المراحل على الوجه التالي :

١ - بداية تعلم قراءة القرآن وحفظ شيء منه . وهذا بدأ بدخول الإسلام . وكان الدعاة والتجار هم الذين بدءوا في تعليم القرآن وتحفيظه كما قدمنا .

٢ - تعليم القراءة والكتابة باللغات المحلية باستخدام الحروف العربية . وهذه مرحلة مهمة جداً . فلأول مرة بدأ الناس يقرءون ويكتبون بلغاتهم المحلية .

٣ - بداية تعليم قراءة الكتب الدينية المكتوبة بالعربية . وكان الناس يدرسونها وترجم لهم باللغات المحلية كما ذكرنا .

٤ - محاكاة تلك الكتب الدينية عن طريق كتابة الشرح والحواشى لها .

٥ - بداية التأليف إما نشرأ أو نظماً بأسلوب فقهي علمي .

هذا ما وصلت إليه اللغة العربية في تلك الفترة .

(٣٠) ليس معنى هذا طبعاً أن أولئك العلماء قد وصلوا إلى درجة عالية من العلم ولكن المقصود أنهم نالوا شيئاً

من العلم يذكر في ذلك الزمن . (٣١) إنفاق المسور ، ص ٩ .

الفصل الثاني

اللغة العربية في دولة سكو

كانت الدولة التي أسسها الشيخ عثمان من سنة ١٨٠٤ م مختلفة تمام الاختلاف عن غيرها من الدول السابقة في بلاد الهوسا أو في برونو. فقد أسست من أول الأمر على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية ونظم دقيقة لا بد من معرفتها قبل تطبيقها. وهذه مملكة واسعة ولا بد أن يكون لها ديوان أو عدة دواوين منظمّة. ولا بد أن يكون لها محاكم شرعية وما إلى ذلك مما تتطلبه الدول المسلمة. ولا بد لهذه الحكومة أن تجد عدداً من المثقفين الذين يمكنهم أن يقوموا بإدارة تلك الدواوين. وبما أن اللغة العربية هي لغة الثقافة فلا بد إذن من أن تهتم بها الحكومة وتثقف أبنائها بها، وقد قامت بذلك خير قيام. فقد فتح العلماء أبواب بيوتهم على مصاريحها لتدريس الدين واللغة العربية^(١).

فإذا كانت تلك هي سياسة الحكومة فلا بد إذن من أن تتطور اللغة العربية في تلك الفترة وهذا ما حدث حتى أصبحت هذه فترة النهضة بالنسبة للغة العربية والتعليم الديني. ولعلّ الأسئلة التي تبادر إلى الذهن هي ما الذي فعلته تلك الحكومة الجديدة لتعلم شعبها وتثقيف أبنائها حتى يمكنهم أن يحملوا العبء الإداري الجديد؟ وهل أنشأت الحكومة مدارس حكومية لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية؟ وما نوع الثقافة التي يمكن أن ينالها المواطن النيجيري في تلك الفترة؟ وما الكتب المستعملة لتعليم

(١) اشتغل كثير من العلماء بالتدريس وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي نفسه. انظر: إنفاق المسور،

تلك اللغة ؟ وما المرحلة التي وصلت إليها العربية قبل سقوط تلك المملكة ؟
 لم تفتح الحكومة مدارس رسمية نظامية على النظام المدرسي المعروف حالياً . ولكنها
 شجعت التعليم تشجيعاً بالغاً . فالقادة الجدد كلهم علماء ومدرسون . وكان الشيخ
 عثمان نفسه قائداً وداعياً ومدرساً . وكذلك كان وزراؤه وحكامه . كانوا يجعلون بيوتهم
 كلها مدارس وينصبون أنفسهم للتدريس فيها ، فكثر المدارس وتعددت المجالس
 العلمية لا في سكتو وحدها التي أصبحت في تلك الآونة عاصمة الدولة ومركزاً جديداً
 للعلم والثقافة ، بل في المراكز الأخرى (٢) .

على أنه من الصعب جداً معرفة عدد تلك المدارس لأنها لم تكن تابعة لأي نظام
 رسمي موضوع ، ولا لأي مؤسسة معروفة ، فليست مثلاً كالمعاهد الدينية التابعة للأزهر
 في العهد القديم تلك المعاهد التي كانت تدخل في نظام الأوقاف . ولكننا نستطيع أن
 نتصور كثرتها من كثرة العلماء والفقهاء الذين عاشوا في ذلك الزمن لأن كل عالم كان
 مدرساً . فإذا لم يفتح بابه على مصراعيه لطلبة العلم من سواد الشعب ، فلا بد أن يدرس
 على أقل تقدير لأصحابه وعشيرته الأقربين .

ولقد ذكر الشيخ عبد الله في قصيدته الجيمية المشهورة وجود علماء ومدارس يلتف
 حولها طلبة العلم . يقول فيها (٣) :

ومدارسٍ أضحى (٤) بحب شهودها فيها نجاح حوائج المتحوج
 وججاج (٥) علماء يُحلب رفدُهم كل كبحر في العطا متموج

(٢) مثل غوندو Gwandu وكنو Kano وكنتة Katsina وزكرك Zazzau

(٣) انظر تزيين الورقات ، ص ٣٢ ، والقصيدة من بحر الكامل .

(٤) أضى بمعنى لزم الفراش من الضى وهو المرض أو الهزال الشديد والمعنى أنه يشاق إلى تلك المدارس شوقاً

بضنيه .

(٥) الججاج جمع الججاج وهو السيد السح الكرم .

فتلك المدارس الكثيرة هي التي أصبحت ميادين للتدريب ، يتدرب فيها الشبان والكبار على السواء . ويبدأ الصبي في المرحلة الأولية وهي المدارس القرآنية ويستمر بعد ذلك في تلك المدارس منتقلا من عالم إلى آخر حتى يصل إلى المستوى المقصود ثم يدخل في سلك العلماء ويقتنى أثرهم فيدرس كما كانوا يدرسون .

ومناهج الدراسة في تلك المدارس لم تكن منظمة تنظيماً دقيقاً كالذي نعرفه الآن في المدارس ، ولم تكن محددة ، وفي الغالب تختلف من مدرسة إلى أخرى ، ولكن العادة جرت أن يبدأ الطالب في الفقه مثلا بكتاب صغير الحجم سهل اللفظ والتركيب ، ثم ينتقل إلى ما هو أصعب منه بالتدرج . فيبدأ بالأخضري ، فنظومة القرطبي ، فالغزيرة ، فالرسالة لأبي زيد القيرواني ، ثم مختصر الحليل^(٦) ، وهكذا . وفي النحو يبدأ بالأجرومية ، فلهجة الإعراب ، فقطر الندى ، ثم شذور الذهب وألفية ابن مالك . وهكذا يفعل في كل مادة يتقل من كتاب إلى ما هو أصعب منه . وهذه الكتب يدرسها الطالب لمدة تقل أو تكثر حسب مقدرة الطالب ومزاجه . وكان الطلبة دائماً يعتمدون على الكتب التي تدرس ، وعلى المدرس الذي يدرسها على طريقة الأزهر القديمة ، حيث كان أساس التعليم مبنياً على الشيخ والكتاب فقط . وقد يتخصص بعض العلماء في تدريس كتب مخصوصة ، فكان محمد بن راج^(٧) - مثلا - متخصصاً في تدريس البخاري ، والشيخ جبريل مشهوراً بتدريس الكوكب الساطع للسيوطي^(٨) ، وهذا مما يجعل الطالب يتقل من عالم إلى آخر . وربما يكون الانتقال في بعض الأحيان من بلد إلى آخر المماساً للعلم حتى يأخذ كفايته . وكان التعليم في تلك المدارس أكثره شكلي ، يعنى الطلبة عناية كثيرة بالألفاظ فيحفظون معناها باللغات المحلية ولا يهتمون كثيراً بالمعنى واللب .

(٦) ولا يزال الأمر كذلك في بعض المعاهد القديمة ، انظر إيداع النسخ ، ص ٢ وما بعدها .

(٧) محمد بن راج بن مؤدب وهو خال وعم الشيخ عبد الله بن فودي . انظر إيداع النسخ ص ٥ .

(٨) المرجع نفسه ص ٧ .

ومعنى هذا أن الطالب التجيرى فى تلك الآونة يستطيع أن يتعلم فى تلك المدارس - إذا شاء - بدون أن يكلفه ذلك شيئاً ، إذ أن التعلم كان مجاناً . فالمدرسون يقومون بالتدريس ابتغاء مرضاة الله تعالى . ويستطيع الطالب العادى أن يدرس بعض الكتب الفقهية ويفهمها . ويعرف بذلك فرائضه الدينية وواجباته الشرعية . كما يستطيع أن يتعلم شيئاً من اللغة وقواعدها النحوية والصرفية ، ويكون ملماً إلماماً لا بأس به باللغة العربية . فالرجل المثقف فى ذلك الوقت إذن هو الذى يمر بهذه المرحلة التعليمية ، والذى يصل فى تعليمه وثقافته إلى حد يجعله يفهم شيئاً من اللغة العربية قراءة وكتابة . وقد ينهى الطالب دراسته عند المرحلة الأولية التى هى مدارس القرآن ، فهذا بطبيعة الحال لا يستطيع قراءة وفهم الكتب العربية ، ولكنه يستطيع قراءة القرآن ويقدر على القراءة والكتابة بلغته المحلية مستعملاً الحروف الهجائية العربية . وقد يكون الطالب نابغاً ، فيستمر بدراسته ويجتهد حتى يصبح طويل الباع ، واسع الأفق فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

ولكن نتصور مدى الثقافة التى يمكن أن يصل إليها الطالب النابغ فى تلك الآونة ينبغي أن ننظر إلى ثقافة أحد النابغين على سبيل المثال . ولعلنا نجد الصورة المطلوبة إذا تتبعنا مدى ثقافة الشيخ عبد الله بن فودى . فقد كان عالماً مثقفاً ومؤلفاً بارعاً فى شتى الفنون . وكان وحيد عصره ، إذ لم يكن فى غربى أفريقية أعلم منه فى ذلك الزمن . قرأ القرآن عن والده محمد فودى ، وتعلم المبادئ الدينية كما يتعلمها الأطفال فى الكتاب ثم بدأ يقرأ على شقيقه الشيخ عثمان بن محمد فودى بعد أن تعلم قراءة القرآن ، وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة . فقرأ عليه العشرينيات ، والوتريات ، والشعراء الستة ، وأخذ عنه علم التوحيد بقراءة الكتب السنوسية وشرحها . ولعله درس كتباً أخرى فى التوحيد أيضاً لأنه قال : « وقل كتاب لعلم التوحيد وصل إلى بلادنا وعرفته ولم أنقله عنه »^(٩) وفى

النحو قرأ عليه الآجرومية والملحة وقطر الندى وشرحها . وأما في الفقه فقد أخذ عنه المبادئ الفقهية التي يعرف بها المسلم فرض عينه . فبدأ بالأخضرية فالعشماوية ثم رسالة ابن أبي القيرواني . ودرس عليه أيضاً تفسير القرآن من أوله إلى آخره عدة مرات، وعلم الحديث دراية كألفية العراقي ورواية كالبخاري . وتعلم مبادئ الحساب الذي يكفيه لمعرفة الأوقات والمواarith . ويذكر لنا الشيخ عبد الله أنه أخذ من أخيه « علم التصوف الذي للخلق والذي للتحقق ما استغنيت به إن شاء الله عن غيره » .

هذه هي الكتب التي أخذها عبد الله عن أخيه وهي بدون شك قد أعطته أساساً متيناً في علوم القرآن والحديث والفقه والنحو والتصوف ، ووجد بها ثقافة تجعله من العلماء في تلك الفترة . ولكن الشيخ عبد الله لم يكتف بهذه الثقافة ، فقد جعل بعد ذلك يتنقل من عالم إلى آخر حسب التقاليد المتبعة في تلك الآونة . فإذا سمع بعالم متخصص في الفقه مثلاً ذهب إليه واستمع منه وقرأ عليه تخصصه . يقول الشيخ عبد الله إن الشيخ محمد المغوري كان مشهوراً « بتعليم المختصر في بلادنا شهرة الشمس ، وكل من لم يقرأ المختصر منه (عنه) في بلادنا زمانه فكأنه لم يقرأ^(١٠) فمن الطبيعي إذن أن يقصد إليه عبد الله ، ويقرأ عليه المختصر الجزء الأول . وكان ذلك سنة ألف ومائتين من الهجرة (ألف وسبعمائة وخمسة وثمانين ميلادية) . وقرأ بعد ذلك الجزء الثاني على محمد سمبو بن عبد الرحمن تلميذ الشيخ المغوري^(١١) .

وعلى هذا النحو تليق الشيخ عبد الله عن عدد كثير من مشاهير العلماء في عصره وقرأ على كل واحد منهم المادة والكتب التي تخصص فيها ، حتى تبحر في شتى الفنون . ومن الكتب التي درسها عليهم في النحو والصرف غير الذي ذكرت سابقاً شذور الذهب

(١٠) واستمر الشيخ عبد الله قائلاً إنه أخذ عن أخيه كل مؤلفاته العربية والعجمية « فا ألف كتاباً من أول تواليفه إلى الآن إلا كنت أول من نقله عنه غالباً وصحبه حضراً وسفراً ، ما فارقه مذ أنا يافع إلى أن حصل لي الآن قريب من خمسين سنة ..

(١١) المصدر السابق ، ص ٨ .

وشرحه بلوغ الأرب ، و خلاصة ابن مالك وشرحهاا الهجة المرضية للسيوطى والمنهج السالك للأشمونى والفريدة للسيوطى والتحفة الوردية وشرحها للشيخ محمد الوالى .
 وفى البلاغة درس تلخيص المعانى وألفية المعانى مع شرحه ، والجواهر المكنون مع شرحه ، وشرح النقاية للسيوطى . وفى الفقه وأصوله شرح مختصر الخليل والورقات لإمام الحرمين والقراى ، والكوكب الساطع وجمع الجوامع مع شرحه . وفى الأدب مقامات الحريرى وفى العروض والقوافى الرامزة والدرر اللوامع للطاهر^(١٢) ، وأمثال هذه الكتب . وقد يقرأ الشيخ عبد الله كتاباً واحداً على أكثر من عالم واحد فيستفيد بسماعه منهم ، فمثلا كان قد قرأ الكوكب الساطع من الشيخ جبريل فأخذه مرة ثانية من المصطفى بن الحاج عثمان وأفاده هذا الشيخ بأشياء لم يفهما عند الشيخ جبريل^(١٣) ويقول الشيخ عبد الله إنه أخذ العلم عن عدد كثير من الشيوخ لا يستطيع أن يحصيهم . «وكم عالم أو طالب علم أتانا من الشرق فاستفدت منه مالا أحصيه^(١٤)» ، ولقد نظم لنا أسماء المشهورين من العلماء الذين أخذ عنهم وذكر لنا أسماء الكتب التى درسها عنهم . وهذه القائمة لتلك الأسماء تؤكد لنا وجود عدد كبير من العلماء فى تلك الفترة الذين أسهموا بقسط كبير فى نشر الثقافة الإسلامية العربية ، إما عن طريق التدريس وإما عن طريق التأليف وإما عن كليهما ، يقول الشيخ عبد الله من تلك الأبيات (١٥) :

(١٢) انظر بيان ذلك فى المصدر نفسه .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٧ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٨ .

(١٥) ويقول فى آخر القصيدة :

وكم	عالم	أو	طالب	قد	أفادنى
سقى	كلهم	ربى	ويسقى	محبهم	
بجاه	رسول	الله	صلى	عليه	مع

انظر إبداع النسخ ، ص ٩ .

علوماً	سواهم	مشرق	ومغربى
شأيب	غيث	بالرضى	متحلّب
صحابته	ربى	وكل	مقرب

عَ نَظَمَ شَيْخُ صَاحِ أَوْلَهُمْ أَبِي
وَمِنْ بَعْدِهِ عَمَّانُ صِنَوِي وَعَمَلَتِي
فَعَلَمَنِي الْعَشْرِينِيَّاتِ وَنَحْوَهَا
وَفِي عِلْمِ تَوْحِيدٍ وَعِلْمِ تَصَوُّفٍ
وَفَقْهِ وَتَفْسِيرِ وَعِلْمِ الْحَدِيثِ مَعَ
مَعْلَمِنَا الْقُرْآنِ وَهُوَ مُؤَدَّبِي
سَرَاجِي فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَذْهَبِي
وَالْإِعْرَابِ وَالشَّرْعَاءِ تَعْلِيمِكِ الصَّبِي (١٦)
سَقَانِي فِرَوِي وَالْحِسَابِ الْمُقَرَّبِي
تَوَالَيْفِهِ طَرًّا بِهَا نَلْتِ مَأْرَبِي

أضف إلى كل هذه الكتب التي درسها عبد الله التآليف الكثيرة التي وضعها الشيخ عثمان وعلمائه ، فإنها كما ذكر عبد الله تنسخ وتدرس ، وقد كانت هي أيضاً تشمل شتى الفنون من فقه ونحو وصرف إلى غير ذلك . فكل هذا يؤكد أن الثقافة التي نالها الشيخ عبد الله كانت بدون شك ثقافة عالية وواسعة النطاق . ومعنى هذا هو أن المثقف النابغ من تلك الفترة يمكن له أن ينال قسطاً من تلك الثقافة العالية إذا كان له استعداد لهضم تلك الثقافة ، وكانت نفسه طموحاً لتحصيل العلم . ولكن الذين يمكنهم الوصول إلى ذلك الحد الذي وصله الشيخ عبد الله كانوا قليلين .

وإذا تأملنا الطريقة التي سلكها عبد الله لتعلم العربية لحظنا عدم وجود كتب مبسطة لتعليم اللغة . فلم يكن لدى الطالب كتاب يبدأ منه ثم يتدرج ، ولكنه يتعلم العربية من خلال قراءة الكتب الدينية ومخوض في قراءة كتاب صعب كمقامات الحريري أو المعلقات بدون أن يكون له أساس في اللغة أو الأدب . وبما أن طريقة التدريس عبارة عن تلقين معاني الألفاظ باللغة المحلية وترديدها وحفظها على هذا النحو فلا يجد الطالب فرقاً بين ألفاظ المقامات وغيرها . فكلها ألفاظ غريبة لا بد من حفظها وحفظ معناها .

(١٦) وفي هذا البيت خفف المشدد الذي هو (العشرينيات) ، للوزن كما وصل هزمة القطع في لفظ الإعراب . وكلاهما جاتر في الشعر ، والأبيات من بحر الطويل .

وأما مساحة اللغة خلال تلك الفترة فكانت بطبيعة الحال أوسع من الفترة الأولى ، ذلك لأن التعليم الديني كان أكثر انتشاراً . فكان يعم كل الولايات التابعة لهذه المملكة . وكانت الحكومة تشجع ذلك التعليم وتقوم بنشره . ونستطيع أن نقول إن الذين كانوا في ذلك العهد يتكلمون العربية أو على الأقل يفهمونها ويقرؤونها هم الطبقة الحاكمة من الأمراء والحكام والقضاة وأصحاب الدواوين . فهؤلاء يستعملونها كلغة ثقافة ولغة إدارة . يكتبون بها اللوائح والقرارات الحكومية ، وكذلك السجلات والرسائل الرسمية وغير الرسمية . ويلقون بها كذلك الخطب الدينية ويتكلمون بها في المناسبات الدينية . كذلك كان يعرف العربية نوعاً من المعرفة من يتصل بالطبقات السابقة ويتقرب منهم ، وكان العلماء أيضاً الذين لم ينخرطوا في السلك الحكومي يعرفون اللغة العربية في مستوى يفوق مستوى بعض الحكام بطبيعة الحال . يدرسونها ويؤلفون فيها ويتكلمون بها . وقد يتكلمون بها فيما بينهم ولكنهم لا يستعملونها لغة تخاطب فيما بينهم وبين غيرهم . ولا شك أن اللغة العربية قد تطورت تطوراً كبيراً في تلك الفترة وكثر التأليف فيها حتى أصبح ذلك العصر عصر نهضة في نيجيريا . وسرى شيئاً من الإنتاج الأدبي الموجود في تلك الفترة في الفصول التالية إن شاء الله (١٧) .

الفصل الثالث

اللغة العربية في نيجيريا خلال فترة الاستعمار البريطاني ١٩٠٣ إلى ١٩٦٠ م

من الصعب أن نتضح لنا حالة اللغة العربية في ذلك العصر بدون أن نفهم شيئاً ما عن تاريخ التعليم الغربي في نيجيريا ، وكيف أدخله المستعمرون عندما احتلوا تلك البلاد ، وأصبح ينافس التعليم العربي الإسلامي المعروف . ولتضح الصورة سنذكر هنا شيئاً بسيطاً عن دخول التعليم الغربي وكيف أثر في التعليم العربي ، وإلى أي حد شجع المستعمرون الثقافة الغربية الحديثة وأهملوا الثقافة العربية الإسلامية الموجودة .

(١) الاستعمار البريطاني وأثره في التعليم العربي :

بدأ الاستعمار البريطاني لجزء من أراضي نيجيريا سنة ١٨٦١ ميلادية عندما احتل الإنجليز مدينة لاجوس Lagos ، التي أصبحت فيما بعد عاصمة لنيجيريا ، وأرغموا ملكها على توقيع معاهدات بينه وبينهم . ثم أصبحوا يتغلغلون في هذه البلاد إلى أن سيطروا عليها كلها . فتم الاستيلاء سنة ١٩٠٠ م على المناطق الجنوبية التي سمّوها محمية نيجيريا الجنوبية . ثم تم لهم الاستيلاء في سنة ١٩٠٣ على المناطق الشمالية - أي ممالك الهوسا والبرنو وسمّوها محمية نيجيريا الشمالية^(١) .

(١) انظر تفصيل ذلك في :

(a) Sir Alan Burns, History of Nigeria, Geoge Allen and Unwin Ltd. 1963, pp. 183-213.

(b) Coleman, J.S. Nigeria, Background to Nationalism, 1958, pp. 41—44.

على أن التعليم التبشيري كان قد بدأ يتسرب إلى جنوب نيجيريا من وقت مبكر على أيدي المبشرين الأوروبيين ، ويذكر المؤرخون أن أول إرسالية تبشيرية طرقت الأبواب في هذه البلاد كانت في سنة ١٥١٥ ميلادية . وقد وصلت إلى بنين Benin واستأذنت من الملك أن تعلّم أبناءه وأبناء الرؤساء المبادئ المسيحية فوافق على ذلك . فبدؤوا يعلمونهم الكتابة والقراءة من خلال التعليم الديني^(٣) . واستمر الرهبان يعملون في حقل التبشير وفي حركات التعليم التبشيري قروناً . وازداد نشاطهم وتضاعف في القرن التاسع عشر . وكانت أهم مراكزهم الدينية والتعليمية في لاجوس Lagos وبدغرى Badagry وأبيكوتا Abeokuta وإبادان Ibadan ، وكلها تقع في الجنوب^(٤) . ولم يتغير الوضع بعد دخول المستعمرين . فقد تركوا شئون التعليم بأيدي الإرساليات والطوائف الدينية في الجنوب ، وسهّلوا لهم كل الطرق والوسائل لنشر الدين المسيحي والثقافة المسيحية ، واستمر الأمر كذلك نحو نصف قرن بعد الاحتلال ، ولم تحرك الحكومة النيجيرية المستعمرة ساكناً نحو التعليم ، ولا أصدرت الحكومة البريطانية المستعمرة بياناً عن خطتها نحو سياستها التعليمية في تلك البلاد . وكان أول ما فعلته الإدارة الجديدة في لاجوس Lagos نحو التعليم في سنة ١٨٧٧ ميلادية أن وافقت على تقديم منحة قدرها مائتا جنيه لكل من الإرساليات الثلاث التي تعمل في حقل التبشير حين ذاك^(٥) . ولم تفتح الحكومة أية مدرسة حتى سنة ١٩٠١ ميلادية^(٥) . كانت المدارس التبشيرية تنمو وتوسع في جنوب نيجيريا في تلك الحقبة ، في حين

(٢) انظر : Lewis, L.J. Society, Schools and Progress in Nigeria, Pargamon Press Ltd. 1965, p. 23.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ والإرساليات الثلاثة هي :

United Free Church of Scotland; The American Southern Baptist Convention; and The Roman Catholic Mission.

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٨ .

أن الشمال لم تكن فيه أى حركة تعليمية تبشيرية . وظل الأمر كذلك حتى بعد الاحتلال البريطاني . وكانت أول إرسالية تخرج من إنجلترا خاصة للتبشير في المناطق الإسلامية في نيجيريا تلك التي كانت تحت قيادة مطران تجوال Bishop Tugwell والتي غادرت إنجلترا في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ميلادية^(٦) . وكان تجوال هذا قد درس شيئاً من لغة الهوسا والثقافة العربية الإسلامية في طرابلس ، ودرس الموقف هناك قبل أن يقود الوفد إلى شمال نيجيريا^(٧) . ولقد وصل هذا الوفد الذي حمل مسئولية نشر المسيحية في بلاد الهوسا إلى كنو في الشهور الأولى من سنة ١٩٠٠ ميلادية . ولم يكد أمير كنو Kano يسمع بنجبرهم حتى طردهم من بلده ومنعهم من التبشير ، فولوا مدبرين وعادوا منخذلين فرجعوا إلى غرك Girku خارج مدينة زاريا Zaria واستقروا هناك^(٨) . وظل المبشرون سنين يحاولون التبشير بين المسلمين ولكن بدون جدوى ، وكان ذلك التبشير من مركزهم خارج زاريا . وفي سنة ١٩٠٦ م قام ملر Miller ، وهو الذي أصبح قائداً للوفد بعد رجوع تجوال إلى إنجلترا - بتقديم مشروع للحكومة يقترح فيه إيجاد مدرسة داخلية فيها قسم لتربية أبناء الملوك والرؤساء المسلمين ، وقسم آخر غير داخلي للكبار الذين نالوا شيئاً من الثقافة الإسلامية . فوافقت الحكومة على هذا المشروع ، ووضع فعلاً في حيز التنفيذ ، وفتحت المدرسة في شهر مايو سنة ١٩٠٧ ميلادية في زاريا Zaria^(٩) ، ولكن هذه المحاولة فشلت أخيراً .

ليس المقصود هنا سرد تاريخ التعلم الغربي في نيجيريا . فهذا بحث قد قام به عدد

(٦) انظر :

Graham, S.P. Government and Mission Education : Ibadan Press, 1966, p. 11.

(٧) المرجع نفسه ، ص ٧ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ١١ إلى ١٢ .

(٩) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق ، ص ٤٠ وما بعدها .

من الباحثين^(١٠) . ولكن الذى يهنا هنا هو أن نرى كيف قذفت البذور الأولى لذلك التعلم الذى كان يصطبغ بصبغة دينية بحة ، فى شمال نيجيريا ، بين المسلمين ، وكيف كرهه المسلمون وتحاشوه فى السنين الأولى بعد دخول المستعمرين . ولماذا كانت الحركات التبشيرية ناجحة فى الجنوب ولم تكن كذلك فى الشمال . . وإلى أى حد تأثرت المدارس القرآنية والمعاهد الدينية بذلك التعلم الحديث .

فلنا إن المحاولات الأولى لفتح مدرسة خاصة لأولاد المسلمين قد فشلت ، وذلك لأسباب منها ما يلى :

- ١- كون الثقافة الغربية فى ذلك الزمن ثقافة مسيحية صرفة ، فلذلك كرهها المسلمون ولم يروا فيها إلا حيلة لتغيير دينهم وثقافتهم الإسلامية .
- ٢- كون تلك الثقافة بأيدي المبشرين الذين كان غرضهم الأساسى نشر الدين المسيحى لا التعلم ، وقطع التيار الإسلامى ووضع العقبات والحواجز دون انتشاره وازدهاره .
- ٣- كون المسلمين يعترفون بثقافتهم التى ورثوها من آباؤهم وأجدادهم ، ولم يروا مبرراً لتكبتها والأخذ بثقافة أجنبية كان يحملها المستعمرون ومساعدتهم .
- ٤- كون المستعمرين قد عقدوا معاهدات مع ملوك ورؤساء المسلمين عندما احتلوا الشمال ، تفيد بأنهم لا يسمحون للمبشرين بالدخول إلى أراضى المسلمين إلا بموافقة الملوك ورضاهم .

(١٠) ومن ذلك ما يلى :

- a) Hillard, F.H. *A short History of Education in British West Africa*, Thomas Nelson and sons, Edingburgh, 1957.
- b) Lewis, L.J. *Educational policy and practice in British Tropical Areas*, Thomas Nelson and sons, Edingburgh 1955.
- c) Ajayi, F.A.F. *Christian Mission in Nigeria, 1841-1981*, Longmans, London, 1965.

وغيرها من الكتب .

٥- كون المستعمرين أنفسهم لا يشجعون المبشرين على الدخول في أراضي المسلمين ، لأنهم كانوا يخافون من إثارة مشاعر المسلمين ، ولم تكن لديهم إذ ذاك إمكانيات كافية لقمع أى ثورة أهلية لو انضم الأهالى كلهم ضدهم^(١١) . فشلت هذه المحاولة الأولى لنشر التعليم الغربى فى الشمال هذه الأسباب وغيرها . وأما فى الجنوب فلم تكن هناك أية مقاومة ضد ذلك التعليم لعدم وجود ثقافة إسلامية راقية ، فلذلك كثرت المدارس ، والكنايس هناك ، وفتحت المعاهد اللاهوتية لتدريب رجال الدين المسيحيين من الوطنيين الذين قاموا بدورهم ينشرون الدين المسيحي والتعليم الغربى لأبناء وطنهم^(١٢) .

هذا ، ومع أن الحكومة تركت شئون التعليم كله بأيدي الطوائف الدينية المسيحية ، التى قامت بمجهود كبير نحو نشر الثقافة المسيحية فى الجنوب ، فإنها لمأ رأت أن محاولات الإرساليات لم تكفل بنجاح فى الشمال بين المسلمين ، وكانت الحكومة على الأهل فى حاجة إلى تكويرن طائفة من الموظفين ليعملوا فى المكاتب الحكومية ، لمأ رأت الحكومة ذلك فكّرت فى فتح مدرسة حكومية فى الشمال . وكانت الحكومة أولاً تبغى أن تجد ما تحتاج إليه من الكتبة والموظفين من مدارس الإرساليات فى الشمال ، كما كانت تجد ذلك فى الجنوب . فلماً فشل الأمر تحملت تلك المسئولية التى كان يجب عليها أن تتحملها من قبل . وفى يوليو سنة ١٩٠٨ أعير هنس ييشا Hanns Vischer من

(١١) وهناك أسباب أخرى لفشل تلك المحاولة منها أن الأمراء بطبيعة الحال لا يريدون إرسال أطفالهم إلى مدرسة داخلية بعيدة عنهم وتمت رعاية قوم لا يتقنون بهم . ومنها أن مللر Miller كان بالفعل يدرّس لأطفال المسلمين شيئاً من الدين المسيحي بطريقة غير مباشرة . فقد كانت كتب القراءة كلها عبارة عن ترجمة قطع من الإنجيل بلغة الموسا ، قام بتلك الترجمة مللر نفسه . انظر :
Graham, S.F. p. 51.
(١٢) اقرأ تفصيل ذلك فى :
Lewis, L.S. Chapter 3 p . 23 - 37.

الإدارة إلى التعليم ليقوم بتنظيم التعليم في الشمال^(١٣) . وقبل أن يشرع بيشا في تنظيم التعليم الحديث رأت الحكومة أن ترسله أولاً إلى بعض البلاد المسلمة التي كان الإنجليز يستعمرونها حين ذاك كمصر والسودان ، ليشاهد كيف استطاع المستعمر صيغ التعليم في تلك البلاد باللون الذي أراده واختاره لشعوب تلك البلاد . وكان وصول بيشا إلى القاهرة في أول فبراير سنة ١٩٠٩ ميلادية . وزار فيها الكتابيب والمدارس الابتدائية والثانوية ، كما زار مدرسة الصناعة في المنصورة ومدرسة أخرى للصناعة في بولاق ، ومدرسة الزراعة في الجيزة . ثم سافر إلى السودان وزار هناك كلية غوردون Gordon College والمدارس الابتدائية ومعهد لتدريب المدرسين^(١٤) . ثم سافر إلى ساحل الذهب^(١٥) وشاهد نظام التعليم هناك . وفي طريق عودته مر بلاجوس Lagos ودرس موقف التعليم فيه ثم عاد إلى الشمال .

وفي كل من القاهرة والخرطوم رأى بيشا أن المناهج في المدارس تحتوى على شيء بسيط من الدراسات الإسلامية والعربية زيادة على المواد المدنية . وفي التقرير الذي قدّمه بيشا بعد زيارته هذه اقترح على الحكومة أن تفتح أول مدرسة حكومية في كنو Kano فوافقت الحكومة . وفي شهر سبتمبر سنة ١٩٠٩ بدأ بيشا بفصل لتدريب المدرسين من الوطنيين الذين يمكنهم أن يساعدوا في التدريس بعد فتح المدارس^(١٦) . وبعد بضعة أشهر فتح فصلاً آخر ابتدائياً للأولاد . فهذه هي أول مدرسة حكومية فتحت في الشمال . وكان التلاميذ يأتون إليها من كل المحافظات الشمالية . وفي سنة ١٩١١ ظهرت ملامح النجاح في هذه المدرسة فبدأت تتسع ، ثم فكرت الحكومة في

(١٣) كان هنس بيشا أولاً في الإدارة ويتولى منصب المحافظ من الدرجة الثالثة ثم أُعير إلى التعليم . انظر ترجمته

في : Graham, S.F. p. 61.

(١٤) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(١٥) وهو البلد الذي أصبح غانة Ghana بعد الاستقلال .

(١٦) المرجع نفسه ، ص ٧٩ .

إنشاء مثلها في سكتو Sokoto وكثنة Katsina (١٧). وكانت المواد التي تدرّس في هذه المدرسة هي القراءة والكتابة بلغة الهوسا بالحروف اللاتينية، ومبادئ الحساب والجغرافية والرسم ومبادئ علم الصحة بلغة الهوسا أيضاً. وأضيفت إلى هذه المواد اللغة العربية وعلم الدين فيما بعد بإشارة الأمراء المسلمين.

نلاحظ أن الاحتلال البريطاني قد أثر في التعليم العربي في نيجيريا منذ وطئها أقدام المستعمرين، ويتضح هذا فيما يلي :

أولاً : أدرك المستعمرون أهمية اللغة العربية في الشمال، فهي اللغة الرسمية والثقافية كما رأينا سابقاً، فحاول بكل ما يستطيعه من قوة أن يستبدل بها لغته. فجعل اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية، وأصبحت الدواوين والمكاتب الحكومية كلها عدا المحاكم الشرعية تستعملها بدلاً من العربية. وهذه هي سنة المستعمرين، فقد كانوا يفعلون ذلك في كل بلد يدخلونه.

ثانياً : وجد المستعمر أن بعض اللغات المحلية كلفة الهوسا والفلافي تكتب بالحروف العربية وبذلك يتعلم الناس الكتابة والقراءة بلغاتهم المحلية كما رأينا، فاستبدلوا بهذه الحروف الحروف اللاتينية في المدارس، وجعل التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة بلغاتهم المحلية بهذه الحروف، ووجد ذلك تشجيعاً كثيراً من قبل الحكومة.

ثالثاً : قام المستعمر بتكوين طائفة من الموظفين الذين يقومون بحمل أعباء الحكومة الجديدة. وهذا هو غرضه الرئيسي من إنشاء المدارس. وليس المقصود أن ينال المتخرجون في تلك المدارس حظاً موفوراً من الثقافة الغربية الجديدة، ولكن المراد أن يتعلموا شيئاً قليلاً بحيث يستطيعون أن يقوموا ببعض الأعمال الإدارية حسب المطلوب.

(ب) سياسة الحكومة نحو التعلم العربي :

أدخلت اللغة العربية والدين في المواد التي كانت تدرّس في المدارس الحكومية الحديثة استجابة لرغبة الأمراء وإرضاء للآباء . ولكن الحكومة بعد ادخال هاتين المادتين لم تقم بفعل أى شيء يساعد على نشر هذه اللغة وبث هذه الثقافة الإسلامية في تلك المدارس كما كانت تفعل في بقية المواد . فأصاب المادتين روح الجمود ، وأصبحتا غريبتين بين المواد الأخرى . وأصبح التلاميذ وسائر مدرسي المواد الأخرى ينظرون إليهما نظرة احتقار وازدراء ، لعدم تشجيعهما من قبل الحكومة . ويظهر لنا هذا إذا تتبعنا خطر هاتين المادتين في تلك المدارس وقارنا بينهما وبين المواد الأخرى .

أولاً : لم تضع الحكومة في البداية منهاجاً منظماً لهاتين المادتين كما وضعت للمواد الأخرى . فكان كل مدرس يدرّس ما يشاء كيف يشاء . وكان التدريس لا يتجاوز تحفيظ بعض السور القرآنية وقراءة بعض الكتيبات وترجمتها إلى اللغات المحلية . فهذا مما يجعل التلاميذ بطبيعة الحال يلحظون الفروق بين هاتين المادتين والمواد الأخرى (١٨) .

واستمر الحال على ذلك فترة أكثر من ربع قرن ، كان المدرسون خلالها يدرّسون ما يشاءون حسب طاقتهم . فإذا كان المدرس مخلصاً في عمله وكان كفاً استطاع مع وجود تلك العراقيل الكثيرة أن يلحق طلبته شيئاً مفيداً من هاتين المادتين . وإذا لم يكن كفاً أو كان كسولاً ضاع وقته وأضاع وقت تلاميذه بدون أن يهتم بهذا أو بذلك أحد . وفي سنة ١٩٣٨م عقد أول مؤتمر في كنو Kano للنظر في وضع مناهج للعربية والدين في المدارس الحكومية . وأرسل المشرف على التعلم في كنو - بعد موافقة مدير التعلم - رسالة إلى كل المحافظات الشمالية ، يطلب منها إرسال أعضاء يمثلون محافظاتهم في ذلك

(١٨) استمر الحال كذلك إلى الأربعينات ثم بدأ يتحسن .

المؤتمر . وانعقد المؤتمر لمدة أسبوعين من يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٣٨ ميلادية^(١٩) وأخرج المؤتمر في آخر جلساته الطويلة مناهج اللغة العربية والدين في المدارس الأولية - للبنين والبنات - والمدارس الوسطى . وكان عدد الحصص المقررة في المدارس الأولية للبنين ستاً في الأسبوع في كل من السنوات الأربع ، ولا يختلف منهاج الأولية للبنات كثيراً ، إلا أن مدة الدراسة فيها كانت لثلاث سنوات فقط . وفي المدارس الوسطى قررت ست حصص أسبوعياً للغة العربية والدين ، وكانت تزداد إلى سبع في نهاية المرحلة^(٢٠) .

أرسلت هذه المناهج إلى كل المحافظات الشمالية للتوزيع على المدارس الحكومية ، وكان المتوقع أن تأخذ المدارس هذه المناهج وتطبقها ، ولكن ذلك لم يحدث ، لأن الحكومة أرسلت رسالة مرفقة لشرح المنهج المقرر ، تقول فيها ما يلي :

- ١- تطبيق هذه المناهج اختياري وليس واجباً .
 - ٢- من المحتمل ألا تستطيع المدارس تخصيص الوقت اللازم للحصص المقررة . وفي هذه الحالة فإن الأمر يترك لتقديرها .
 - ٣- ينصح المدرسون باستعمال السبورة وخصوصاً في المراحل الأولية ، وبأن يحتفظوا بكراس لتحضير الدروس وكراس لتسجيل درجات الطلبة^(٢١) .
- وواضح أن الملاحظة الثالثة التي تحاول الإيحاء ببعض الجدوية في شكل تدريس

(١٩) ملف رقم INSP/AS بدار المحفوظات بكدونة Kaduna تحت عنوان :

Suggested Arabic Syllabus for . Muslim Schools in Northern Nigeria.

(٢٠) المرجع نفسه .

(٢١) المرجع نفسه .

اللغة العربية والدين مقصود بها تغطية الفقرتين السابقتين اللتين تهدمان أسس الجدوية في تطبيق المنهج . فإذا كانت الحكومة لا تلتزم المدارس تطبيق هذه المناهج فليس غريباً إذن أن يستمر أكثر المدرسين في تدريس ما يشاءون وخصوصاً إذا تذكرنا أنهم لم يتلقوا أى تدريب في طريقة التدريس . وهكذا بقى الحال إلى سنة ١٩٤٤ م عندما عقد مؤتمر آخر لمراجعة المناهج . ثم توالى المؤتمرات والاجتماعات فيما بعد وأدخلت تعديلات جديدة كما سنرى فيما بعد إن شاء الله .

ثانياً : لم تهتم الحكومة في تلك الفترة بتدريب مدرسي العربية والدين ، في حين أنها كانت تدرّب غيرهم من مدرسي المواد الأخرى ، فكانت النتيجة أن أكثر مدرسي هاتين المادتين كانوا غير أكفاء ، وخاصة إذا قورنوا بأقرانهم في المواد الأخرى ، وفي الغالب يعين شيخ كبير السن طويل اللحية قبيح الهيئة ، ويحمل مسؤولية التدريس ، فيذهب إلى المدرسة وهو في نفسه غير راض عن نظام التعليم الجديد . وربما يعتقد أن تعليم اللغة الإنجليزية مثلاً كفر لأنها لغة الكفار^(٢٢) ، ومثل هذا المدرس يلتجئ إلى زاوية في المدرسة ولا يختلط بغيره من المدرسين ، وإذا جاءت حصته قام وتوضأ وأحسن الوضوء ثم دخل فصله . وربما يعقد الدرس خارج الفصل تحت الشجرة . فتلك الفروق الكثيرة التي كان التلاميذ يشاهدونها بين من يدرّسهم اللغة العربية والدين ومن يدرّسهم المواد الأخرى ، هي بدون شك من الأشياء التي جعلت التلاميذ يكرهون هاتين المادتين ويحقرونها . ولم تنشأ الحكومة أى نظام لتدريب المدرسين إلا في سنة ١٩٤٧ حينما أدخلت إصلاحات جديدة في مدرسة العلوم العربية بكنو . وأصبحت تخرّج المدرسين بالإضافة إلى القضاة الشرعيين . وتخرّجت أول فرقة لمدرسي المدارس الأولية في سنة ١٩٤٩ ، وأول فرقة لمدرسي المدارس الوسطى في سنة ١٩٥١ . ثم

(٢٢) لما تزل الحالة كذلك في أواخر الأربعينيات .

توالت تغييرات كثيرة نحو التعليم العربي في الخمسينيات كما سنرى (٢٣) .

ثالثاً : وجود فرق كبير في الرواتب بين مدرسي العربية وغيرهم . فهؤلاء ليست لهم شهادات تؤهلهم للتدريس ، ولذلك لا يمكنهم أن يتقاضوا راتباً كرواتب أولئك الذين أخذوا تدريباً مهنيّاً في التدريس (٢٤) .

أضف إلى ذلك كله عدم وجود كتب مناسبة لتدريس المادتين . في حين أن التلاميذ كانوا يجدون كتباً حديثة منظمة على الطريقة التربوية الحديثة في المواد الأخرى وعلى مستواهم العقلي ، كانوا لا يجدون ذلك في اللغة العربية والدين . إذ أن المدرس هو الذي كان يكتب لهم الدرس على السبورة فينقلونه في كرايسهم ثم يحفظونه عن ظهر قلب . كانت هناك إذن هوة واسعة تباعد بين هاتين المادتين والمواد الأخرى . وكلما تقدمت الأيام اتسعت الهوة ، وكلما قارنهما الطلبة بالمواد الأخرى ازدادوا كراهة لهما واشتمتزازاً منهما .

فإذا كانت الحكومة تهمل هاتين المادتين في مدارسها في تلك الفترة فليس غريباً إذن أن تهمل المدارس القرآنية على العموم ، وألاً تعترف بها ، وألاً تقدم إليها أى معونة مادية أو معنوية ، وألاً تفكر في إصلاحها أو تنظيمها . كانت الحكومة إذ ذاك تقدم مساعدات إلى المدارس التبشيرية التي أنشئت فيما بعد ، لأن تلك المدارس كانت منظمة - كما يقولون - وكانت موافقة للشروط التي وضعتها الحكومة للمدارس التي يمكن أن تستحق منحاً حكومية . وقد كان لهذه الحالة المؤسفة تأثير في قلوب التلاميذ نحو المادتين . وخاصة في قلوب التلاميذ الذين كانوا يفتدون إلى المدارس الحكومية في

(٢٣ ، ٢٤) في مدرسة نصرأوا الحكومية كان مدرس العربية يتقاضى ثمانية عشر جنيهاً سنوياً في سنة ١٩١٠ في حين أن باقي المدرسين من الوطنيين يتقاضون بين أربعة وعشرين جنيهاً وثمانية وأربعين جنيهاً سنوياً . وكانت العلاوات التي يلقاها ناظر المدرسة الإنجليزي لأجل فرسه فقط تبلغ خمسة وأربعين جنيهاً واثني عشر شلماً وست بنسات سنوياً . انظر : Graham, S.F. p. 175 .

الصباح ويروحون إلى المدارس القرآنية التي لم تكن تجد أى معاونة مالية من الحكومة ، في المساء ، كانوا في الصباح يتعلمون في فصول نظيفة وعلى كراسٍ منظمة . وكانوا يجدون تنوعاً في الدروس وحصصاً للعب في المدارس الحكومية . وكانوا لا يجدون ما يقابل ذلك في مدارسهم القرآنية في المساء . فهذا أيضاً بدون شك كان من العوامل التي ساعدت في نقص قيمة المادتين في عيون التلاميذ .

(ح) ظهور المدارس العربية الحديثة :

رأينا فيما سبق كيف أنشأت الحكومة المركزية مدارس لتخريج الموظفين الذين يمكنهم أن يملئوا بعض المناصب في المكاتب والدواوين الحكومية . فهؤلاء المتخرجون هم الذين حلّوا محل أولئك الذين كانوا يتخرجون من الزوايا والمعاهد الدينية بثقافة عربية إسلامية ، تؤهلهم للملء المناصب الحكومية قبل الاحتلال البريطاني . ولكن هؤلاء المتخرجين من المدارس الحديثة لم يكونوا يستطيعون ملء المناصب الوظيفية في المحاكم الشرعية ، لأن ذلك كان يتطلب معرفة الشريعة الإسلامية . فلذلك استمر المتخرجون من المعاهد الدينية يتولون مناصب القضاء والكتابة في المحاكم الشرعية إلى أن أنشئت مدارس عربية حديثة لتخريج هذا النوع من الموظفين . فأنشئت في سنة ١٩٣٠ في كل من سكتو. وكنو مدرسة الشريعة على نظام المدارس الحديثة ، وكان الطلبة فيها يتعلمون اللغة العربية والشريعة الإسلامية على المذهب المالكي . ثم فتحت مدرسة أخرى في سنة ١٩٣٤ في كنو وسميت مدرسة الشريعة الكبرى^(٢٥) . وكانت أول مدرسة من نوعها في غربي إفريقية . ولقد لعبت دوراً هاماً في نشر الثقافة العربية الدينية في نيجيريا ، وأصبحت كعبة يغشاها الطلبة من كل المحافظات في نيجيريا ومن البلاد الإفريقية المجاورة .

(٢٥) اقرأ تفاصيل ذلك في رسالة الدكتور على أبي بكر ، ص ١٣١ وما بعدها .

لقد رفعت هذه المدارس الحديثة مستوى اللغة العربية والدين في البلاد وفي المدارس وخاصة ، بعدما أدخلت تجديدات عديدة في مدرسة الشريعة الكبرى ، وأصبحت تسمى مدرسة العلوم العربية ، وأضيف إليها قسم لتدريب المدرسين ، فصارت معهداً كبيراً يلتحق به الطلبة من مدارس الشريعة الصغرى ، ومن المدارس الوسطى ، ومن المعاهد الدينية غير الحكومية . وكانت تلك المدارس منظمه على الطريقة الحديثة . وكانت لها المناهج والكتب المقررة وما إلى ذلك من النظم المدرسية الحديثة . وكان المتخرجون فيها من المدرسين بعد إدخال التجديدات ينالون شهادة التدريس من الدرجة الثانية ، ويتقاضون رواتب كرواتب غيرهم من مدرسي المواد الأخرى الذين يحملون نفس الشهادة . كانت لهذه التغييرات أهمية كبيرة في تاريخ التعليم العربي الحديث في نيجيريا ، فقد رفعت لأول مرة الروح المعنوية للمدرسين ، كما رفعت بذلك قيمة المادتين في المدارس الحديثة .

(د) تطوّر اللغة العربية نتيجة للحركات السياسية :

بدأ التعليم الغربي يتشرف في نيجيريا حتى في المناطق الشمالية في الخمسينيات ، وذلك حينما بدأ النيجيريون يشتركون في رسم طريقة لهم لتعليم أبنائهم . ولم يحدث ذلك إلا بعد وضع الدستور الجديد لسنة ١٩٥١م^(٢٦) ، ذلك الدستور الذي بدأ يعطى للنيجيريين حق الاشتراك في سياسة تلك البلاد . وقد بدأت قلوب زعماء السياسة تفتح ، فصاروا يطالبون بنشر التعليم . وأدركوا سياسة المستعمرين في التقدير الشديد على التعليم . فصار زعماء السياسة يرفعون أصواتهم في الجلسات البرلمانية ضد سياسة التعليم في البلاد . وكما انتقدوا سياسة الحكومة نحو التعليم الغربي انتقدوا أيضاً سياستها نحو التعليم العربي .

(٢٦) اقرأ عن ذلك الدستور في :

Sir Ahmadu Bello, *My Life* Cambridge University Press, pp. 82 - 95.

ففي جلسات مناقشة الميزانية للهيئة التشريعية للشمال لسنة ١٩٥٢ عارض كثير من الأعضاء سياسة التعليم ، ولاموا الحكومة لعدم اهتمامها بالتعليم العربي والديني ، وطالبوها ببحث مشاكل التعليم فوراً^(٢٧) . وبناء على ذلك نظر المجلس التنفيذي في هذا الأمر في جلسته السادسة عشرة التي عقدت في اليوم السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٥٢ ، وقرر المجلس تشكيل لجنة خاصة لتتولى إجراء دراسة شاملة نحو سياسة التعليم العربي والديني وخاصة دراسة الموضوعات التالية^(٢٨) :

١ - تطوير وتوسيع مدرسة العلوم العربية بكنو ككلية مستقلة غير تابعة لجامعة إبادان Ibadan . وكان هناك قبل ذلك اقتراحات من بعض المستشرقين التابعين لوزارة المعارف في ذلك الزمن بضم تلك المدرسة إلى جامعة إبادان وجعلها فرعاً لها .

٢ - منح البعثات العلمية للدراسات العليا لنفر من خيرة طلبة مدرسة العلوم العربية أو المتخرجين منها ليتخصصوا في اللغة العربية والدين .

٣ - تنظم المدارس القرآنية وطريقة مساعدتها .

وعقدت اللجنة جلساتها في يوليو وأكتوبر سنة ١٩٥٢ وفي أبريل سنة ١٩٥٣ . وفي خلال جلساتها طلبت من الحكومة إرسال وفد منها إلى السودان ليجرى مباحثات مع الحكومة السودانية في شأن التعليم العربي والدراسات الإسلامية عامة ، ولينظر في إمكانية إرسال بعثة للدراسات العليا هناك . فوافقت الحكومة على إرسال اللجنة^(٢٩) .

وبعد أن عاد الوفد من السودان وقدم اقتراحاته استطاعت اللجنة بعد ذلك أن تكتب تقريراً شاملاً إلى الحكومة ، يشمل اقتراحات مهمة ملخصة كالآتي :

(٢٧) انظر : الملحق رقم ١ ص ٢٩٣ .

Report of the Committee on Higher Education, 1953 p. 1.

(٢٨) المرجع نفسه ، ص ٢ وما بعدها .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٢ وما بعدها .

(١) فيما يخص تطوير مدرسة العلوم العربية اقترحت :

- ١- فتح قسم خاص في المدرسة يلتحق به طلبة الحلقات الخاصة^(٣٠) والمعاهد الدينية غير الحكومية . وكانت المدرسة قبل ذلك قد قفلت أبوابها في وجه هذا النوع من الطلبة ، ولا تقبل إلا الطلبة الذين أتموا دروسهم في المدارس الوسطى .
- ٢- مدّ مدة الدراسة العامة في المدرسة من ستين إلى أربع سنوات ، ليتمكن الطلبة من الوصول إلى مستوى عال يؤهلهم لتدريس موادهم بكفاءة في المدارس الوسطى . ثم زيادة سنة إضافية للتخصص إما في التدريس أو في القضاء الشرعي حسب ميول الطلبة واستعدادهم .
- ٣- اختيار عدد من الطلبة الممتازين بعد إكمال دراستهم العامة وإرسالهم إلى بحت الرضا بالسودان لدراسة مدتها ثمانية عشر شهراً ، يتلقون خلالها تدريباً في التدريس . وإذا عادوا درسوا في المدارس الثانوية .
- ٤- اختيار عدد من الطلبة المتفوقين الذين يريدون التخصص في الشريعة وإرسالهم إلى جامعة الخرطوم لإكمال دراستهم الشرعية هناك ، وليشغلوا مناصب حكومية في المحاكم الشرعية ذات الدرجة الأولى إذا عادوا .
- ٥- أن يُطلب من الحكومة السودانية إعارة مدرس له خبرة طويلة في التدريس في المدارس الابتدائية ليأتي إلى كنو ، ويقوم بتنظيم دروس خاصة في طريقة التدريس الحديثة لمفتشى المدارس الأولية ومدرسيها .
- ٦- أن يرفع مستوى المدرسة إلى كلية ويعين الناظر فيها عميداً .

(ب) وفيما يخص البعثات للدراسات العليا اقترحت اللجنة إرسال ست بعثات تعليمية إلى بحت الرضا في تلك السنة ، وأن يتم اختيار الطلبة بواسطة امتحان مسابقة

(٣٠) وهي الحلقات التي يعقدها العلماء في بيوتهم .

تحريرى وشفهى . وأن يدرس الطلبة المتدبون اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية .

(ج) وأما فيما يخص المدارس القرآنية فلم تصل اللجنة إلى قرار يجدى ، ولكنها أشارت بأن تلك المدارس ينبغي أن تستمر على ما هي عليه كمدارس دينية ، خاصة ولكنها أوصت الحكومة أن تقدم لها مساعدات في الكتب . واقترحت اللجنة أيضاً تأجيل النظر في مسألة إرسال وفد من مدارس القرآن إلى البلاد العربية الإسلامية حتى يدرس الموضوع أولاً دراسة وافية فيما بعد^(٣١) .

قبلت الحكومة هذه الاقتراحات ووضعتها في حيز التنفيذ . فأدخلت النظام الجديد في مدرسة العلوم العربية وعينت بتدريب المدرسين . وتفضلت الحكومة السودانية فأعارت نيجيريا أحد مفتشى المدارس الأولية ، فحضر إلى كنوسنة ١٩٥٥ والتي سلسلة دروس لتدريب مفتشى ومدرسى اللغة العربية والدين في المدارس الأولية ، واستمر ذلك بضع سنوات . وبدأ إرسال بعثات علمية كما سنرى فيما بعد . وأجلت مسألة المدارس القرآنية إلى أجل غير مسمى . وكانت لتائج هذه المباحثات أهمية كبيرة في تطوير اللغة العربية في نيجيريا . ولقد بدأ رجال السياسة يستغلون هذه المسألة في نشاطهم السياسى ضد الحكومة ، وفى محاولة إقناع الشعب بأنهم يسعون لصالح الدين واللغة العربية ، وبهذه الطريقة يكسبون ثقة الشعب إزاء حركاتهم السياسية .

نلاحظ أن اللجنة اقترحت إرسال بعثات علمية إلى السودان لا إلى غيره من البلاد العربية . والسبب في ذلك يرجع إلى أن الحكومة لم تكن تريد إرسال الطلبة النيجيريين إلى مصر وتونس ، لأن المستعمرين كانوا لا يريدون أن يتأثر الطلبة بالحركات السياسية هناك . فكان تقريرهم عن الجامعات المصرية والتونسية أنها تلعب دوراً هاماً في السياسة . وأن الطلبة النيجيريين إذا ذهبوا هناك سيعودون بأفكار وآراء سياسية غير

(٣١) المرجع السابق ص ٧ ، ٨ .

مقبولة في نيجيريا^(٣٢). وأما السودان في ذلك الزمن فكان لا يزال تحت حكم المستعمرين ، وكانت المدارس هناك لا تزال تتبع الطرق التعليمية حسب ما وضعه الإنجليز . وهذا هو السر الذي جعل الحكومة تنتدب مدرسي اللغة العربية والدين من السودان لا من غيره . واستمر الحال كذلك إلى ما بعد الاستقلال . ثم بدأت الحكومة الوطنية تنتدب المدرسين من مصر ومن غيرها من البلاد العربية .

ونلاحظ كذلك أن الحكومة قد أدركت أن الحاجة ماسة إلى تنظيم المدارس القرآنية ومساعدتها ، ولكن في الوقت نفسه أيقنت أن ذلك يتطلب مجهوداً عظيماً جداً ، وذلك لكثرة المدارس ولقلة المتخصصين في وزارة التعليم ، الذين يمكنهم أن يقوموا بأمر التنظيم ، إذ أن ذلك يتطلب وضع المناهج ، وتعيين المدرسين وتدريبهم ، وتعيين عدد من المفتشين الذين يستطيعون زيارة المدارس وإرشادها . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الحكومة تؤجل النظر في هذا الشأن . وربما يكون السبب هو أن الحكومة كانت تظن أنها إذا بدأت في التنظيم ربما يثور الناس ضدها ، ويقولون إنها تريد أن تتدخل في أمر المدارس القرآنية لتضعف الجانب الديني وتقوى جانب التعليم المدني . ولهذا السبب أو ذاك تركت المدارس على ما هي عليه . واستمرت إلى ما بعد الاستقلال حيناً حاولت الحكومة أن تقوم بعمل شيء نحوها .

يتضح لنا أن اللغة العربية في أوائل هذه الفترة قد أصابها نوع من الجمود نتيجة لدخول المستعمرين ومحاولتهم إضعافها بشتى الطرق . واستبدال الثقافة الإنجليزية بها . وقد رأينا أن مادق اللغة العربية والدين قد جعلتا في السنوات الأولى في زاوية منعزلة في المدارس ، وأصبحت اللغة العربية تدرّس بطريقة جامدة كما كانت اللغة اللاتينية تدرّس في مدارس أوروبا . يحاول الطالب حفظ بعض القواعد النحوية واللغوية وبعض

(٣٢) المرجع السابق ص ٦ ، أود أن أسجل شكرى هنا لوكيل وزارة التعليم بكتو الحاج حسين آدم الذي سمح

لي بالبحث في ملفات الوزارة ووثائقها .

الألفاظ والتعابير التي تساعده على النجاح في الامتحان ونيل الشهادة الثانوية ، ثم يتركها الطالب بعد نيل الشهادة ويعود جاهلاً بها كما كان قبل تعلمها .

ومما ساعد على ذلك الجمود سد الأبواب التي كانت قبل ذلك مفتوحة بين نيجيريا والبلاد العربية الإسلامية . فلم تكن الوفود من العلماء تغشى البلاد كما كانت سابقاً . وعلى العموم فقد انقطعت الصلة في أوائل تلك الفترة بين نيجيريا والبلاد العربية . ولم يبق خيط من خيوط الاتصال إلا عن طريق الحج .

وأما عن انتشار اللغة العربية فإنها لم تتسع في تلك الفترة اتساعاً كبيراً كما ينبغي . كانت مقصورة على مستوى ضئيل في المدارس المدنية الحكومية كما قلنا . ولكن بدأ بصيص من النور يسطع في الثلاثينيات عندما أنشأت الحكومة مدرسة الشريعة الكبرى ، التي أصبحت فيما بعد مدرسة العلوم العربية بكنو ، وظهرت مثلاتها بعد ذلك كما ذكرنا سابقاً . ثم بدأت الحالة تتغير نتيجة للحركات السياسية في أواخر الفترة كما بينا . واستمرت اللغة العربية كذلك تتعلم في الحلقات والزوايا التقليدية - كما كانت سابقاً - بدون أى تطوّر يذكر . ويشترك في التدريس فيها العلماء والقضاة وأئمة المساجد . وكل ذلك كان في زاوية منعزلة . ولم تظهر في تلك الفترة مؤلفات كثيرة كما ظهرت في العصر الماضي . ولكن العلماء اكتفوا بدراسة المؤلفات التي وضعها سلفهم وشرحها وكتابة الذيل والحاشية لها . فلم يكن إنتاجهم كثيراً . وستحدث عن إنتاجهم الأدبي في الباب التالي إن شاء الله .

الفصل الرابع

اللغة العربية بعد الاستقلال ١٩٦٠ - ١٩٦٦

رأينا أن الحركات السياسية في شمال نيجيريا قد قامت بدور هام في إدخال إصلاحات كثيرة في ميدان التعليم عامة وفي ميدان التعليم العربي والدين خاصة . وقد بدأت نتائج ذلك تظهر عندما تم الاستقلال^(١) .

فقد ظهرت مدارس كثيرة وأقبل الناس يستريدون منها ، وظهر اعتناء الحكومة بتدريب مدرسي اللغة العربية والدين . ووجدت طائفة من مدرسي هاتين المادتين قد أكملوا دراساتهم العالية وتخصصوا في هذين الفنين وانخرطوا في سلك التدريس . وبدأ البعض منهم يشترك في سياسة التعليم في الوزارة . وبدأ مدرسو العربية يتمتعون بقسط من المساواة بينهم وبين إخوانهم الذين يدرسون المواد الأخرى في الرواتب وفرص الترقية وغير ذلك . وأقبلت الحكومة كذلك على إرسال البعثات التعليمية إلى البلاد العربية وغيرها للتخصص في العلوم العربية . كانت تلك الملامح والحقائق كلها ظاهرة عندما طلع فجر نيجيريا المستقلة .

فإذا كان رجال السياسة قبل الاستقلال قد استطاعوا أن يدفعوا الحكومة دفعا لإدخال تلك الإصلاحات نحو التعليم بما فيه التعليم العربي والديني ، فإذا يستطيع هؤلاء أن يفعلوا بعد الاستقلال ؟ كانوا أولاً يتقنون سياسة الحكومة نحو التعليم وبخاصة تعليم العربية والدين ، ويتخذون ذلك سلاحاً لمحاربة سياسة الحكومة ويكتسبون بذلك

(١) أعلن استقلال نيجيريا في أول أكتوبر سنة ١٩٦٠ ميلادية .

معاوضة الشعب لهم . والآن وقد ردت بضاعتهم إليهم وسلم زمام الحكم إلى أيديهم ، فن الطبيعي أن يتوقع سواد الشعب تقدماً واضحاً نحو التعليم . وإذا كانت الحكومة المستعمرة قد أهملت المدارس القرآنية زمن الاستعمار ، ولم تحرك ساكناً في أمرها ، ولم تقدم لها أية معونة مادية أو معنوية لعدم الاعتراف بها ، في حين أنها كانت تقدم كل المساعدات للمدارس الإرساليات ، وتشرك رجالها في وضع سياسة التعليم ، فليس لها عذر بعد الاستقلال في أن تستمر على ذلك النوال .

كانت الأحزاب السياسية إذ ذاك قائمة على ساقها . وكان الحزب الحكومى (٢) في الشمال يعرف حق المعرفة أن مسألة التعليم قضية حساسة ، وأن نفس السلاح الذى استخدمه هو ضد المستعمرين سوف يستخدم ضده إن لم يقدم مشروعاً مهماً لتطوير التعليم المدنى والدينى معاً ، فبادر بوضع مشروعات جديدة لتوسيع التعليم . ولا يهنا هنا التنظيمات الجديدة التى أدخلت في مجال التعليم المدنى ، ولكن الذى يهنا هو ما قامت به الحكومة من الإصلاحات في جانب اللغة العربية والدين . وكانت لا تزال قضية المدارس القرآنية تشغل كثيراً من الناس كما تشغل رجال التعليم كذلك . وكان الناس لا يزالون يطالبون الحكومة بمساعدتها ويلحون في الطلب حتى أدى ذلك إلى أن أصبح لرجال التعليم في الوزارة ثلاثة آراء إزاء المدارس القرآنية . وهذه الآراء هى :

١ - تنظيمها بطريقة عصرية مع تحسين الإمكانيات الموجودة فيها ببناء فصول مناسبة وإدخال مواد مدنية وتعيين مدرسين مدنيين والاعتراف بها كمرحلة أولية لنظام التعليم الدينى . ومعنى ذلك الاعتراف بشائبة التعليم وإدخال بعض التحسينات في هذه الطريقة بالتدرج حتى تتقارب الطريقتان في المستقبل .

٢ - تقديم مساعدات مالية وفنية من الحكومة إلى تلك المدارس كما كانت تقدم إلى مدارس الإرساليات . وتركها وشأنها لتنمو على طريقها .

٣ - إلغاء نظام تلك المدارس والقضاء عليها وتحويل المدارس القرآنية كلها إلى مدارس ابتدائية . وهذا يعنى أيضاً القضاء على ثنائية التعليم . وأصحاب هذا الرأى كانوا يعتقدون أن ذلك مما يسبب تطوراً كبيراً فى تاريخ التعليم الأولى^(٣) . فإذا تحولت كل المدارس القرآنية وأصبحت مدارس أولية سيئسّر التعليم انتشاراً بالغاً ويعم كل المناطق مدنها وقراها ، إذ أن عدد المدارس القرآنية كان أضعاف عدد المدارس الأولية الحكومية^(٤) .

بدأت الحكومة فى الإقليم الشمالى تدخل بعض الإصلاحات فى نظام التعليم العربى فى أوائل سنة ١٩٦٠ . ومن هذه الإصلاحات تعيين موظف مسئول عن تنظيم الدراسات العربية Organizer Arabic Studies فى وزارة التربية والتعليم . وكان هذا المنصب موازياً لمنصب مفتش التعليم . ومن ذلك الوقت أصبح لهاتين المادتين صوت مستقل فى الوزارة كما كان للمواد الأخرى . وكان الحال قبل ذلك أن مفتش التعليم هو الذى يسند شئون المادتين إلى أحد موظفيه . وفى الغالب لم تكن لذلك الموظف معرفة بالمادتين . وأما بعد ذلك التعيين فقد أصبح المسئول متخصصاً فى هاتين المادتين . ويقع على عاتقه تطوير وترقية المادتين فى كل المدارس الشمالية . كما طلب منه أيضاً تنظيم المدارس القرآنية .

وفى نفس السنة قررت الحكومة تشكيل لجنة وزارية يرأسها وزير التربية والتعليم لتتظّر فى قضية تنظيم المدارس القرآنية . وبعد أن درست اللجنة هذا الموضوع أشارت على الحكومة أن ترسل بوفد يضم كبار شيوخ مدارس القرآن ورجال التعليم إلى البلاد العربية الإسلامية ليدرس الطريقة التى عالجت بها تلك البلاد مشاكل التعليم فى

(٣) اقرأ تفصيل ذلك فى محاضرات أكتوبر للكاتب التى أذيعت فى الراديو سنة ١٩٧١ ونشرت فيما بعد .

(٤) فى تقرير لوزارة المعارف سنة ١٩٦١ أن عدد مدارس القرآن فى شمال نيجيريا يبلغ ٢٧,٢٠٠ وعدد

التلاميذ ٤٢٢,٩٣٤ فى حين أن عدد المدارس الأولية كان ٢,٤٩٠ وعدد التلاميذ ٣١٦,٢٦٤ .

المدارس القرآنية . فوافقت الحكومة على ذلك ، واختارت أعضاء الوفد من كل المحافظات الشمالية وعيّنت وزير سكتو الحاج الجنيدي رئيساً له ، والحاج حسين آدم أميناً^(٥) . وتقرر أن يسافر الوفد إلى كل من مصر والسودان وليبيا . وفي اليوم السابع من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٢ م غادر الوفد مطار كنو الدولي متوجهاً إلى مصر ومنها إلى ليبيا ثم السودان عن طريق مصر أيضاً . وزار الوفد في هذه البلاد الثلاثة كثيراً من المدارس القرآنية والمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية .

ورأى الوفد أن الحكومات في تلك البلاد الثلاثة لم تهمل شأن المدارس القرآنية والتعليم الديني . فقد أدخلت بعض التحسينات في تلك المدارس ونظمتها . ففي مصر مثلاً أدرك الوفد أن المدارس القرآنية والمعاهد الدينية بما فيها الأزهر كلها تحت مسئولية وزارة الأوقاف وشئون الأزهر^(٦) . ويوجد في جامعة الأزهر قسم خاص بالمدارس القرآنية يرأسه مدير وتحت مفتحون لها في كل المحافظات . وفي ليبيا وجد أن الحكومة قد حملت الجامعة الإسلامية للسيد محمد بن السنوسي مسئولية التعليم الديني . وكانت الجامعة قد أسندت هذه المسئولية لقسم خاص تحت مدير ومساعدته . وعيّنت الجامعة مفتشين يقومون بتفتيشها في كل المحافظات . وأما في السودان فكانت مسئولية التعليم الديني تحت قسم الشؤون الدينية في وزارة التعليم والعدل . وفي القسم مدير ومراقب ومفتش رئيسي يرأس طائفة من المفتشين . وكلهم موظفون للحكومة السودانية . وهم الذين كانت مسئولية التعليم الديني بما في ذلك تنظيم المدارس القرآنية تقع على عاتقهم^(٧) .

وبعد مباحثات كثيرة ومناقشات عديدة مع المسؤولين في تلك البلاد أدرك الوفد أن

(٥) انظر :

Report and Recommendation of the Team sent by Northern Government to study the Organization of Koranic and Islamic Schools in other Muslim countries. Ministry of Education, Kaduna.

(٦) فيما بعد استقل الأزهر بوزارة خاصة ووزير . (٧) انظر المرجع السابق .

هذه البلاد الثلاثة قد قامت - كلٌ على طريقته الخاصة - بتنظيم التعليم الديني بطريقة تجعله يتمشى جنباً إلى جنب مع التعليم المدني . وقد حاولت كل منها أن تسد تلك الهوة الواسعة بين نظام التعليم الديني ونظام التعليم المدني . وبعد عودة الوفد قدّم تقريراً مفصلاً إلى الحكومة . وكانت توصيته ملخصة كالآتي (٨) :

١- أن تعين الحكومة مفتشين للمدارس القرآنية والمعاهد الدينية وتكلفتهم بتوجيهات فنية لها ولباقى المدارس الأولية الحكومية .

٢- أن تأمر الحكومة المركزية الحكومات الأهلية بتعيين مشرف في كل محافظة ، يشرف على المدارس القرآنية ويقوم بتنظيمها وتوجيهها ، كما تعين الحكومة الأهلية مشرفين لتعليم الكبار ومحو الأمية .

٣- أن تكلف المشرفين والمفتشين بتنظيم المدارس القرآنية تحت الإشراف العام لقسم اللغة العربية بوزارة المعارف . وتنظيمها يكون على شكل تقسيم الأطفال إلى فصول حسب سنهم ومستواهم العلمى . ويقوم هؤلاء أيضاً بمسئولية وضع المناهج البسيطة وبتفتيش وتوجيه تلك المدارس . وأن تضاف مبادئ الحساب والقراءة والكتابة والعبادات في المناهج لرفع المستوى العلمى فيها .

٤- أن تشترط الحكومة وجود عدد كاف من الأطفال وموافقة أصحاب هذه المدارس على إدخالها تحت هذا النظام .

٥- أن تقدم الحكومة مساعدات مالية وفنية للمدارس المنظمة بما في ذلك مساعدات في البناء ومعدات المدرسة .

٦- أن يكون تقديم تلك المساعدات بواسطة الحكومة الأهلية (٩) .

(٨) مقتبس من المرجع نفسه .

(٩) وتوجد في نيجيريا الحكومة الفيدرالية المركزية **Federal Government** ويرأسها رئيس الجمهورية . وتوجد أيضاً حكومة ولاية **State Government** في كل ولاية وعلى رأسها الحاكم . والحكومة المحلية **Local Authority** هي التي يرأسها الأمير . وقد تكون في ولاية واحدة عدة حكومات محلية وعلى رأس كل -

٧- أن تفكر الحكومة في إيجاد طريقة لوضع ميزانية سنوية عن كل مدرسة ، وذلك لأن احتياجات تلك المدارس تختلف باختلاف الأماكن التي فيها ، سواء كانت مدينة أو قرية ، وسواء كانت المدرسة صغيرة أو كبيرة .

٨- أن تشجع الحكومة الإقليمية الحكومات الأهلية التي تريد أن تشارك في تقديم المعاونة المادية والمعنوية إلى تلك المدارس .

٩- أن تسجل المدارس التي يوافق أصحابها على الانخراط في النظام الجديد ، وتحفظ صورة من السجل مع الحكومات الأهلية وصورة مع المفتش وأخرى مع الوزارة . ويسجل كذلك أسماء المدرسين في كل مدرسة وعناوينهم ونوع ومقدار المعاونة التي تقدم إلى المدرسة .

١٠- أن تنظم سلسلة دروس من وقت لآخر لمدرسي المدارس القرآنية يأخذون فيها فكرة في مبادئ التربية والتعليم وطرق التدريس الحديثة وعلم النفس ومبادئ علم الصحة .

١١- أن تتخذ الحكومة الإجراءات اللازمة لمنع معلمى القرآن من الانتقال مع الأطفال من بلد إلى آخر أو من قرية إلى أخرى^(١٠) .

١٢- أن تعترف الحكومة بأهمية المدارس القرآنية وكونها جزءاً مهماً في السلم العلمى بالنسبة للأطفال المسلمين ، إذ أن أكثرهم يبدعون في مرحلة تعليمهم الأولى هناك ومنها إلى المدارس الأولية الحكومية ، ولا شك أن تطويرها سيجلب منافع كثيرة للتعليم ، فينبغى لذلك أن تكون داخلة في إطار التعليم العام .

= واحدة منها أمير. هذا هو النظام حالياً ، وأما قبل الانقلاب العسكرى (سنة ١٩٦٦) فكانت الحكومات على الوجه التالى : الحكومة الفيدرالية والحكومة الإقليمية Regional Government والحكومة المحلية .

(١٠) كان معلمو القرآن قبل ذلك يتنقلون مع الأطفال من بلد إلى آخر ، وسبب ذلك مشاكل تعليمية واجتماعية كبيرة ، ولا يزال البعض على هذه الحالة حتى الآن في القرى .

وأما بالنسبة للمدارس الإسلامية التي أنشأها الأهالي والجمعيات الخيرية، والتي بدأت تكثُر في ذلك الوقت فقد رأى الوفد أنه لا يمكن تحويلها وضمها إلى المدارس الابتدائية المدنية، لأن أصحابها لا يقنعون بذلك. ولذلك رأى الوفد أن توجه تلك المدارس بحيث تصبح كمرحلة ابتدائية لتلاميذ المدارس القرآنية، الذين يفضل آباؤهم للسير على هذه الطريقة فيلتحقون بها ومنها إلى مرحلة أعلى. وقد رأى الوفد أمثال تلك المدارس في البلاد التي زارها. وكان اقتراح الوفد في شأنها على الوجه الآتي (١١) :

١ - أن تقوم الحكومة بتقديم معاونة مادية وفنية لهذه المدارس الموجودة حالياً والتي يمكن إنشاؤها في المستقبل، وتساعد على تنظيمها كمدرسة ابتدائية إسلامية، تكون فترة الدراسة فيها سبع سنوات، وتعترف بها كالمسلم الثاني في مرحلة التعليم في نيجيريا. ومنها يلتحق الطالب إلى المرحلة الثانوية.

٢ - تشكيل لجنة في أسرع وقت ممكن لوضع مناهج لها. وأن تعنى تلك اللجنة بإدخال بعض المواد المدنية كالحساب والكتابة والقراءة واللغة الإنجليزية وشيء من التربية المهنية.

٣ - أن يفتح عدد أكثر من المدارس الثانوية. إما من قبل الحكومة المركزية أو الحكومات الأهلية. فإذا ما أكمل الطلبة مرحلتهم الابتدائية التحق المتفوقون منهم بهذه المدارس، حيث يمكنهم أن ينالوا ما يؤهلهم للالتحاق بالجامعة.

تلك هي التوصيات والاقتراحات التي قدمها الوفد إلى الحكومة الشمالية. وبعد أن درستها تلك اللجنة الوزارية المشكلة في أوائل سنة ١٩٦٠ قبلت الحكومة ذلك التقرير برزته وأصدرت قراراً بتنفيذ تلك الاقتراحات.

وأما فيما يختص بمساعدة المدارس القرآنية فقد بدأت الحكومة تضع ذلك في حيز التنفيذ من سنة ١٩٦٤ م. ولقد خصصت مبلغاً قدره ١٥٠,٠٠٠ مائة وخمسون ألف

(١١) المرجع السابق. مقتبس من التقرير نفسه.

جنيه لمشروع تنظيم وتنمية المدارس القرآنية والإسلامية . وقررت الحكومة أن تقدم المساعدات المالية لتلك المدارس على الوجه الآتي (١٢) :

١ - منحة أساسية Capital Grant تدفع الحكومة الإقليمية مبلغاً قدره مائة وخمسون جنيهاً لكل حكومة أهلية عن كل مدرسة قرآنية معترف بها في منطقتها . وتقوم الحكومة الأهلية بدورها بتشجيع الأهالي لبناء فصول لائقة عن طريق المنشآت الشعبية التي تمّ بالجهود الذاتية ، ويستعمل المبلغ المدفوع لشراء بعض لوازم أو مواد البناء كالأسمنت وغيره .

٢ - منحة سنوية Recurrent : تدفع الحكومة مبلغاً قدره خمسة وعشرون جنيهاً سنوياً إلى كل حكومة أهلية عن كل مدرسة تعترف بها . ويصرف هذا المبلغ بدفع عشرة جنيهات للمدرس أو الفقيه كمكافأة شرفية للخدمات الثمينة التي يقدمها . والباقي يعطى للمدرسة لشراء الأدوات اللازمة للدرس كالطباشير وغيره .

وأما بالنسبة للمدارس الإسلامية فقد وافقت الحكومة على أن تمنح أصحابها مبلغاً قيمته أربعمائة وخمسون جنيهاً عن كل فصل بينونه ، وتعطى كذلك مساعدة سنوية وهي إما أن تكون جنيهين عن كل طالب مسجل في المدرسة أو ما يعادل جملة مرتبات المدرسين الأكفاء في المدرسة . تدفع الحكومة أيهما أقل . وقد تزايدت هذه المساعدة حسب مؤهلات المدرسين حتى تصبح المدرسة وهي تلتقى كل نفقاتها من الحكومة .

وفيما يخص زيادة المدارس الحكومية لتدريب مدرسي العربية والدين فقد أنشأت الحكومة معهداً لتدريب مدرسي العربية في سكتو سنة ١٩٦٣ على غرار مدرسة العلوم العربية في كنو . وكان به قسمان : قسم لتدريب المدرسين وآخر للدراسات الإسلامية

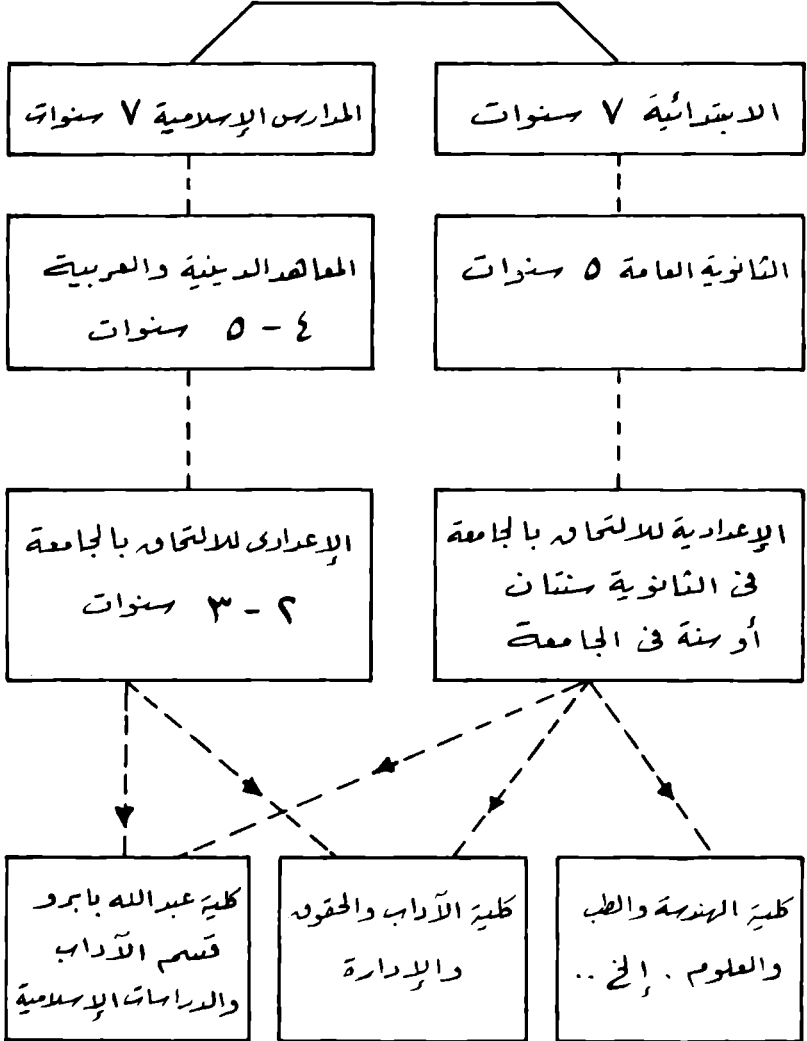
(١٢) مقتبس من تقرير وزارة المعارف تحت عنوان :

العالية . ثم أنشأت معهداً آخر في غمبي Gombe بعد سنتين وكان به قسم واحد لتدريب المدرسين .

وفي خلال تلك الفترة أقيمت الحكومات الأهلية فأنشأت معاهد في كنو Kano وكثنة Katsina وسكوتو Sokota وبرنوبو Bornu لتدريب مدرسي اللغة العربية والدين على النظام المتبع في مدارس الحكومة المركزية .

يتضح لنا الآن أن الحكومة بعد ما أصدرت قراراً باعترافها بالمدارس القرآنية والإسلامية وإدخال نظامها في إطار التعليم العام قد اعترفت بشئناية التعليم الذي أولده الاستعمار بعد دخوله . إلا أن الحكومة أرادت أن تسد الفجوة الموجودة بينهما بالتدريج بمحاولة التنسيق بين النظامين . فقد شرعت في تنظيم المدارس القرآنية والإسلامية وأدخلت المواد المدنية فيها . كما أنها أضافت مواد عربية ودينية في المدارس المدنية . وهذا التنسيق في المناهج يجعل من السهل لدى الطلبة التحويل من نظام الابتدائية الإسلامية إلى الثانوية المدنية أو العكس . كما أنه من الممكن أن يتدرج الطالب في أى القسمين إلى الجامعة ويظهر هذا فيما يلي :

المدارس القرآنية



إن مشكلة ثنائية التعلم مشكلة معقدة في نيجيريا ، وليس من السهل وجود حل لها إلا إذا توحدت لغة التدريس ولغة التخاطب في تلك البلاد . ولعل المشكلة أكثر تعقيداً في نيجيريا عنها في البلاد العربية الإسلامية الأخرى . والسبب الرئيسي يرجع إلى أن كلا من اللغة العربية والإنجليزية اللتين تستعملان لغتي تدريس في الطريقتين لغتان أجنبيتان لا تستغنى بإحدهما عن الأخرى . وليس الأمر كذلك في مصر مثلاً . إذ يمكن القضاء على ثنائية التعلم بإدخال الأقسام الجديدة والمواد الحديثة في المعاهد الدينية كما فعل الأزهر في السنوات الأخيرة ، وتوسيع المواد العربية والدينية في المدارس والكليات المدنية كما حدث في كلية دار العلوم .

وبالمقارنة بين هذه الفترة والتي قبلها يتضح لنا أن اللغة العربية في الفترة الأخيرة قد تطوّرت وخطت خطوات واسعة إلى الأمام ، لما كانت تتمتع به من المساعدات المادية من الحكومة ومن الممكن تلخيص ذلك التطور على الوجه الآتي :

(١) أما في المدارس المدنية فقد ارتفع مستوى اللغة العربية ووجدت المادة محلها اللائق بها كبقية المواد الأخرى . وسبب ذلك هو :

١ - وجود مدرسين من الوطنيين يحملون شهادات عالية في التدريس يدرّسون هذه المادة ومواد أخرى . لا فرق بينهم وبين إخوانهم المدرسين الذين يدرّسون المواد الأخرى في الكفاءة والرواتب وغير ذلك .

٢ - وجود عدد من المدرسين العرب في المدارس وخاصة من مصر والسودان .

٣ - رجوع طائفة من الطلبة من بعثات تعليمية للدراسات الجامعية في هذه المادة إما من البلاد العربية أو من أوروبا وانخراطهم في سلك التدريس .

٤ - وصول كتب حديثة لتعليم اللغة والأدب ، من البلاد العربية .

٥ - تطبيق الطرق الحديثة في تعلم اللغة العربية .

(ب) أما في المعاهد الدينية والعربية فقد ارتفع المستوى أيضاً للأسباب المذكورة في جانب المدارس المدنية وذلك للسببين الآتيين :

١ - تنظيم تلك المدارس على الطرق الحديثة ووضعها في إطار التعليم العام ، بحيث إن طلبة هذا القسم يمكنهم نيل الشهادات التي تؤهلهم للالتحاق بالجامعة إما في نيجيريا أو البلاد العربية^(١٣) .

٢ - وجود الفرص في الوظائف الحكومية لمن يتخرج من هذا القسم أيضاً . أضف إلى هذه الأسباب ما وصلت إليه نيجيريا في ذلك الزمن من الوعي العام نحو التعليم ، ووجود بعض الوسائل الحديثة التي تساعد على نشر اللغة ، مثل الإذاعة والجرائد والمجلات العربية التي تصل إليهم . وقد وجدت كذلك جمعيات أدبية مدرسية تقوم ببعض النشاط نحو الثقافة العربية . وبما أن اللغة العربية هي لغة التدريس في تلك المدارس فلا شك أن الطلبة كانوا يتدربون على سماع اللغة وفي التحدث بها . وعدد من يستطيع فهمها أو التحدث بها أكثر منه الآن مما كان في الفترة السالفة .

وزيادة على ما كانت الحكومة تفعله نحو نشر التعليم العربي والدين فقد استمر أصحاب الطرق التقليدية في نشاطهم . وكان العلماء التقليديون لا يزالون يفتحون أبوابهم لكل من يريد أن يدرس معهم . وطريقتهم في التدريس لم تتغير ولم تبدل ، فهي عبارة عن قراءة وترجمة الكتب الفقهية وكتب الحديث والنحو والتفسير والتصوف . ولا يزال الاعتناء بالأدب والتاريخ واللغة قليلاً جداً . وكان بعض أصحاب هذه الطريقة التقليدية يرون أن إدخال المواد الحديثة في المعاهد الحكومية

(١٣) وافقت الجامعات العربية في مصر والسودان وليبيا والحجاز على معادلة المرحلة الثانوية لهذه المعاهد بالمرحلة الثانوية هناك . ولذلك التحق بعض طلبة هذا القسم بالأزهر وجامعة القاهرة وجامعة ليبيا . وكانت تلك الموافقة سنة ١٩٦٢ ميلادية .

أوغير الحكومية التابعة للنظام الجديد قد أضعف من مستوى اللغة العربية والدين في تلك المدارس . فأصبح الأمر خلافاً بين أصحاب القديم وأصحاب الحديث ، وهو خلاف موجود في كل شيء وفي كل بلد ، ولعله يستمر إلى الأبد ، إذ أن كل جديد اليوم سيصبح قديماً غداً وهكذا .

البَابُ الثالِثُ

الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر

الفصل الأول : الشعر .

الفصل الثاني : النثر



الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر

ليس من السهل أن نفرّق بين العلماء والأدباء في هذه الفترة . فالعلماء هم الأدباء وهم قادة الفكر ، وهم الذين يقومون بأمر الدولة كما يقومون بتدريس الدين واللغة والأدب . وليس هناك فرق عندهم بين هذا الفن وذاك ، إذ أن الفنون كلها تهدف إلى غاية واحدة ، وهي الدين . فهدفهم الرئيسي في التعليم كله هو أن يتفقهوا في الدين ، لأنهم كانوا يريدون أن يحيا حياة دينية . فتعلم اللغة العربية ليس غاية في ذاته ، وإنما هو وسيلة لفهم الدين . ولقد عكف العلماء على تعلّم اللغة العربية ، وتعلموها لغة وأدباً وألقوا بها كتباً كثيرة في شتى الفنون (١) .

وكان من بين العلماء نفر مالوا بطبيعتهم إلى الأدب ، فدرسوا ما وصلهم من كتب الأدب دراسة وافية ، وجعلوا يتذوقونه ويستلذونه ويحاولون محاكاته ، ولكنهم في كل ذلك لم يكونوا يدرسون الأدب بوصفه مستقلاً بنفسه ، بل على أنه جزء من تلك الثقافة الدينية التي يهدفون إليها ، وذلك لأن لغتهم لم تكن العربية ، ولكن تمسكهم بالدين كان يدفعهم إلى تعلمها وإتقانها ، ثم جعلهم الشعور بالإتقان يلتمسون الانتماء إليها عن طريق التأليف الأدبي ، وهذا ظاهر من الأمثلة التي سندكرها من محاكاتهم لشعر القدماء .

وليس من الصعب تحديد ما وصل إلى أولئك العلماء من كتب الأدب في تلك

(١) ومؤلفات الشيخ عثمان وعبد الله بللو وغيرهم كثيرة جداً ، وقد أورد الدكتور مررى لاست في كتابه The Sokoto Caliphate قائمة ببعض تلك المؤلفات . فذكر ثمانية وثمانين مؤلفاً من مؤلفات الشيخ عثمان ، وسبعة وسبعين للشيخ عبد الله ، وثمانية وتسعين للشيخ بللو انظر كتابه ، ص ٣٣٧ وما بعدها .

الفترة ، فهي قليلة جداً لا تتجاوز القصائد الجاهلية ومقامات الحريري ، وقصيدة كعب بن زهير الشهيرة : « بانث سعاد » وبعض أشعار حسان بن ثابت ، والبردة للبوصري ، وسيرة ابن هشام . وقد وصل إليهم أيضاً كثير من المنظومات العلمية كألفية ابن مالك في النحو ، وألفية العراقي في مصطلح الحديث ، والعشرينيات لأبي زيد عبد الرحمن بن يثلمن بن أحمد الفازاني في مدح النبي وأمثال ذلك ^(٢) . وقد يلتقطون بعض الأبيات التي تتخلل الكتب العلمية كالشواهد . وأما الكتب الكثيرة التي وصلتهم فهي كتب التفسير والفقه والحديث والنحو والبلاغة والعروض والتوحيد والتاريخ .

كانوا يدرسون القليل الذي يصلهم من الأدب ويحفظونه حفظاً جيداً ، شعره ونثره . وكانت لمقامات الحريري منزلة عظيمة عند العلماء . كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ويعجبون بأسلوبها غاية الإعجاب . ويستحسنونها لما فيها من المحسنات اللفظية والمعنوية . فلا تجد عالماً إلا قرأ ذلك الكتاب وحفظه ، حتى أن بعض طلبة العلم اتخذوه كتاباً دينياً ، لأنهم كانوا يعتقدون أنه لا يمكن أن يخلو كتاب مكتوب بهذه اللغة المقدسة من تعاليم دينية ، فلذلك كانوا يستفيدون من المواعظ والحكم والأمثال التي في تلك المقامات ، فضلاً عن الذخيرة اللغوية والألفاظ والمعاني البلاغية التي فيها . وقد يحاول بعضهم أن يجد تفسيراً وحلاً دينياً يطمئن إليه لتلك الحيل التي فيها ، وما تتضمنه من وصف الخمر وذكر أوصاف النساء ^(٣) . فالعلم والأدب إذن شيان لا ينفصلان في تلك الفترة ، فالأدباء كلهم علماء .

(٢) ويتضح هذا بالنظر إلى أسماء الكتب التي درسها العلماء في ذلك الزمن .

انظر : إبداع النسخ ، ص ٣ وما بعدها .

(٣) ولا يزال الأمر كذلك عند بعض الناس في القرى .

ولقد أنتج العلماء والأدباء في تلك الفترة كثيراً ، فألفوا كتباً ورسائل عالجوا فيها كثيراً من المشكلات الدينية والاجتماعية والسياسية^(٤) . وأكثرها تأليف علمية . وكان لبعض العلماء ميول أدبية ساعدتهم على التأليف في مجال الشعر والنثر .

(٤) انظر كتاب مررى لاسـت المذكور ، ص ٣٣٧ ومابعدها حيث ذكر قائمة ببعض الكتب المؤلفة في تلك الفترة .

الفصل الأول

الشعر

يجب علينا قبل أن ننظر في التماذج الشعرية التي نظمت في تلك الفترة أن نلاحظ :
أولاً : أن اللغة العربية في نيجيريا لم تكن إلا لغة ثانية ، بمعنى أنها هي لغة الدين ولغة الثقافة الدينية للمسلمين ، يتعلمها المسلمون في ذلك الوقت للأغراض التي سبق ذكرها .

ثانياً : أن الشاعر النيجيري إما أن يكون شاعراً مطبوعاً فيقرض الشعر بلغته المحلية أولاً ثم يتتقف بثقافة عربية إسلامية وتجييش عواطفه ومشاعره بعد ذلك فيقرض شعراً باللغة العربية . فهذا شاعر مطبوع ، ولكنه عالم أولاً وأديب ثانياً ، لأن الأدب بالنسبة له وسيلة لا غاية . وإما أن يكون عالماً أغرته دراساته العلمية بمحاولة تقليد التماذج الشعرية التي يلتقى بها خلال قراءته لكي يكون ذلك دليلاً على براعته في العربية وتمكنه منها . فيجئء شعره متكلفاً . ويمكننا أن نقول من حيث المبدأ إن جانب العلم يظفي في مثل هذه التماذج على طبع الشعر . فهذا عالم أولاً وناظم ثانياً ، وأمثال هذا كثير .

ثالثاً : إن أكثر العلماء في نيجيريا لم يعرفوا في تلك الفترة عمر بن أبي ربيعة ولا الأخطل ولا جريراً ولا الفرزدق ، ولم يسمعوا عن أبي تمام والبحترى والمتنبي ، ولا عن أبي نواس وأبي العتاهية وأمثالهم ، ولكنهم قرءوا لامرئ القيس والنابعة وزهير وطرفة وأمثالهم من فطاحل الشعراء الجاهليين ، كما عرفوا شيئاً عن كعب بن زهير

وحسان بن ثابت ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن دواوين أولئك لم تصلهم ، ودواوين هؤلاء وصلتهم ، وعلى الرغم من أن بعض العلماء كانت لهم صلة بالشرق العربي ، وخاصة بمصر والحجاز كما رأينا سابقاً ، فإن شعر هؤلاء لم يكن معروفاً لديهم ، ولعل السبب في ذلك هو عناية علماء نيجيريا بالكتب الدينية لا غيرها في ذلك العصر ، وربما يكون أيضاً لمنهج الدراسة في الأزهر الشريف في تلك الفترة أثر بالغ على طريقة التعلم في العالم الإسلامي بأجمعه . ولعل الذين جاؤوا الأزهر من علماء نيجيريا ودرسوا فيه رأوا تغليب جانب العلوم الدينية واللغوية في دراساتهم على الجانب الأدبي وإيثار مقامات الحريري والقصائد الجاهلية من بين النماذج الأدبية .

وأما موضوعات الشعر في ذلك العصر فلم تتجاوز الموضوعات التقليدية المعروفة التي هي : المدح ، والرثاء ، والهجاء ، وشعر الجهاد (أو شعر الحرب) ، والوعظ ، والإرشاد ، والحكم والأمثال ، والتوسل .

نماذج من الشعر

أولاً- المدح :

لم يكن العلماء الذين نظموا في هذا الميدان يمدحون للتكسب ، لأن ذلك لم يكن يليق بمزلتهم العلمية ولا بمكانتهم المرموقة ، ولعل هذا هو السر الذي جعل فن المدح قليلاً في تلك الفترة ، في العقود الأولى من ذلك القرن ، فالمدح الذي نشأ هو إما المديح الدينية الذي يشيد بالإسلام والرسول أو ما يشبهه ، كمدح العلماء والشيوخ والتبرك بهم . ويصف المادح ممدوحه في الغالب بصفات كان الناس يستحسنونها إذ ذاك ، مثل الكرم والشجاعة ، كما يصفه بالعلم وخدمته ، بالتدريس والتأليف وبالتقوى والتمسك بالدين وغير ذلك من الفضائل .

ويميل أسلوب المدح إلى الأسلوب التقليدي في شكله وموضوعه . ويحاول الشاعر أو الناظم في قصيدته أن يحاكي المنهج التقليدي لقصيدة جاهلية معروفة لديه ، فيقف على الأطلال قبل الوصول إلى ممدوحه ، وقد يصف سيره الطويل والصعوبات التي كابدها في الطريق - على مذهب الشعراء الجاهليين - وقد ينتقل إلى الزهد بعد الوقوف على الأطلال ثم يتخلص منه إلى المدح ، كما يتضح في هذه القصيدة لمحمد البخارى^(١) .

ابن الشيخ عثمان يمدح بها عمه الشيخ عبد الله بن فودي . يقول في مطلعها^(٢) :

أصحت أم هاجت هواك منازلُ عفى معارفها البلى وهواطلُ
«بتلا نامي» أو «بجن» فما بها إلا نعام ترتعى وفراعل^(٣)
دار عهدتُ بها الحلولَ وكلُّ من أهوى معي ، والعيش غض باجل
ولقد وقفت برسمها مستخبراً عن أهلها والدمع منى سائل
لله درك هل وقوفك نافع برسومها أم هل لدمعك طائل

يقف الشاعر بهاتين القريبتين «تلاثامي» و «جن» ويبكى على أطلالها التي لا يرى فيها إلا نعاماً وفراعل . وهو قد عهد التزول بها قبل ذلك حينما كان يعيش غضاً باجلاً فيها . وبعد أن وقف برهة أدرك أن وقوفه بها غير نافع ، وأن بقاءه لاطائل له فقال :

فدع الديار وذكر أخذان الهوى وخرائد في مشيها تتمايل
وبدل أن يتغزل الشاعر بعد ذلك بمحبوبته كما هي عادة الجاهليين ، إذا به يتزهد وينبه نفسه أن الوقوف والبكاء لايفيدانه ولكن الذي يجب أن يفعل هو أن يسلك

(١) هو محمد البخارى بن الشيخ عثمان ، وهو عالم فصيح ، وكان من الذين جاهدوا في بلاد نوى وأبلوا بلاء حسناً . وله قصائد كثيرة ، وتوفى في سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٤٩ م وهو ابن خمس وخمسين سنة .

(٢) الوزير الجنيدي ، عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ، ص ١٧ وما بعدها ، مخطوط عنده ، وعندى نسخة مصورة منه .

(٣) ثلاثامي وجن قريتان في ولاية سكو . والفرعل ولد الضبع والجمع فراعل وفراعله ، والقصيدة من بحر الكامل .

طريق أولى الهداية ويزهد عن الدنيا وأن يجتهد في تحصيل العلم ويصحب أولى العزم ويتجنب غيرهم . يقول في ذلك :

واسلك طريق أولى الهداية واغتم
وازهّد عن الدنيا فإن نعيمها
وايغ السيادة بالعلوم فما استوى
صرف بقايا العمر في تحصيلها
واركب جواد الجِدِّ فيه فما استوى
وتنح عن أهل الدعاة وكل من
واصحب أولى العزم الهداة فإنهم

فرصاً تمر وأنت منها غافل
أضغاث أحلام وظل زائل
في المجد ذو علم ومن هو جاهل
فالعلم أفضل ما حواه الآمل
نيل المجد ونيل من يتكاسل
شغلته عنه تجارة ومحافل^(٤)
للمقتدين كواكب لا تأفل^(٥)

ثم ينتقل إلى ممدوحه بعد ذلك ويصفه بعظم فهمه وعلمه وتقواه وتواضعه ، فهو علامة القرآن وحاوي السبق في علوم الحديث ومتبحر في البلاغة وبحر محيط في النحو إلى غير ذلك . يقول :

ولقد حباك الدهر شيخاً ماله
أعنى إمام العصر عبد الله من
شيخ العلوم خديمتها تباعها
علم الهدى سعد الزمان عماده
ذو شدة في دينه متواضع

في العلم في تلك الأراضي مائل^(٦)
ساد الشيوخ النبيل مذ هو شابل^(٧)
جدد التقى الحبر النبيل الكامل
حان ، رفيق بالأنام حلال^(٨)
ذو هيبة بر أمين عامل

(٤) استعمل كلمة « الدعاة » ويقصد بها « الادعاء » كما هو ظاهر من سياق النص .

(٥) تأفل ، خفف الهزرة هنا ليستقيم الوزن .

(٦) مائل أى مثل غيره كما يفهم من سياق النص ، ولكن اضطرت القافية إلى استخدام هذه الصيغة

« مائل » .

(٧) شبل الغلام بمعنى نشأ وشب في نعمة .

(٨) الحلال هو السيد في عشيرته والشجاع الركبن في مجلسه . والجمع حلالح .

علامة القرآن حاوى السبق فى علم الحديث وفى البلاغة كافل
بجر محيطة يستخف الفلك فى نحو وفى الأصلين غيث وابل
واستمر على هذا النمط بمدح شيخه بكل ما يستطيعه من الأوصاف الحميدة
والفضائل المحمودة .

ونلاحظ فى هذه القصيدة الاتجاه الدينى فالممدوح مثلاً « ذو شدة فى دينه ،
متواضع .. وعلامة القرآن » الخ . وإذا نظرنا إلى القصيدة بأكملها يتضح لنا أن الأبيات
فى الجزء الأول من القصيدة أجود منها فى النصف الأخير . فالشاعر فى الجزء الأول يبدو
أنه أطلق زمام شاعريته فأتى بأبيات سهلة فى ألفاظها ومعانيها ، ولكنه فى آخرها متكلف
ومقيد بصفات يريد أن يصف بها ممدوحه . وليس فى القصيدة كلمات غريبة إلا قليل
منها أقحمها الشاعر لأجل القافية ، وكذلك بعض الكلمات التى غير الشاعر بنيتها
المعهودة لتلائم الوزن والقافية مثل « مائل » التى يعنى بها « مثل » .
ولنتظر إلى قصيدة أخرى لمحمد بللو بمدح بها السيد المختار الكنتى (٩) . لقد افتتح
القصيدة بأبيات يطلب فيها التزول بساحة الأحباب والسادات يقول (١٠) :

ألميمٌ بساحة أحبابي وساداتي واشفب الجنان بهم من كل إعنات (١١)
واربع عليها وشيم من مزن عارضها برق الوصال وإدراك المسرات
وانف الهموم وأشجاناً تكابدها فقد تخلصت من وعث المعرات

(٩) هو السيد المختار بن أحمد بن أبى بكر الكنتى ، وهو من كبار مشايخ الطريقة القادرية ، وقد قام بدور هام
فى نشر الطريقة القادرية فى غربى إفريقيا خاصة فى أواسط نيجيريا . وقد جمع شمل قبيلة كنت تحت قيادته وأوجد
مجموعة قوية منهم . وتوفى سنة ١٨١١ ، انظر : *History of West Africa, vol. I. p. 465.*

(١٠) انظر : الوزير الجنيد ، إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين ، ص ٢٤ وما بعدها . وهو مخطوط
عنده ، وعندى نسخة مصورة منه ، والقصيدة من بحر البسيط .

(١١) العنت هنا معناه المشقة .

وباكر الكرخ من صهباء صافية بكف لا تزق الأخلاق لوات (١٢)
واحطط رحالك في أمن وفي دعة فأنت آمن سرب وافر الذات (١٣)
فلا عليك فقد جاورت ذا كرم يحمي المجاور عن عات ومخنتات (١٤)

طلب الشاعر هنا التزول بمنازل أحبابه وسادته ويقصد بالأحباب هنا شيخه الكنتى . وهذه الطريقة في افتتاح القصيدة مأخوذة من المذهب الجاهلى ، وهى الوقوف بالمنازل والأطلال . ويذكر الشاعر أيضا - على طريقة الجاهليين - المباكرة بكرع من « صهباء صافية » . وبعد ذلك ينتقل إلى ذكر ممدوحه فيصفه بالكرم وحماية المجاور له ، وفى خلال ذلك يتخلص إلى مدح العرب كلهم ، لأن ممدوحه منهم كما يقول :

وجاورتك الكرامُ العربُ من عرب شَمَّ الأنوفَ جميعَ غيرِ أشنات (١٥)
توارثوا المجدَ عن فهر وأعقبهمُ بالفخر عقبهُ فاستوفوا (١٦) الكرامات
كم أسبلوا ذيلَ عزٍّ من أقادمهم واستحدثوا كلَّ مجدٍ غيرِ فئات (١٧)

ثم ينتقل من مدح العرب إلى مدح الرسول عليه السلام فهو أوسع القوم علماً ومعرفة لله . وأكثرهم إيماناً وأدراهم بالسياسة ، ويستمر في أبيات كثيرة لهذا الغرض ، يقول فى بعضها :

(١٢) كرخ فى الماء بمعنى تناوله فيه من غير أن يشرب بكفيه ولا يبانء ، والصهباء الحمر ، وتزق الأخلاق أى السفية والأحمق ، ولوات من لات لوتا أى أخبر بغير ما يسأل عنه .

(١٣) آمن سرب بمعنى آمن النفس والقلب .

(١٤) ومخنتات بمعنى خسيس وردى .

(١٥) شَمَّ الأنوفَ أى رافعين رؤوسهم متكبرين .

(١٦) لا بد من نطقها استوفوا بضم الفاء ليستقم الوزن وصوابه استوفوا بالفتح .

(١٧) غير فئات أى مكسر أو مدقوق بمعنى لا يمكن إذهابه .

ومن هو العَلَمُ المشهور سورته ومن هو المورد المعسول للآت
ومن تَبَلَّجَ من أضواء طلعتَه نورُ الهداية عن سبُل الضلالات (١٨)
ومن تَأرَّجَ من أكناف دارته شدَّ الحقيقة من تلك الحقيقات (١٩)

وبعد مدح الرسول في أكثر من عشرة أبيات أنتقل إلى ممدوحه الكنى وقال :
ذاك الإمام الذي في رحب ساحتَه حططتُ رَحْلِي وأمست فيه حاجاني
أعنى به السَيِّدَ المختارَ مَنْ يده تهيم عوارف دارات فدارات (٢٠)
ويستباح به في كل مَأْرِبَةٍ أقصى المراد وأضعاف الثوبات
به تدرَّعت عن همِّي وعن كربِ تغشني قَوَادِي ومن سواس خنات (٢١)

هكذا استمر في أبيات يستغيث فيها بشيخه ويستشفع به إلى آخر القصيدة . والفرق بين هذه القصيدة والتي قبلها هو أن الشاعر هنا وهو بمدح شيخ طريقته الصوفية لم يصف ممدوحه بأوصاف استعملت في القصيدة الأولى كالكرم والعلم الخ ، ولكنه اكنى بالكلمات المستعملة لدى الصوفية كالغوث والمستغاث وأمثالها . ولا يخفى أن الشاعر قد تأثر بأسلوب وطريقة الجاهليين ، وحاول محاكاتهم في أنه استهل القصيدة بما يشبه الوقوف على الأطلال وبمبادرة الشرب ، ولكن القصيدة كما لا يخفى تختلف في موضوعها عن القصيدة الجاهلية ، وأما ألفاظها فجزلة .

(١٨) تَبَلَّجَ : ظهر وأسفر . وسبَّلَ : يسكون الباء لضرورة الشعر .

(١٩) تَأرَّجَ : اشتعل وانتشر .

(٢٠) خفف المشدد هنا الذي هو « دَارَات » ليستقيم الوزن .

(٢١) خنات يقصد خناس : قلب السين تاء لضرورة الشعر . ويوجد في الشعر العربي شواهد على هذا . قال

الشاعر :

ألا لحا الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع لثام النات

ليسوا أعفاء ولا أكيات

انظر : ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة لأبي عبد الله محمد بن جعفر الهميمي القزاز القيرواني ، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ، والدكتور محمد مصطفي هدارة ، المعارف بالإسكندرية ، ص ١٦٤ .

وخبر قصيدة تصور لنا المنهج الجاهلي التقليدي هي قصيدة^(٢٢) الشيخ عبد الله الجيمية المشهورة التي مدح بها شيخه جبريل وأخاه الشيخ عثمان والتي يقول في مطلعها^(٢٣) :

عج نحو أضواج الأحبة من مج واشرب من الأنشاج ماء الزعيج
فهي قصيدة طويلة ولا تختلف كثيرا لا في منهاجها ولا في أسلوبها عن بعض القصائد الجاهلية التي كان الشاعر قد تأثر بها . لقد أراد فيها أن يحاكي القدماء وينسج على منوالهم فكانت النتيجة أن أصبحت القصيدة أصعب من كثير من القصائد الجاهلية . على أن محاكاة الشاعر لم تكن عمياء ، فقد استطاع أن يصبغ القصيدة بصبغة محلية ، كما استطاع أن يعبر عن بعض أحاسيسه . فهو إذا استهل القصيدة بذكر الأطلال التي يأمر رفاقه بالعوج إليها فإن تلك الأطلال ليست كالتى تسكنها هند أو غيرها ، ولكنها أطلال كان يقيم بها أحبته في الله .

وبعد الوقوف على الأطلال ذكر الشاعر أنه يشاق إلى المدارس التي كانت موجودة في الماضي لأنه فيها تقضى حوائج طلبة العلم وفيها علماء متبحرون في العلم وكل منهم « كبحر في العطا متموج » ثم يأتي الشاعر بتشبيه غريب فيشبه أولئك العلماء في قوة تأثيرهم على جيرانهم « بكان » ، فهم إذا دخلوا قرية أثروا فيها تأثيراً واضحاً ، كما أن « كان » إذا دخلت على المبتدأ والخبر رفعت الأول اسماً لها ونصبت الثاني خبراً لها . وغيرهم يعملون عمل « لم » أو « في » يقول^(٢٤) :

(٢٢) هذه من قصائد الشيخ عبد الله التي في تزيين الورقات ، وهو الكتاب الذى ترجمه المتر هسكت إلى اللغة الإنجليزية وعلق عليه . وقد أورد الدكتور على أبو بكر أيضا هذه القصيدة في رسالته وشرح بعض كلماتها . انظر رسالته ص ٣١٤ - ٣٢٦ .

(٢٣) انظر : تزيين الورقات ، ترجمة هسكت ، ص ٣٢ وما بعدها . والقصيدة من بحر الكامل .

(٢٤) يأتي الشعراء في بعض الأحيان بهذه المصطلحات النحوية في شعرهم . انظر مثلا تطور الأدب الحديث للدكتور أحمد هيكمل ص ٥٠ حيث أورد أبياتاً للساعاتى التي يداعب فيها بعض الشيوخ النحاة . فهي أبيات لا تخلو =

ولهـم ككان ومبتدا في جارهم عمل لغيرهم كـ «لم» أو «في» يج
 وبعد ذلك يتقل الشاعر على طريقة القدامى ليصل إلى ممدوحه فهو :
 شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت للشرق تشرق في قریش وخزرج (٢٥)
 متفنن متبحر في علمه متعطف متلطف للمعجع (٢٦)
 شجع طليق الوجه هين لين للمسلمين ومزدر للمعجع (٢٧)

وهكذا يصف الشاعر ممدوحه بصفات يستحسنها ، فهو شمس الضحى ، وهو
 كذلك عالم متفنن ، طيب الأخلاق ، طليق الوجه ، هين لين للمسلمين ، وشديد على
 المتكبرين ، وتأتى بعد ذلك أبيات يصف الشاعر فيها ممدوحه بأنه أشجار مشمرة إذا نزل
 عليها الطائر لا يغادرها ، لأنه يجد بها دائماً ما يأكله ، ويقول إن هذا الممدوح جدير أن
 يلتف حوله العلماء لأنه فريد دهره ، أتى والدين في وهد فأزاح تلك العادات
 القبيحة ، وكسا الدين حلة ، ولم يخش في ذلك مستهزئاً أو لائماً .

ثم انتقل الشاعر إلى مدح الشيخ عثمان وأطال المدح ، فهو أيضاً قد دعا إلى دين الله
 ولم يخش في ذلك لومة لائم ، وقد التف حوله خلق كثير ، وعلا صيته في الآفاق ،
 فأحيا السنة وأحمد البدعة ، يقول منها :

= من صورة ضاحكة يقول فيها :

إذا ارتفعت بالنحو أعلام علمنا جعلنا جواب الشرط حذف العام
 ليعلم من بالنصب يرفع نفسه بأن حروف الحذف غير الجوازم
 (٢٥) منع الاسم «المصرف» الذي هو قریش من الصرف لضرورة الشعر . وأجاز ذلك بعض النقاد . وفي

الشعر العربي نماذج له . قال الشاعر :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمع
 جوز الكوفيون وبعض البصريين ترك صرف المصرف بشرط العلمية . انظر : ضرائر الشعر ، ص ١١٢ .
 (٢٦) المعجع هو الأحق الذي لا يضبط الكلام .

(٢٧) المعجع : التكبير .

عَمَانٌ مَنْ قَدْ جَاءَنَا فِي ظُلْمَةٍ فَأَزَاحَ عَنَّا كُلَّ أَسْوَدٍ دَجْدَجٍ (٢٨)
 ثم شبه هذا الممدوح الثاني في حركته الإصلاحية بموسى ، وشبه ملوك الهوسا الذين
 حاولوا أن يمنعوه من نشر الإسلام بفرعون . كما شبه ممدوحه أيضاً بعلي بن أبي طالب في
 غزارة علمه بالشریعة وفي الامتثال بالمعروف والنهي عن المنكر :
 ولكل فرعون طغى موسى سَطَاً وَقَضِيَّةٍ عَاصَتْ عَلَى تَنْفِجٍ (٢٩)
 ثم ذكر الشاعر في أبيات كثيرة كيف تغير الوضع بعد هذه الدعوة التي قام بها
 ممدوحه الثاني . لقد ابيض وجه الدين وأسود وجه الكفر .

وفي خلال هذه الأبيات ينسج الشاعر تشبيهات رائعة . فالدين قد ظهر مثل البدر
 الطالع بليل صحو لا غيم فيه . يقول :
 حَتَّى تَبْرَجَ مِثْلَ بَدْرِ طَالِعِ بَلِيلِ صَحْوٍ أَوْ صَبَاحِ مُبْلِجِ (٣٠)
 أو روضة ضحكت بها أزهارها تَرَهَى بِهَا عَذَابُ غُصْنِ عُلْجِ (٣١)
 أو عُنُقَرٍ أَوْ جَنَّةٍ أَوْ أَنْجُمٍ بِجَمِيلَةٍ أَوْ رِبْوَةٍ أَوْ حُنْدَجِ (٣٢)
 ولقد أجاد الشاعر في هذه الأبيات وأعطى صورة شعرية جميلة . ثم ختم القصيدة
 بالحمد والصلاة على النبي .

لا يختلف اثنان أن الشاعر استعمل كلمات غريبة حيث إنه لا يمكن فهم كثير من
 كلمات القصيدة إلا بالرجوع إلى القاموس ، ولا غرو ، فإن طلبة العلم في وقته كانوا
 يدرسون أمثال هذه القصائد كما يدرسون القصائد الجاهلية ، وتفسر لهم كل الكلمات
 الغريبة بلغتهم المحلية ، فيجمعونها ويزيدون بها ذخيرتهم اللغوية ويتسلحون بها لقراءة

(٢٨) دجج : الليل إذا أظلم ، ودجج : أسود حالك .

(٢٩) تنفج : بمعنى تظهر .

(٣٠) مبلج : مضى ، وحذف التنوين هنا في (بليل) لضرورة الشعر .

(٣١) علج : مالان واخضر من القضبان .

(٣٢) حندج : رملة طيبة تثبت ألواناً .

كتبهم الدينية . ويتضح في هذه القصيدة ماسبق أن قلناه من تأثير روح الدين الإسلامى وعلوم اللغة والشعر على شعراء هذه الفترة . فن الزاوية الأولى نلاحظ أن المدوح زعم دينى ، والمداح أحد علماء الدين . والصور المذكورة كذلك كلها تتجه اتجاهاً دينياً . ونلاحظ ذلك مثلاً في أن المدوح يمدح بنشر الدين الإسلامى ، وإحياء السنن المحمدية . وإخجاد البدع الشيطانية ، وأمثال ذلك .

ومن الناحية الثانية نلاحظ أن الشاعر حدد الهدف من قصيدته بأنها تعين على معرفة دقائق اللغة وتساعد الطلاب في فهم مراجعهم الدينية . يقول الناظم إن هذه القصيدة « قد حوت من علوم العربية وعلوم البلاغة ما لو تأمله اللبيب المنصف لعدّها من كرامات الشيخين المدوحين بها ، فإنى والله ليس لى قوة فيها ولا حول ، وإنما هى نفحة من نفحاتها وبركة من بركاتها » (٣٣) . ومع أن القارئ لا يرى في هذه القصيدة كثيراً من أفكار عميقة أو صور شعرية جديدة ، فإنها بدون شك تدل على غزارة معرفة الناظم باللغة العربية وتمكنه فيها .

ومن المدح المديح النبوى . ويمتاز بذكر شمائل الرسول ﷺ وأوصافه المثالية . ويختار الشاعر دائماً الصورة المثالية فيصفه بها . فهو أحسن الناس وأشجعهم وأكرمهم ، وهو فوق هذا كله أحب الناس إلى الله . فهو شمس أشرقت فاهتدت بنورها الأفاضل ، وهو نور الهدى وغيث الورى تم نعمته جميع الأمم . ويتحدث الشاعر كذلك عن معجزاته التى أكرمه الله بها ويرجوه النجاة من الهول يوم القيامة . وهذه القصيدة النبوية تنشد كثيراً فى الحفلات الدينية تقريباً إلى الله . ومن نماذج ذلك ، هذه الأبيات من مقطوعة لمحمد بللو (٣٤) :

(٣٣) تزيين الورقات ، ص ٣٧ .

(٣٤) إفادة الطالبين ، ص ٨٨ .

شمس الضحى نزلت بطيبةً فاهتدى
نور الهدى بدر الدجى شمس الضحى
منه الأفاضل ، والأباطل أهلكا
غيث الورى فى كل أرض تبركا (٣٥)

قد فرّ بطلب ربه فى غاره
فأفاده بالعلم ثم أقره
فأناه جبرائيل ثم تنكنا (٣٦)
بالدين لم يك قبل ذلك ألفكا (٣٧)

يامن ثوى فى بطن طيبة كن لنا
بك نرتجى بنجاتنا بين اللقا
أنت الشفيع فلا نكوّن الحبركا (٣٨)
يوم بصيرٌ كلّ تبر درمكا (٣٩)

استعمل الشاعر فى هذه القصيدة ألفاظاً غريبة ، وخاصة ألفاظ القافية ، ولعل السبب فى هذا أمران . الأول محاولة الشاعر إبراز ذخيرته اللغوية الغريبة وتضلعه فى اللغة العربية . والثانى محاولة جعل هذه الكلمات الغريبة فى متناول طلبة العلم . وذلك لأن طلبة العلم كانوا يقرءون تلك القصائد على ناظمها أو من فهمها من العلماء ، ويدرسون بذلك ألفاظها وغرائبها وسيلة لاغاية ، وبذلك يستكثرون من ذخيرتهم اللغوية كما ذكرنا سابقاً . ومن المحتمل أن يكون الهدف الثانى السبب الرئيسى فى استعمال هذه الألفاظ الغريبة ، ويضطر الشاعر فى هذه الحالة أن يضع كلمة فى غير مكانها الملائم (٤٠) .

(٣٥) تبركا بالمكان بمعنى أقام .

(٣٦) تنكنا أى أصلح العمل وأحسنه .

(٣٧) الألفك : الأعر والأحمق .

(٣٨) الحبركى : القوم الهلكى .

(٣٩) الدرّمك : التراب الناعم . والقصيدة من بحر الكامل .

(٤٠) وذلك مثل كلمة الفكا فى القصيدة .

ثانياً - الرثاء :

كان الشعراء يسيرون على نفس الدرب التقليدى فى رثائهم كما كانوا يسيرون فى مدحهم . يذكرون الموت وغدره ويذمون الدنيا وغرورها ، فهى دار فناء ، ولا يصفو فيها العيش ، ولا يرتاح فيها البال . ويشيرون كذلك إلى محاسن الميت ، يصفونه بالعلم والتقوى ، وبالكرم والشجاعة ، ومساعدة الضعفاء وغير ذلك من الأوصاف التى يستحسنونها ، والظاهر أن فن الرثاء فى نيجيريا فى تلك الفترة كان أكثر من المدح . فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء أسنهم ، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الميت . وقد تشابه الأبيات فى المقطوعات فى بعض الأحيان عندما يتفق اثنان أو أكثر فى رثاء ميت ، فيقتبس هذا من ذاك ، فتأتى الأبيات على منوال واحد . ويتضح فى هذين البيتين لعبد الله من مقطوعة له يرثى بها محمد سمبو^(٤١) :

فيا للمسلمين لبيك خالى محمد سمبو ذو علم وخال^(٤٢)
فقد حُمدت شمائله قديماً بعلم والتقى قبل ارتحال

ونرى نفس الألفاظ والتركيب فى أبيات أخرى لعبد القادر المصطفى يرثى الميت نفسه . يقول^(٤٣) :

فيا للمسلمين لبيك خالى محمد سمبو ذو علم وخال
فقد حُمدت شمائله قديماً بصدق الزهد فى جاهٍ ومال
وحسن توكل وعكوف قلب على باب المهيمن ذى الجلال

(٤١) تزيين الورقات ، ص ٣٩ .

(٤٢) البيتين من بحر الوافر .

(٤٣) عرف الرمان ، ص ٩ .

فما الدنيا لديه بذات قدر ولم تخطر له أبداً ببال
وقد مالت إليه قصداً عنها صدود الحر عن رذل^(٤٤) الفعال
وربما لا يستطيع الشاعر في بعض الأحيان أن يأتي بتصوير دقيق يميز به شخصية من
يرثيه ، فتكون مقطوعته صالحة لثناء أى ميت ، وذلك لأنك تجد فيها ذم الدنيا
ونعيمها ، ووصف الميت بالخصال الحميدة المعروفة .

وعندما يرثى محمد بللو شيخه السيد المختار الكنتى ويندبه يذكر بعض الأوصاف
الصوفية ، فهو سيده وإمامه وعريفه في الطريقة . يقول^(٤٥) :

سيدى وابن سيدى وإمامى وعريقى وعمدتى وطبىبى
من تجلّى بكشفه كل معنى وتبدي وبان كل مريب
كان شمساً أضاء من نورها ال آفاق دهرأ فحاق^(٤٦) وقت غروب
أو ربيعاً بضوئه ونداه أخصب المجدبون جم السكوب
ومنها أيضاً :

وارث الهدى والمعالم والعد الى على كل مفلق ومصيب
ومحط السباق والمجد والروتق والملتجا به فى الخطوب
ذى المنار الرفيع سيدنا المختار أمين بسيد ونقيب
ساس بالحلم والوقار كثيراً واكتسى منه كل برد قشيب
والظاهر أن الشاعر في هذه الأبيات يصف الميت ببعض الأوصاف المستعملة عند
الصوفية بالإضافة إلى ذكر المحاسن التى يستحسنها الناس فى تلك الفترة .

(٤٤) رذل الفعال : خسية وأقبحه . والأبيات من بحر الوافر .

(٤٥) انظر إفادة الطالبين ، ص ٢٦ وما بعدها ، والأبيات من بحر الخفيف .

(٤٦) حاق به الشيء بمعنى أصابه وأحاط به .

ونموذج آخر للترثية هذه الأبيات لمحمد بللو أيضاً يرثي بها أخته وإخوانه الذين سبقوه إلى دار القرار . يقول فيها (٤٧) :

أيا دهر لنا عات	تولى بالرزيات (٤٨)
فرفقاً بالقوارير	قلوب كالبليات (٤٩)
وهت أعشارها طراً	لوقع من ملات
ولادرت ليالينا	تبكىنا بعبرات
وقد ذهبت بآباء	وأحوال وأحوال
وأعمام وعمات	وأحوال وخالات
وذى قرى وذى رحم	وجيران وجيرات
فإن الموت أفناهم	فأضحوا بين أموات
فأمت دارهم وحشاً	بموتات خليات
ولولا خوف آثام	قزفناها وحبوات
ومطلع ما وراء المو	ت من هول العظيات
لأن على شوقاً فيهم	صعب المنيات

ويتضح في الرثاء الاتجاه الديني كما هو ظاهر في بعض الأبيات المذكورة . ويظهر ذلك خصوصاً إذا كان الميت أحد العلماء المشهورين . يقول عبد الله بن فودي وهو يرثي صاحبه مصطفى بن عثمان أحد العلماء الذين قاموا على ساق الجند في الحركة الإصلاحية وفي الدعوة الإسلامية في تلك الفترة (٥٠) :

(٤٧) انظر إفاة الطالبين ، ص ٢٩ وما بعدها . والأبيات من بحر مجزوه الوافر .

(٤٨) عات من عتا عتراً بمعنى استكبر وجاوز الحد ، والعاق الجيار ، والرزيات جمع رزية وهي المصيبة .

(٤٩) فرفقاً بالقوارير هذا اقتباس من الحديث الشريف . والقوارير جمع قارورة ومعناه هنا المرأة على التشبيه

بها في سهولة الكسر .

(٥٠) تزين الوراقات ، ص ٤٧ . والأبيات من بحر الكامل .

سبحان من قد خصه بالعلم والتقوى وخلق يرتضيه الجار
قد قام في إظهار دين محمد بين الورى والجرح منه جبار
حتى بدا في الحصن من أقواله وفعاله ترمى بها الأحجار
كم واجبات في الضياع أقامها في الحى تسخره بها الفجار

فترى هنا أنه يمدح الميت بإظهار دين الله وإقامة الواجبات وغير ذلك . فنهج الشعراء في الرثاء كمنهجهم في المدح .

ومن سمات الرثاء في تلك الفترة أن الشاعر في أكثر الأحيان يذرف الدموع ويظهر الحزن الشديد لفقد الميت ، ثم يلجأ إلى الله ويرضى بما قضاه فمثلا يقول عبد الله ابن فودى في نفس المريثة (٥١) :

إن الرزايا فقدنا أمثاله لكن رضينا ما قضى الجبار
وأيضاً :

نبكى عليه ترحماً مع أننا نرضى بما جاءت به الأقدار (٥٢)

ونرى أسماء بنت الشيخ عثمان تكرر نفس المعنى في أبيات لها ترثى عائشة بنت عمر الكم زوجة محمد بللو حيث تقول (٥٣) :

وإني لحكم الله راض وإنما أراعى بما قد قلت حقَّ الأحوه
ولا إثم حقاً للرثاء وقد رثى النبىُّ أبو سفيانَ بعد الواقعة

ولأسماء بنت الشيخ مريثة أخرى ترثى صديقها هذه تقول في أولها (٥٤) :

(٥١) تزيين الورقات ، ص ٤٧ .

(٥٢) اسكن عين (مع) ضرورة .

(٥٣) انظر عرف الرمان ، ص ٤٥ . والبيتان من بحر الطويل .

(٥٤) المصدر السابق ، ص ٤٣ وما بعدها .

إلى الله أشكو من صنوف البلابل
للفقد شيوخ قادة الدين سادة
وذكرني موت الحبيبة من مضى
من الصالحات القانتات لربهم
فزادت همومي وانفرادي ووحشتي
لفقدى لعائشة الكريمة بالها
من الذكر والصدقات ثم تلاوة
كفيلة أيتام غياث أرامل
توحشت من فقدى لها وهي صفوق

ثوت في سويداء لقلبي داخل
وإخواتنا أخذان خير ونائل
من الأخوات الصالحات العقائل
من الحافظات الغيب ذات النوافل
وسكب دموع فوق خدى هواطل
من امرأة حازت صنوف الفضائل
وذب لمظلوم وحمل الماقل (٥٥)
وعمدة حى بالحبا والتواصل (٥٦)
وموضع سرى من عصور أوائل

ثالثاً - شعر الجهاد :

كان الجو السياسى والدينى والاجتماعى مملوءاً بالاضطرابات الشديدة فى أوائل فترة
مملكة سكتو . وكانت الحروب الكثيرة تدور رحاها فى أنحاء المملكة والممالك المجاورة
لها . فكانت البيئة كلها شديدة الاضطراب قليلة الاستقرار . ولقد هيات هذه الحروب
ميداناً فسيحاً للشعراء والنظام . فجعلوا يقرضون شعراً فى هذا المجال ، ولذلك كثر فى
هذه الفترة الشعر الذى يمكن تسميته بشعر الحرب أو شعر الجهاد . وكانت الأهداف
الرئيسية لهذا النوع من الشعر تسجيل الانتصارات الكثيرة التى كانوا يفوزون بها ضد
أعدائهم ، وتحريض جماعتهم ، وإثارتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم
الدينية . والتنديد بأعدائهم ، وتخويفهم بالترهيب والإنذار .

(٥٥) أسكن الدال فى الصدقات ، ضرورة .

(٥٦) الحبا هى السحاب المتراكم القريب من الأرض ، والمقصود هنا العطاء الكثير ، والأبيات من بحر

الطويل .

نهج الشعراء النيجيريون منهج القدامى أيضاً في هذا الفن ، واستخدموا الأوصاف الشعرية التي استخدمها من قبلهم . فوصفوا جيشهم مثلاً بالكثرة ، فهم إذا زحفوا بجنودهم نحو الأعداء زحفوا في جند كالجراد المنتشر .

إذ زحفنا لهم وقت الضحى بجنود كجراد منتشر (٥٧)
وأبطالهم شجعان أقوياء ، فهم كالليوث ، وقائدهم أشد بطشاً منها ، فهو ليث ناثر :

يقودهم بللو في خيل وفي رجل بين الليوث كليث ناثر ضار (٥٨)
ولقد تحدث الشعراء أيضاً عن الضرب والظعن ، ولكنهم لم يتأنقوا في وصف ذلك . فلا نرى في وصفهم مثلاً وصفاً لذلك الظعن أو الضرب كما نراها في هذا البيت .
وطعن كفم الزق غدا والزق ملآن (٥٩)
ولكنهم اكتفوا بذكر الضرب فقط فقالوا :

وقد لقي الأعداء منا بالوسا سيهاماً تقد الرّس لم تك خنسا (٦٠)
وذكروا أنهم كانوا يضربون أعداءهم في المقاتل فقالوا (٦١) :

نصرا لنا برماحتنا وسهامنا وسيوفنا ببطونهم والراس (٦٢)
أولادهم ونساؤهم مسيبة ورجاهم مقتولة بالفاس (٦٣)

(٥٧) بيت لمحمد بللو ، إفادة الطالبين . والبيت من بحر الرمل .

(٥٨) تزيين الورقات ، ص ٨٢ من مقطوعة لعبد الله بن محمد فودي ، والبيت من بحر البسيط .

(٥٩) بيت للفند الزماني ، الحماسة ، مصر ج ١ ، ص ١١ ، يشبه الطعنة إذا سال منها الدم بغم الزق إذا سال منه الحمر .

(٦٠) تزيين الورقات ، ص ٦٨ ، من قصيدة لعبد الله بن محمد بن فودي . والوسا اسم مكان . والبيت من بحر الطويل .

(٦١) المرجع نفسه ، ص ٧٦ .

(٦٢ ، ٦٣) سهل الهزنة في الرأس وفأس . وهذا مما يجوز فعله للشعراء عند الضرورة . والبيتان من بحر الكامل .

يذكر لنا الشاعر في البيت الأول هنا الرماح والسيوف ولكنه يذكرها مجردة . لا يصف لنا نوعها . فنحن لانعرف شيئاً عنها . ولانستطيع أن نجد صورة واضحة لهذه الرماح كما نجدها في هذا البيت لعنترة حيث يقول (٦٤) :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان برّ في لبان الأدهم
ولاندري ما إذا كانت تلك السيوف هندية أو يمانية . ولانجد صورة لها كما نجدها في هذين البيتين لشاعر جاهلي :

والبيص قد ثلمت مضاربيها بها نفوس الكماة تختطف
كأنها في الأكف إذ لمعت وميض برق يبدو وينكشف (٦٥)

وعلى العموم فلم يكثر الشعراء في نيجيريا من ذكر الأسلحة والمعدات الحربية في شعرهم ، ولا في وصفها أو وصف الحالة عند استعمالها . كما لم يكثروا من وصف الخيل التي يكرّ ويفرّ عليها الأبطال . فن القليل الذي قالوا في وصفها :

على كل جرداء وأجرد شيطم تراه كصفراء الجراد إذا استوى (٦٦)
قد اعتاد غارات الصباح تخاله إذا ماجرى فوق الرّبا طار في هوا

فهذه الصورة الحسنة المذكورة في البيت الثاني التي تجعل الفرس في سرعته كالطائر تشبه هذه الصورة الرائعة في بيت سلمة بن الخرشب :

فلو أنها تجرّى على الأرض أدركت ولكنها تهفو بتمثال طائر (٦٧)
وقد وصف الشعراء أيضاً الفارين من أعدائهم فذكروا كيف أدبروا مسرعين وفروا

(٦٤) العقد اللين ، ص ٥٨ .

(٦٥) لدرهم بن يزيد الأوسى ، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ١٩٢٩ م ص ٢٨٠ .

(٦٦) من قصيدة لعبد الله بن محمد ، تزيين الورقات ، ص ٦٥ والبيتان من بحر الطويل .

(٦٧) سلمة شاعر جاهل ، أحد شعراء المفضليات : المفضليات : ص ٣٦ .

غير ملتفتين . يقول أحدهم : (٦٨)

فقرّ بلا التفات « ينف » بعدو أمام خيوله تعدو بداد (٦٩)
فأنفذه من الموت المتاح تعلقه على عرف الجواد

وكان الأعداء دائماً يوصفون بسرعة خارقة للعادة وذلك لشدة خوفهم وشدة

حبهم للنجاة . مثال ذلك :

ففروا عن جماعتهم وجازوا مسيرة خمسة في نصف يوم (٧٠)

ولقد أفاض الشعراء في تحريض جماعتهم ولفت نظرهم إلى أن قتلاهم
شهداء . وأن مصيرهم إلى جنات الخلد . لاحقين بها سيد الشهداء . فليكن الموت إذن
هو غاية مناهم . فإذا واجهوا أعداءهم فلا بد أن يقاتلوا بحماسة لكي يفوزوا بإحدى
الحسينين : نصر يكفل لهم شرف الدنيا ورفعة الدين ، أو شهادة تلحقهم بموكب
الشهداء والصالحين ، ولا كذلك أعداؤهم :

فمن قتلاهم في جهنم دائماً ومن في جنات الخلد ليسوا على استواء (٧١)

ويقول محمد بللو أيضاً في المعنى نفسه (٧٢) :

فمن قتلوه بلغوه مراده فطوبى له واللفظ والمسك أذفرا
فروح وريحان وجنة خلدته وورث حوراً من نساء حراثرا

(٦٨) وهو عبد الله بن محمد ، من قصيدة له ، ترتيب الورقات ، ص ٦٠ انظر : ص ٣٨ في الرسالة .

(٦٩) « ينف » ملك من ملوك ولاية غوير Gobir أحد ولايات الهوسا . وهو الذي خلف « ناقا » وكانت مدة

ملكه من ١٨٠٢ إلى ١٨٠٨ انظر ص ٥١ .

(٧٠) من قصيدة لعبد الله بن محمد ، ترتيب الورقات ، ص ٧٤ والبيت من بحر الوافر .

(٧١) بيت لعبد الله بن محمد ، ترتيب الورقات ، ص ٦٤ ومن الواضح أن صدر البيت لا يستقيم وزنه العروضي

إلا إذا حركنا التاء من « قتلاهم » بالفتح . والبيت من بحر الطويل .

(٧٢) انظر إفادة الطالبين ، ص ١٠ وما بعدها ، والأبيات من بحر الطويل .

ومن حلل الفردوس يكسى جميعها
فسبحان من جعل العدو ذريعة
حريراً وديباجاً وذهباً^(٧٣) مهصراً
إلى درك مأمول لنا قد تسراً

وهناك بعض الخصائص التي تتضح لنا في هذه المقطوعة التالية لعبد الله^(٧٤) :
حمداً وشكراً لرب الواحد الباري
على يديّ جموع من جماعتنا
إمامهم دعواتُ القادري لنا
نحزبون بلادَ الكفر إن نزلوا
يقودهم بللو في خيل وفي رجلٍ
حتى أناخ على ساحات دارهم
وأسرُّ طاغوتهم قد زاد زلتهم
يا أهل قار ألما يكفكم كشنا
كذا كنو مع زقزق وهي قريبتكم
تلكم بيوتهم بالظلم خاويةً
بقدره الواحد الجبار قاهرهم
استهل الشاعر هذه المقطوعة بالحمد والشكر لله على ما وجدوه من النصر والغلبة ضد

(٧٣) ويلاحظ هنا أن الشاعر لا يسلم له الوزن العروضي إلا بمخالفة لغوية . فكلمة ذهبا في « وذهبا مهصرا » لا بد أن تنطق ساكنة الهاء حتى تتوافق مع فعل . وكذلك الفعل « جعل » في البيت التالي لا يستقيم الوزن إلا بإسكان عينه . وهذا كله من ضرورة الشعر العربي مثل قول الشاعر :

وقالوا تراي قتلت : صدقم أي من تراب خلقه الله آدم .

(٧٤) تزيين الورقات ، ص ٨١ وما بعدها .

(٧٥) ولو قال (أيادي) بدل يدي لكان أحسن . شدد الياء من يدي لإقامة الوزن .

(٧٦) إشارة إلى قوله تعالى : (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها) سورة الحج ،

آية ٤٥ . والآيات من بحر البسيط .

أعدائهم بنى قار . وكثيراً ما نجد قصائد ومقطوعات على هذا المنهج . يقول عبد الله ابن فودي بعد واقعة « كت » (٧٧) :

بدأت بحمد الله والشكر يتبع على قمع كفار علينا تجمعوا (٧٨)
ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من بلادهم والله في الفضل أوسع
ويقول أيضاً بعد غزوة أرض « غرم » (٧٩) :

حمداً وشكراً طيبَ الأنفاس لله ذى الآلاء ربَّ الناس
يعطى ويمنع من يشاء بفضلِهِ وبعده لا يهتدى بقياس (٨٠)
فيعزُّ من والاه في آلائهِ ويذل من عاداه بالأرجاس (٨١)
ومن الدليل عليه فتح جاءنا في أرض « غرم » قري بنى كرباس
وقد بشير الشاعر إلى أن انتصارهم على أعدائهم كان عن طريق المعجزة . وذلك بسبب دعوات الشيخ عثمان . وهذا واضح في هذا البيت :

أمامهم دعوات القادري لنا إمامنا راجات جمع كفار (٨٢)
ولا يخفى أن الشاعر في هذه المقطوعة قد استخدم بعض الألفاظ والمعاني القرآنية وبعض المصطلحات الدينية مثل المهاجرين والأنصار . وهذه ظاهرة تتكرر في الفنون الشعرية الأخرى أيضاً .

(٧٧) كت : حوض يقع في مكان يسمى قردم وهي قرية صغيرة بسكوتور .

(٧٨) تزيين الورقات ، ص ٥٦ . والبيتان من بحر الطويل .

(٧٩) المصدر السابق ، ص ٧٦ . « وغرم » تقع وراء نهر نيجر ، وهي في بلاد بنى كرباس .

(٨٠) إشارة إلى قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) سورة آل عمران ، آية ٢٦ .

(٨١) الأرجاس جمع رجس وهو العذاب والقصيدة من بحر الكامل .

(٨٢) القادري الذي يتسبب إلى الطريقة القادرية الصوفية ، وهي إحدى الطرق الصوفية الرئيسية في نيجيريا .

وشيخها الرئيسي الذي أسسها هو الشيخ عبد القادر الجيلاني .

وقد يرتجز الشاعر في ميدان الحرب وهو يحمل على أعدائه بأرجوزة قصيرة مثل (٨٣) :

أنا ابن عثمان مقوى ساعده أذفع الكفار عن مقاصده
والبرّ يحمي عن حريم والده والعاق مغبون ولو في تالده
وربما لا تخلو مقطوعة في بعض الأحيان من فحش يهجو بها الشاعر عدوه ، ولكن
ذلك قليل جداً . ومن أمثلة ذلك هذان البيتان لمحمد بللو من مقطوعة له (٨٤) :
ألا أبلغ توارق أهل أزين علانية فقد ذهب السرار (٨٥)
بأنا قد نزعنا خصيتيكم فليس لكم إلى زحف نفار
ولم يكن شعر الحرب مقصوراً على الرجال وحدهم ، فقد أخذت النساء أيضاً
نصيبهن فيه . تقول مريم بنت الشيخ هذه المقطوعة وهي تشكر الله على نصره إياهم ضد
أعدائهم (٨٦) :

نحمد الله ربنا قامع الكفر والظلم
هازم الكفر ماحياً ظلمة الجهل إذ دجم
فرّ باو الذي طغى وتولى مع الخدم
إذ لقي أسد شيخنا ضاربات على البهم (٨٧)

(٨٣) القائل هو محمد بللو ، إفادة الطالبين ، ص ٦ . خفف المشدد الذي هو العاق ، في البيت الثاني ليستعم
الوزن .

(٨٤) المصدر السابق ، ص ١١ . البيتان من بحر الوافر .

(٨٥) توارق : هم الطوارق يبدال الطاء تاء ، وهم أهل الموقة ، أي المثلثون ، وتسكن بمض قبائلهم في
حدود نيجيريا الحالية ، وهم من بلاد النيجر .

(٨٦) عرف الرخان ، ص ٤٩ . والمقطوعة من مجزوه الخفيف .

(٨٧) بهم : جمع بهمة ومعناه الشجاع يستهم على قرنه وجه غلته . وكان المفروض أن يكون الفعل لقي
(يكسر القاف وفتح الياء) ولكنها اضطرت إلى إسكان الياء ضرورة ، وهي لهجة من اللهجات العربية القديمة .

وعلاة مـزادة	إبلا تحمل البرم (٨٨)
ثم طبلا فويطة	ولواء مع الأدم
إن هذا لزلّة	لذوى الذل والقزم (٨٩)
كل من كان ذا جوى	وسقام من الأمم
قد برا من سقامه	إذ غدا باوا في الأمم
وغياض وورطة	أنجم خوف ذى الأهم
سبط عثمان غوثنا	ذا معاذ أحر الكرم
طول الله عمرنا	في رجاء مع النعم
نصر الله جنودنا	حيث كانوا على العجم
بشفيح الورى الهدى	أحمد سيد الأمم
وبآل وصحبه	وبمن فيهم انتظم

وليس من الضروري أن يقصر الجهاد على ميادين المعارك الحربية وحدها . فقد يكون هناك إلى جانب التراشق بالسهام تراشق بالكلمات والحجج بين القائمين بالدعوة ومعارضيه . ولا شك أن تلك الحركة الإصلاحية والحروب التي شبت تدافع عنها أثارت بعض العلماء من الأحزاب الموالية للملوك الهوسا ، فقاموا بدورهم يدافعون عن أنفسهم وعن ملوكهم ، ويطعنون الشيخ وجاعته ، ويدكرون أنهم على حق ، وأولئك على باطل . كان بعض هؤلاء العلماء لا يزالون تحت رعاية ملوك الهوسا ، فن الطبيعي أن يدافعوا عن أنفسهم بكل ما عندهم من القوة ، وكما كانت المصطلحات الدينية والأقيسة الفقهية تستغل في الشعر الذي يتنى إلى ميادين الحروب فإننا نجد هذا أيضاً واضحة في شعر الحرب في ميادين المناقضات الشعرية والمناقشات . ولعل هذا يتضح في

(٨٨) البرم جمع برمة وهي القدر من الحجارة .

(٨٩) القزم من الرجال : الدنىء واللتيم .

المقطوعة التالية التي كتبها العالم المصطفى الماهر البرنوي إلى الشيخ عثمان ينصحه أن يمنع النساء حضور وعظه . وكان الناس حينئذ يأتون إلى مجلس الشيخ ، رجالهم ونساؤهم ، فإذا حضروا فرقمهم الشيخ وأمرهم أن يجلس كلٌّ في محل منفرد ، وذكر لهم في وعظه أن الاختلاط بين الرجال والنساء حرام ، ولكن فشا في ذلك الزمن بين علماء الهوسا أن المجلس مجتمع للرجال والنساء . يقول العالم المصطفى (٩٠) :

عليك منا تحياتٌ مباركةٌ شُمنٌ مسكا وسُكا من يلاقونا
أيا ابن فودي قمْ تنذرٌ أولى الجهلا لعلمهم يفقهون الدين والدمنا (٩١)
فامنع زيارة نسوانٍ لوعظك إذ خلطُ الرجالِ بنسوانٍ كفى شينا
لا تفعلن ما يؤدى للمصائب إذ لم يأمر الله عيباً كان يؤذينا
وايت المصطفى يج يتممها في عام رشن مع زيد العد يكفيننا (٩٢)
ولما وصلت هذه الآيات أمر الشيخ عثمان أخاه عبد الله بالرد وقال له أنت أولى

بإجابته ، فكتب عبد الله الآيات التالية في نفس الوزن والقافية (٩٣) .

بأيهاذا الذى قد جاء يرشدنا سمعاً لما قلتَ فاسمع أنت ماقلنا
نصحتَ جهدك لكن ليت تعذرنا وقلت سبحان هذا كان بهتانا
إن الشياطين إن جاءوا لمجلسنا هم يثون سوء القول طغيانا
لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا كنا نخذر لكن قلت سلّمنا

(٩٠) هو المعروف بلقب غنى أى الماهر ، وهو من علماء برنو ، والآيات من بحر البسيط . ترتيب الورقات ،

ص ٢٨ .

(٩١) والصواب أن يقول أولى الجهل . استعمل أولى الجهلا ليستقيم الوزن .

(٩٢) يرمز الشاعر هنا إلى عدد الآيات وتاريخ النظم . يقول إن آياتها يج أى ثلاث عشرة وليس كذلك فعدد الآيات خمسة . ثم ذكر أنه أتم الآيات في عام رشن وهى سنة ألف ومائتان وزيادة بعض السنة . انظر ترتيب الورقات ، ص ٢٨ . وعجز البيت الأخير غير مستقيم الوزن ، ولو قال بدل (مع زيد) : وزيد العدد لاستقام الوزن .

(٩٣) المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

إن كان ذلك ولكن لا أسلم أن يترك بالجهل هملاً كان إحساناً
 إذ ارتكابُ أخفِ الضرِّ قد حمًا يكفرُ الجهلُ إن ذا كان عصياناً
 هدى البلاد وجدنا قومها غرقوا في الجهل ، تمنعهم أن يفقهوا الدينا
 قد قيل تُحدثُ للأقوامِ أفضية بقدر ما أحدثوا خذ ذلك ميزانا
 الحمد لله ذى الإنعام هادينا ثم الصلاة على المختار هادينا
 وآله صحبه آياتنا كملت وعدّها حبّ والتاريخ نشقنا^(٩٤)
 ويتضح في هاتين المقطوعتين ما قد فشا في ذلك الزمن من التلاعب بالرموز . يجهد
 الناظم نفسه فيؤرخ للمقطوعة أو لمناسبة أخرى ويستعمل الحروف الأبجدية . وليس هذا
 مقصوداً على نيجيريا ، بل كان الشعراء يسرون على نفس الدرب في البلاد العربية أيضاً
 في تلك الفترة^(٩٥) . ويتضح لنا أيضاً استخدام الأقيسة الفقهية والمنطقية في استخراج
 الأحكام في مثل هذه المناقضات الشعرية . فبعد الله يرى أن النساء ولو كن مختلطن
 بالرجال في تلك المجالس . فحضورهن أفضل من عدمه . لأن الاختلاط غايته يؤدي
 إلى المعصية . وأما عدم حضورهن تلك المجالس وتركهن في الجهل قد يؤدي إلى الكفر .
 فالمعصية أخف ضرراً من الكفر . وارتكاب أخف الضررين قاعدة فقهية معروفة . وقد
 آن لنا الآن أن نتقل إلى الشعر التعليمي .

رابعاً - الشعر التعليمي :

من موضوعات الشعر التي طرقها العلماء والفقهاء في نيجيريا الشعر التعليمي . فقد
 نظموا كثيراً فيه . واستخدموه في نشر الثقافة الإسلامية وبث التعاليم الدينية . ويمكن

(٩٤) عدد آياتها كما رمز إليه الشاعر هو حب أي عشرة ، والتاريخ ألف ومائتان ، وعام واحد . وفي الآيات
 اضطراب في القافية لا يقره علماء العروض ، انظر الشعر والشعراء . الجزء الأول ص ٩٦ .
 (٩٥) انظر تطور الأدب الحديث في مصر ، ص ١٠ .

القول بأن أغلب العلماء المتفنين قد استخدموه في تدريسهم ووعظهم . فلا تكاد تجد عالماً متبحراً أو فقيهاً متفتناً إلا قد أخذ نصيبه في هذا المجال . ولعله من الممكن أن نقارن بين تلك المنظومات الكثيرة التي نظمها أولئك العلماء في شتى الميادين العلمية وبين المذكرات التي تكتب الآن في الجامعات والكليات والمعاهد الدينية . كان العالم ينظم المسائل الفقهية أو اللغوية ثم يدرسها لطلبته ، فيجد الطلبة سهولة في حفظ ذلك ، لأنه كلام موزون مقفى ، ولأن النغمة والإيقاع من معينات الحفظ والتذكر ، فيرغب في قراءته ومعاودته أكثر من رغبته في قراءة ومعاودة الأسلوب النثري .

كان العلماء في كل هذا يتناولون فنوناً شتى من فقه وحديث ونحو وصرف ووعظ وإرشاد . وكان إنتاجهم في هذا كثير . وتختلف هذه المنظومات قلة وكثرة حسب غزارة العالم وحسب المادة التي يريد معالجتها . وقد تكون المنظومة كتاباً ضخماً . ومن أمثلة ذلك ما نظمه عبد الله بن فودي في النحو وسماه البحر المحيط ، ويبلغ عدد أبياته أربعة آلاف وأربعمائة بيت ، وقد ألف كتاباً منظوماً أيضاً في الصرف سماه الحصن الرصين ، وتبلغ عدد أبياته ألف بيت ، ويقول المؤلف في أول هذا الكتاب^(٩٦) :

الحمد لله الذي	تعرفنا	إلى عباده	بما تصرفا
وأنطق اللغات	في البوادي	البلغاء	اللسن الهوادي
وعم بالروائح	الأيادي	مع الغوادي	المجتدى والجادى
إذ أرسل الرسول	للعباد	يرشدهم	مهابع الرشاد
محمد سيد	كل ناد	أفصح كل	ناطق بالضاد
صلى عليه	ذو الأيادي	الهادي	وآله وصحبه الزهاد

(٩٦) مخطوط في مكتبة الوزير الجنيدي الخاصة ، ص ١ وما بعدها ، والأبيات من بحر الرجز .

مسانحت الحائم الشواذى وبعء فالعلم له رىاض وحوها خائل شعاب
 وصاح بالأنغام صوت الحادى وبيها الحىاض والغىاض وفرعها شواحق هضاب
 وفرعت من أصله أفنان وانشق من دوحته خيطان ومبرز الأسرار للجمىع
 وهو سبىل الفهم للمعانى فى سنة الرسول والقرآن علم لسان العرب الررفىع

وهذه المنظومات كلها لم تكن تختلف عن غيرها من المنظومات اللى كانت تنظم فى البلاد العربية مشرقها ومغربها لنفس الغرض . فى فى الغالب تكون سهلة الألفاظ ، قريبة المعنى ، ولكنها لا تخلو فى الغالب من التكلّف لأن الناظم مقىد ، لاىستطىع أن يسبح فى بحر خىاله ، ولا أن يطلق عنان شاعرىته ، فتجره إلى مبادىن واسعة وصور رائعة . وىمكننا أن نضىف إلى هذا النوع من الشعر كل ما قاله العلماء فى الوعظ والإرشاد والحكم والأمثال والزهد والتصوف . فكله لاىخرج عن هذا الإطار التعلىمى . وكل ذلك أىضاً ينظم فىدرس وىتعلم . ومن أمثلة ذلك هذه الأىبات من مقطوعة لمحمد بللو^(٩٧) :

وكم عشت فى غرة وعماء ووجهل ووهو وأنت صبى
 ألا فانج واسلك سبىل الرشاد ولا تسه عما بقول الحفى
 من ازداد سنأ ولم ىكتسب علوم التجارب فهو الغى
 ومن نال علمأ ولم ىكتسب به عملاً صالحأ فغوى
 ومن نال عزأ ولم ىفتخر ولم ىتكبر فذاك السرى
 ومن نال علمأ ولم ىتظاهر به وىجادل فذاك الرضى

(٩٧) إفاة الطالبىن ، ص ٧٢ ومابعدها ، والقصىدة من بحر المتقارب .

ملكْتُ الأمورَ وقلبيها كَأني عليها قديماً ولي
ولم أر كالصمت منها جميلاً ومكسبُ ذا الصمت عندي ذكي
وذي شغب وجدال وضبط يرى أن صمتاً عن القول عي
ولم يدر أن الكلام ملام وأن الصمات مقام عليّ
ومن ملك النفس عمّاً تريد وأتبعها الحق فهو القوى
ومتبعها في هواها زماناً ولم ينهها عن هواها رضى
وأن القناعة رشد كثير وصاحبها الدهر خل غنى
وذو الحرص ما إن يزال فقيراً وأن الحريص لشم شق
ومن راقب الله في أمره وجاهد فيه فذاك التقى

ولا يخفى ما تتضمنه هذه الآيات من الحكم والأمثال . ومع أن الناظم لم يأت
بأفكار جديدة ، إذ أن الشعراء قبله قد سبقوه إلى الإتيان بهذه الأفكار لكنه نجح في
سبكها وعرضها علينا عرضاً حسناً بأسلوب حسن لاتعقيد فيه ولا تكلف ، ولننظر إلى
نموذج آخر من المنظومات التي يقصد بها الإرشاد والوعظ - وهنا يعظ الناظم قارئه أن
يتقطعوا إلى الله ويتقوا بما عنده . يقول (٩٨) :

فأفزع لله الحق ولا تياس من روح المقتدر
أحسن ظناً وبه فثقا كما يكفيك من الضرر
نفحات الله لها أرج تأتي باللطف وبالظفر
مها اشتدت بك نائبة فعليه توكل واصطبر
علّ المولى من رحمته يأتي باليسر على الأثر
أشفقت وربك مقتدر وبسالف عاداته اعتبر

(٩٨) إفاة الطالبين ، ص ٧٧ وما بعدها . والقصيدة من بحر المتدارك .

لاتقنط وارج فضائله فأمورُ الله على قدر
عجلا يأتي فرج بهج الراجي منه مدى العصر
سل ربك لاتسأل أبداً غيرَ المولى دفع العسر
ربُّ من عاذ بجانبه يكتي من ظلم أولى الأشر
يأس من رحمته خسر بل كفر مفض للسكر
سبَّحه وهلل واعترف ينجيك من الكرب الخطر
راج من فيض فواضله بيقين القلب المنكسر
أتراه يُضَيِّع راجيه كلا فالعسر مع اليسر

ومن العلماء من كان يميل طبعه إلى الزهد والتصوف فيختص بهذا الفن في نظمه
ويسلك طريق المتصوفين فيه . ومع أن التصوف في الشعر العربي فن مستقل بنفسه
فإنه في نيجيريا في تلك الفترة لا يختلف كثيراً عما كان العلماء ينظمونه في الوعظ
والإرشاد ، حقاً قد يسجل الصوفي تجاربه الصوفية في نظمه ولكن نظمه مع ذلك
لا يتجاوز الحد الذي يقف عنده ناظمو الوعظ والإرشاد . فهو فيه يحث الناس على
التزهد وعلى التخلص بالأخلاق الحميدة ويحذّرهم من الدنيا وغدورها ، ويوجه نظرهم
إلى ما يراه من الفساد في الناس والزمان . ولعل ذلك يتضح من هذه الأبيات التالية من
مقطوعة محمد سيمبو (٩٩) :

يامن يجب أخا محباً ناصحاً اسمع كلامي قد ظفرت ببغية
عاهدت ربي في اتباع محمد في كل أمر مخلصاً لمحبة
وقد اقتديتُ بنوره في فعل ما مور وترك مُحَرَّم والشبهة
والزهد في الدنيا الدنيئة إنها خداعة والإشتغال بأخرة

(٩٩) عرف الريحان ، ص ٨ إلى ٩ وما بعدها . والقصيدة من بحر الكامل .

والجود والحلم الكثير مع الرضا
وتواضع وكرامة وشجاعة
ومحبة الفقراء والأيتام والد
وصفاء أسرار وذكر دائم
ولقد وصلت بنوره للحضرة
وقد اقتديت بنوره في دعوتي
والجمع بين حقيقة وشريعة
وبترك كل مخالف للسنة ال
والترك للعلماء والأمرء والد
لو كنت في هذا الأوان مؤمراً
يضع لنا الناظم في هذه الأبيات قائمة لبعض الأوصاف التي يتصف بها هو
كزاهد . فكأنه ينصح إخوانه المسلمين بالانصاف بهذه الأخلاق الحميدة .. فالدنيا
دنيئة لاقيمة لها ولا وزن ، فلذلك تركها وراء ظهره وانشغل بالآخرة . ثم يذكر لنا
الغاية التي وصل إليها ، وهي تلك الغاية التي يتمنى كل صوفي الوصول إليها ، وهي
حب الذات الإلهية حباً صرفاً ، ذلك الحب الذي لايقوم على خوف من عقاب أو رغبة
في ثواب (١٠٢) يقول :

وصفاء أسرار وذكر دائم ومحبة المولى خلت عن علة

(١٠٠) ابن عباد : هذا تعبير نيجري ومعناه التقى العابد .

(١٠١) خفف المشدد هنا الذي هو الخاصة لضرورة الشعر . وكذلك الأمر في البيت الثاني . كما أنه قطع همزة
الوصل في لفظي (الاشتغال) و(كابن) في البيت الرابع والسادس ضرورة .

(١٠٢) لمعرفة المرید عن الحب الإلهي في الشعر انظر : التصوف في الشعر العربي ، نشأته وتطوره حتى آخر
القرن الثالث الهجري ، للدكتور عبدالحكم حسان ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٤ ص ٣٩٠
وما بعدها .

ويشير كذلك إلى ذلك المنهج الذى يتمسك به الصوفيون وهو تفريقهم بين الحقيقة والشرعية ، وبعبارة أخرى بين المعرفة الإلهية التى تأتى من الله ولا تخضع لعقل ، وبين العلوم الشرعية التى تأتى بواسطة العقل .

وكان العلماء ينظمون أيضاً فى التوسل والأدعية ، فيأخذ الناس ذلك ويحفظونه حفظاً . ويتوسلون به إلى الله كثيراً ، وتمتاز أيضاً هذه المنظومات بسهولة اللفظ ورقة التعبير . وبكثرة التكرار ، نظم الشيخ عثمان قصيدة فى هذا المجال باللغة الفلانية وعربها عبد الله ، وهى وإن كانت مترجمة لكنها تعطينا صورة لتلك المنظومات التوسلية ، ومن أبيات هذه القصيدة مايلى (١٠٣) :

يارب عالم باطن كالظاهر أحب الذى يدعو بعبد القادر^(١٠٤)
بركات أحمد فى بلاد الله قد عمت وجمت عند عبد القادر
يارب يامفضلا لعباده صلنى بفضلك عند عبد القادر
إن المسىء لدى الأكابر يلتجى فلجأت عند الشيخ عبد القادر
إن كنت لم أحسن فشيخى محسن إني لمنتسب لعبد القادر
ولعل أحسن منظومة قيلت فى هذا الفن هى تلك القصيدة التى نظمها محمد بللو
والتي تسمى بالمستجابة . يقول فى مطلعها^(١٠٥) :

أناديك يامولاي فى السر والجهر بأسمائك الحسى السنية كالدر
وبالمصطفى الهادى الرشيد محمد وأصحابه والآل والتابع الغر
وبالأنبيا والرسل والملئك الرضا وبالأوليا والصالحين أولى الأمر
فهى قصيدة طويلة وتمتاز بحسن العبارة ووضوح اللفظ ورقة التعبير .

(١٠٣) تزيين الورقات ، ص ٥٠ إلى ٥٤ . والقصيدة من بحر الكامل .

(١٠٤) عبد القادر المقصود به هنا هو الشيخ عبد القادر صاحب الطريقة القادرية .

(١٠٥) إنفاق الميسور ، ص ١٠٦ إلى ١٠٧ . والقصيدة من بحر الطويل

هذا ، ويتضح لنا الآن أن العلماء قد طرّفوا أبواباً شتى في الشعر . وإذا تأملنا إنتاجهم في الشعر نرى أنهم قد أكثروا في شعر الجهاد وفي المدح ، كما أكثروا في الوعظ والإرشاد وفي الشعر التعليمي عامة . ولقد كانت الظروف السياسية والدينية والاجتماعية في تلك الحقبة تقتضى إنتاج ذلك النوع من الشعر . فاليئنة كما سبق أن قلنا تتطلب ذلك النوع وتستحسنه أو توجهه . ولكنهم قللوا من الهجاء والإنذار والذم والاحتقار . وكذلك لم ينظموا كثيراً في الغزل إلا ما جاء في خلال القصائد على النمط التقليدي . ومن القليل الذى قيل في الغزل هذه الأبيات (١٠٦) :

وبيضاءٍ خودٍ زانها عطلُ الجيد إذا ماتخلت غيرها بالعناقيد (١٠٧)
 يطيب شذاها وهى للطيب فارك إذا عطرت أترابها بالزراويد (١٠٨)
 فيحلوا بألوان الحديث كلامها إذا أفصحت في نطقها لسنُ الغيد
 كأن ليالى الدهر أيامٌ وصلها وحسن لقاءها كلّها ليلة العيد
 تُزين بالتعطيل من كل زينة وحسنٌ سواها بالخمائل والسود
 تسليت عن أترابها بوصالها وأخدمتها حسناً لنظم الأناشيد
 اشغل العلماء عن الغزل بالوعظ والإرشاد وبشواغل السياسة ، فلذلك لا نرى في إنشادهم غزلاً كثيراً . والقليل الذى أنشدوه لا يعطى صورة كاملة لما نستطيع أن نسميه بالغزل النيجيرى . ويظهر عليه أثر الصنعة والتكلف . فالأبيات المذكورة لم تنظم إلا حباً لتقليد هذا الفن الغزلى ، فليست إذن إلا غزلاً صناعياً خالياً من الإحساس الشعرى والشعور النفسى الحقيقى . ومن المحتمل أن يكون البعض منهم قد نظم في الغزل ولكنه لم يظهره فضع ودرس .

(١٠٦) أبيات محمد بللو ، إفاة الطالبين ، ص ٦٧ والقصيدة من بحر الطويل .

(١٠٧) الخود هى الشابة الناعمة الحسنة الخلق . والمعنى أن هذه لا تحتاج إلى حلية في حين أن غيرها تحتاج إليها .

(١٠٨) الشذا : قوة الرائحة والمعنى : فع أنها تكره الطيب ولا تستعمله فإن رائحتها طيبة جداً .

افصل الثاني

النثر

وأما من ناحية النثر فقد أنتج العلماء كتباً ورسائل كثيرة كما ذكرنا سابقاً . ولقد كانت هذه الفترة بلا شك فترة نشاط واضطراب شديد كما أوضحنا من قبل . لقد جاهد الشيخ وتابعوه في أولها وانتصروا على أعدائهم وأنشؤوا دولة إسلامية مبنية على أسس دينية سليمة ونظم سماوية . وقاموا بعد أن تم لهم النصر على ساق الحد ينشرون الثقافة العربية الإسلامية ، وكان يشترك في ذلك رجال الدولة والشعب على السواء كل حسب طاقته ، فمنهم من قام بالتأليف والتدريس والوعظ كالشيخ عثمان نفسه . وأخيه عبد الله ، وابنه محمد بللو ، وغيرهم من العلماء في تلك الفترة ، ومنهم من اكتفى بالتدريس والوعظ وهم كثيرون .

عكف العلماء على تأليف الكتب الدينية وكتابة الرسائل والمنشورات التي تعالج المسائل الدينية والاجتماعية وشرعوا كذلك يسجلون تاريخهم وانتصاراتهم الحربية ، ويذكرون أسباب قيامهم بالجهاد ، ويردون على منكرهم ، ويصفون في بعض المؤلفات نظمهم السياسية والإدارية المستنبطة من القرآن والحديث وأمّهات الكتب ، ومن ثمّ التأليف في شتى الفنون وكانت نتيجة ذلك أن وجد النثر التعليمي في نيجيريا . ولم تعرف نيجيريا فنّ الخطابة العربية بالمعنى الأدبي المفهوم ، لافي تلك الفترة ولا في غيرها . وليس من العسير - إدراك السبب في عدم وجود هذا الفن . فنيجيريا كما هو معروف ليست عربية ولكنها إسلامية ، يتكلم سواد الشعب فيها بلغاتهم المحلية . فن الطبيعي أن تكون الخطابة الموجهة إليهم باللغة أو اللغات التي يفهمونها . فلذلك

نرى أن الشيخ عثمان مثلاً كان يستهل وعظه وخطبه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ثم يشرع في وعظه وإرشاده « بلغة الحاضرين ^(١) ». وربما استفتح بخطبة إمامه الشيخ عبد القادر الجيلاني تبركاً ثم دخل في حديثه ^(٢) . وكان غيره يسير على نفس الدرب .

وأما الخطب الدينية التي كانت تلى على المنابر في يوم العيد وأيام الجمع وفي المناسبات الدينية الأخرى فليست إلا خطباً مأثورة من السلف الصالح يرددها الخطيب فيفهمها القليل من المستمعين ، ويسمعا الكثير معتقدين أن مثل تلك الخطب جزء لا يتجزأ من العبادات ، كما يسمعون أى الذكر الحكيم وهي تلى في الصلاة ، أو كما يقرءونها في صلاتهم بدون فهم معناها ، وكانت تلك الخطب المأثورة التي يختارونها تحتوى على وعظ وإرشاد ، وذكر الجنة والنار ، والبعث والجزاء ، والثواب والعقاب . وكذلك لم يكن هناك نثر فني في نيجيريا في هذه الفترة التي نسوق الحديث عنها ، ذلك النثر الذي يقول عنه طه حسين إنه النثر الذي « نجد اللذة فيه لأننا نقرؤه لأننا نجد فيه وزناً ولا قافية ، ولا لأننا نسمعه من صاحبه ونرى الحركات التي يشكل بها جسمه ، ولا لأننا نكوّن لأنفسنا فكرة عن صاحبه » ^(٣) ، والسبب في عدم وجود هذا الفن من النثر هو أن الثقافة العربية لم تكن وصلت بعد في نيجيريا إلى مستوى يتطلب فيه المثقفون بالثقافة العربية خاصة والمجتمع عامة هذا النوع من النثر الذي يمتاز بجودة الصياغة والسبك ، وإيجاد اللذة والمتعة لقارئه . وليس معنى هذا أن الثقافة العربية لم تصل في هذه الفترة إلى مستوى عال . فالذي يدرس مؤلفات العلماء في ذلك العصر يرى أن إنتاجهم في كثير من الفنون كان بمستوى عال يساوي مثيله في البلاد العربية . ولكن مع ذلك فاليئة النيجيرية حين ذاك والحالة الاجتماعية والثقافية لاتتطلب ذلك

(١) إفتاق المسور ، ص ٤٨ . (٢) المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) الدكتور طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ط ١٠ ، دار المعارف ، ص ٤١ .

النوع من النثر. وليس غريباً أن يظهر الشعر أولاً قبل النثر فذلك ما حدث عند كثير من الأمم في آدابها. يقول طه حسين وهو يناقش مسألة الشعر والنثر وأيهما أسبق: « وكذلك عندما نلاحظ تاريخ الأمم التي كانت لها حياة أدبية وكان لها شعر ونثر، نلاحظ أن حياتها الأدبية قد بدأت شعراً، وأن الشعر وُجد فيها قبل أن يوجد النثر بزمان طويل.. فالأمم التي لها أدب، قبل أن تعبر عن عواطفها وميولها بالنثر عبرت عن لذاتها وآلامها بالشعر، وكان الشعر هو لسانها الأدبي^(٤) .

ومن ناحية أخرى فإن من أهم الأسباب التي جعلت العلماء يقرضون الشعر في ذلك العصر حبهم لمحاكاة الشعراء العرب، وتسجيل عواطفهم وانفعالاتهم وحب تقديم نصوص شعرية، يستفيدون بها في تعليمهم للغة العربية ويزيدون بألفاظها وتعابيرها ذخيرتهم اللغوية وكل ذلك وسيلة لفهم دينهم^(٥). ولا ننسى أيضاً أن النصوص الأدبية النثرية لم تصل حين ذاك إلى علماء نيجيريا. فلم تصلهم مثلاً كتابات ابن المقفع ولا عبد الحميد، وكذلك ما كتبه من أتوا بعدهما كالجاحظ، فالذي وصلهم كما قدمنا من النصوص النثرية هي مقامات الحريري. وقد كان لها بعض التأثير في كتابة العلماء. وقد تكلف بعضهم أسلوباً شبيهاً بأسلوب المقامات مثقلاً بالمحسنات اللفظية، وخاصة السجع، في صدر رسائلهم كما سنرى فيما بعد. ويمكننا تقسيم النثر في ذلك العصر إلى نوعين:

النوع الأول - النثر التعليمي:

وهو النثر الذي تناول فيه الكتاب الفنون العلمية من التاريخ والسياسة وما يتعلق بالعلوم الدينية والمسائل الاجتماعية.. وهذا النوع كثير كما ذكرنا سابقاً، ويمتاز بسهولة

(٤) الدكتور طه حسين: من حديث الشعر والنثر ط ١٠ دار المعارف، ص ٢٢ - ٢٣.

(٥) انظر تربيين الورقات، ص ٣٨.

ألفاظه وبساطة معناه وخلوه من جمال أو جودة فنية ، وربما لا يتخلو أسلوبه في بعض الأحيان من ركاكة .

وهذه بعض الأمثلة لهذا الفن من النثر : يقول الشيخ عثمان^(٦) : « فاعلم أن أحمد بابا بن أحمد بن الحاج قد حكم في كتاب الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان بأن بلد برنو وكنو وكاشنة وسنى وملى وبعض زكرك بلاد إسلام ، ولكن يقرب كل منها بلد فيها كفرة ، إذ أجاب لما سئل عن أهل هذه البلاد المذكورة : فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذه البلاد أهلها مسلمون إلا عصفو^(٧) فلا أعرف أين هي ولا سمعت بها ولكن يقرب كل منها بلاد فيها كفرة . وكلامه مسلم في زمانه في سلاطينها وغير سلاطينها ، لأن كل عالم يحكم بما علم في زمانه لكن لا يلزم أن يكون الأمر كذلك في كل زمان ، لأن الحكم يدور مع علته ، فالمعروف في زماننا هذا أن الإسلام مستفيض في هذه البلاد المذكورة في غير سلاطينها ، وأما سلاطينها فكفار قطعاً ، وإن كانوا يدينون بدين الإسلام^(٨) لأنهم أهل شرك وصد عن سبيل الله وإعلاء راية ملك الدنيا على راية الإسلام ، وذلك كله كفر على الإجماع ، وحكم البلد حكم سلطانه بلا خلاف ، إن كان مسلماً كان البلد بلد الإسلام ، وإن كان كافراً كان البلد بلد كفر يجب الفرار منه إلى غيره .. وهذا الكلام كله باعتبار ما وجدناهم عليه قبل . وأما الآن فقد قاتلناهم وهزمتناهم وقتلنا بعضهم وأخرجنا بعضهم من هذه البلاد المذكورة بعون الله تعالى « وأمرنا فيها أمراء الإسلام ، فصارت بلاد إسلام بلا خلاف ، والحمد لله على ذلك » .

(٦) انظر كتاب تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان .

(٧) كلمة عصفو Afuno لفظ من لغة البرنو ومعناها قبيلة الهوسا والمقصود هنا الولايات التي كان يسكنها

الهوسا .

(٨) لعله يقصد أن السلاطين ينظاهرون بالإسلام وفي نفس الوقت يفعلون بعض الأشياء التي تكفرهم ، مثل

تقديس الأشجار وغير ذلك .

هذه القطعة ظاهرتان واضحتان ، أولاها كثرة الاستشهاد والاقباس من كتب العلماء ، وخاصة المشهورين منهم من غير النيجيريين مثل أحمد بابا والمغلي والسيوطي . ويتضح هذا في الكتاب كله كما يظهر في المؤلفات الأخرى . فثلا نرى أن الكاتب قد خصص ثلاثة فصول من مجموع سبعة فصول ، اقتبس في الخامس منها وصية الشيخ عبد الرحمن السيوطي^(٩) بأكملها ، وفي السادس وصية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغلي كلها إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كنو ، وفي الفصل السابع والأخير أورد رسالة أخيه الشيخ عبد الله التي كتبها عن سبب هجرتهم من بلاد غوبر وسبب جهادهم الذي وقع بينهم وبين سلاطين الهوسا . وهذه الظاهرة الأولى كثيرة تقريبا في كل ما أنتج في هذا الفن في فترتنا هذه التي نتكلم عنها .

وثانيتهما هي تحليل مسائل تاريخية بطريقة قهفية ، وباستعمال تعابير متداولة في كتب الفقه ، وذلك مثل قوله « لأن الحكم يدور مع علته » وقوله « ولا حكم للنادر » وغير ذلك .

كان هذا الكتاب من أوائل ما كتب في تاريخ بلاد الهوسا وقد وضعه مؤلفه على طريقة كتب التراجم والسير واقتفى أثره بعد ذلك عدد من علماء نيجيريا . ولنتنظر إلى قطعة أخرى في هذا الفن . يقول محمد بللو^(١٠) :

(ولما ولي ابنه « بنف » شمر عن ساق الجذ والاجتهاد على ذلك حتى غزا قرية عظيمة من قرى الإسلام على حين غفلة من أهلها ، فقتلوا ما شاء الله من فقهاؤها وقرائها

(٩) هذه رسالة كتبها عبد الرحمن السيوطي إلى الملك بالبلاد السودانية عامة ، وإلى الملك الزاهد محمد ابن مصطفى صاحب أكدر وأخويه محمد وعمر وابن أخنهم محمد بن عبد الرحمن وإلى الملك إبراهيم سورا صاحب كنة . وكان إبراهيم سورا هذا ملك كنة سنة ١٤٩٣ إلى ١٤٩٨ . وكان بينه وبين السيوطي مراسلات . وهذه الرسالة مخطوطة وتوجد منها عدة نسخ الآن . فمنها نسخة عند الوزير الجنيدي ، وأخرى في دار المحفوظات بكدونة ، وصورة في مكتبة كلية عبد الله بارو بكنو .

(١٠) إنفاق الميسور ، ص ٦٧ إلى ٦٨ .

في نهار رمضان وهم صائمون ، ونهبوا أموالهم وأسروا ذرارهم ، وجعلوا يفتشون الكتب والمصاحف ويخطبون الألواح فيوقدون بها ، ويستهنون بأهل الإسلام ، ويقولون لهم اثبتونا بما تعدوننا إن كنتم صادقين^(١١) ثم جعلوا يعرضون لقرية الشيخ حتى أرسل أميرهم إلى الشيخ أن ينحاز بأهله وإخوانه وأبنائه فإنه يريد أن يهجم على القرية ، فأبى عليه الشيخ إلا أن يهاجر بجماعته . ثم إنه أظهر الندامة فيما قال ، وطلب من الشيخ المقام وترك الانتقال ، ومع أن قرائن الأحوال مؤذنة بعدم الأمانة منه ، وشواهد الأدلة ناطقة بذلك . فاعتذر إليه الشيخ فهاجر من وسع بلادهم عام شريح^(١٢) في شهر ذى العقدة لعشر مضت منه . وقام الفقيه النبيه الزكي الرضى على المعروف بأغال وهو تاركي^(١٣) صاحب الشيخ ، وندب التوارك إلى معاونة الشيخ في الهجرة ، وحميته مما يتوقع من أعدائه . فأعان الشيخ هو وكل من سمع له ، وهم جماعة عبد السلام ، وأطاع منهم حتى وصل الشيخ إلى غد ، ثم رجع واجتهد في إخراج المسلمين من وسط الكفار فأعان كثيراً منهم . وكنت عنده بعد غزو الكفار قرية المسلمين من أهل غبنا المذكورة آنفاً ، ورأيت حزن لذلك جداً ولحفته الحمية الإسلامية . من الواضح أن الكاتب استخدم بعض الألفاظ والتعابير القرآنية مثل قوله « على حين غفلة » . ويظهر أيضاً أن استخدام الحروف الأبجدية في تسجيل التاريخ الذي شاع في الشعر في تلك الفترة لافي نيجيريا فحسب ، بل في العالم العربي أيضاً قد سرى كذلك إلى النثر . ويرى القارئ اقتباسات كثيرة أيضاً في شتى الأماكن في هذا الكتاب نثراً وشعراً ، وعلى هذه الطريقة سار النثر التعليمي كله ، نثر يمتاز بالسهولة والترسل ويشبه الأسلوب الفقهي تارة ، وأسلوب السير والتراجم طوراً آخر .

(١١) مقتبس من قوله تعالى : (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) . سورة الأعراف ، آية ٧٠ .

(١٢) يعنى بها سنة ١٢٢٨ هـ . الموافق ١٨١٣ م .

(١٣) تاركي أى من قبيلة الطوارق بإبدال الطاء تاء .

والنوع الثاني من النثر - هو النثر الديواني :

من الطبيعي أن يكون هناك نثر ديواني في نيجيريا في هذه الفترة ، لأن اللغة العربية كانت لغة الديوان حين ذاك . فهذا النوع من النثر عبارة عما كان يكتبه الموظف من المنشورات والتقريرات الحكومية ، ومن المذكرات والتوقعات الرسمية أو مايسجل به القضايا والشكاوى في المحاكم الشرعية . لم يصل هذا النوع من النثر على العموم إلى مستوى عال ، وذلك لأن الفترة التي كانت فيها اللغة العربية لغة الديوان لم تكن طويلة ، فلم تمتد أكثر من قرن واحد ، وكانت فترة كثرت فيها الاضطرابات السياسية والاجتماعية في أولها كما رأينا ، فلو امتدت أطول من ذلك لكان من الممكن أن يتطور النثر الديواني ويتقدم حتى يصل إلى درجة راقية .

ونستطيع أن نتبين نوعية النثر الديواني من خلال الرسائل الديوانية التي وصلت إلينا . ومن الممكن تقسيم تلك الرسائل إلى مجموعتين منفصلتين :

الأولى الرسائل الروتينية : تلك التي كان يكتبها كتبة الديوان ، والتي يأمر بإنشائها السلطان أو الأمير أو الوزير أو غيرهم من المسئولين . فهذه كانت تتناول المسائل الإدارية ، وهي في أكثر الأحيان رسائل قصيرة لا تتجاوز صفحة واحدة ، يبدؤها الكاتب بالبسملة والصلاة على الرسول ، ويلى ذلك اسم المرسل إليه ، ثم يأتي بلفظ أما بعد « أو » ، « وبعد » ويشرع في المقصود بعد ذلك مباشرة ، ولغة تلك الرسائل بسيطة جداً ، وأسلوبها ركيك ولا تخلو في الغالب من أخطاء لغوية أو نحوية أو إملائية . ولننظر إلى أمثلة من تلك الرسائل (١٤) :

(١٤) جمعت هذه الرسائل من الوزير الجنيـد وصورتها وهي تبلغ حوالى سـمائة . يحتفظ بها الوزير في مكتبه الخاصة . وهذه الصور موجودة الآن في مكتبة كلية عبد الله بايرو بكنو .

« بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على النبي الكريم من أمير راب محمد إلى أمير المؤمنين عمر :

تحية وسلام ورضى وإكراما ، وبعد إعلام أن رجل الذى يهرب بسبب لوث قد ترك ستين ضأنا وثلاث^(١٥) وستين قنا وعبدین ، ولذلك أرسلت إليك لقد جمعت أولياء المقتول حتى نتظر جوابك ، والسلام .

ولا يخفى ما فى هذه الرسالة من أخطاء نحوية وإملائية . فنظرة سريعة إليها ترينا بعض هذه الأخطاء . فمثلا لفظ « سلام » منصوب يجب نصبه كما نصب « إكراما » ولفظ (رضاً) بالألف لأنها منفصلة عن واو ، وجاء فى الرسالة أيضاً اسم الموصول وصلته بعد نكرة لفظ « رجل » وصوابه إما أن الرجل الذى يهرب أو أن رجلا يهرب .. ولفظ ثلاث صوابه ثلاثة على عكس المعداد . وهكذا .

وهكذا كانت أغلب الرسائل من هذا النوع فى شكلها ، فهى قصيرة ، وأما أسلوبها فهو ركيك ، وقد تكون الرسالة أقصر من هذه فتصبح على شكل مانعرفه اليوم بالبرقيات اللاسلكية . مثال ذلك هذه الرسالة :

« بسم الله الحمد لله وكفى وسلام على المصطفى »

« من عبد ربه أمير اليمنى عمر بن العالم أدام رحمه الله إلى أمير المصالح ووالى النصائح^(١٦) الوزير محمد البخارى تحية وسلام ورضى وإكرام . وبعد فالقصد تفقد أحوالك والسؤال على عافيتك . يليه أنا أتمننا ما أمرتنا به هذا والسلام » .

هكذا يقتصد الكاتب فى كل شىء فى هذه الرسالة ويقتصر حتى فى البسمة ويأتى بمقصوده فى جملة أو جملتين قصيرتين .

(١٥) صوابه وثلاثة .

(١٦) أمير المصالح ووالى النصائح هذه هى ألقاب وزير سكو ، وهو رئيس ديوان أمير المؤمنين ، وتأتى الرسائل كلها إليه . وإدارة الولايات كلها كانت تابعة له .

وقد تشابه بعض هذه الرسائل في ألفاظها مما يدل على أن الكتاب كانت عندهم النماذج التي يحفظونها ويحاكونها كلما دعت إلى ذلك ضرورة . وبالنظر إلى هاتين الرسالتين يتضح لنا بعض التشابه بها :

الرسالة الأولى

« من سلطان كنو عبد الله بن إبراهيم ، تحية وسلام ورضى ومزيد إكرام إلى أمير المصالح والى النصائح والوزير الأعظم العالم عبد الله المفوض إليه الأمور كوالده العالم غداد المرحوم . وبعد فباعث الرسم إليكم التعزية في صيرورة الإمام الأعظم معاذ إلى رحمة الله وغفرانه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فإن الله ما أخذه وله ما ترك . وقد عزيزناكم كافة وعزيناك خاصة وعزينا خلفه ، رحمه الله ورضى وعفا عنه وألحقه بالسلف الضالحين وجعل مثواه وقراره الجنة أمين : وألم الصبر وعظم الأجر لنا لكم والسلام . »

والرسالة الثانية

« من المتوكل أمره إلى الله وإلى رسول الله وليه ومولاه ذاك على بن عبد الله الأمير المرحوم ، تحية وسلام ورضى وإكرام ومزيد إكرام إلى السيد الفاضل المتفضل ذاك أمير المؤمنين عبد الرحمن بن أمير المؤمنين أبو بكر^(١٧) المرحوم . أما بعد فباعث الرسم إعلامك أن سيدنا يوسف فات^(١٨) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، في شهر الله المحرم يوم

(١٧) صوابه أبي بكر .

(١٨) يقصد بفات مات هنا وهذا استعمال محلي في نيجيريا ، ويوسف الحاكم الذي خرج على سلطان سكو بعد موت أمير كنو محمد بللو وتولية محمد تكرر ، لأنه كان يتوقع تعيينه في ذلك المنصب . وأدى خروجه إلى حروب أهلية .

انسليخ الشهر . إن لله ما أخذ وله ما أعطى .. » .

ويتضح في هاتين الرسالتين بعض التشابه في التعبير . وفي الرسالة الثانية تبدو ظاهرة أخرى ، وهي أن الكاتب قد استهل الرسالة بعد البسملة والصلاة على الرسول بوصف المرسل بصفات ، فهو الموكل أمره إلى الله إلخ . على نحو ما نرى في مقدمة الرسائل في العصر العباسي مما يدل على تأثر بعض الكتبة بمثل تلك الكتابات بواسطة ما يتلقونه من الرسائل من البلاد العربية الإسلامية .

ولا تخلو بعض الرسائل من الاستهلال في صدرها ، فيشير الكاتب فيها إلى المراد من الرسالة . نرى ذلك مثلاً في رسالة سلطان كنو محمد بللو إلى الوزير محمد البخاري وهو يستعطفه ويعتذر إليه . يقول في أولها :

« بسم الله والحمد لله القائل (وما تفعلوا من شيء فإن الله به عليم) . صلته على نبيه الذي أمر بقبول عذر من اعتذر وسلم . من سلطان كنو محمد بللوين السلطان إبراهيم رحمه الله تحية وسلام ورضى ومزيد إكرام إلى أمير المصالح وإلى النصائح الوزير الأعظم المفوض إليه محمد البخاري بن أحمد المرحوم . ويعد .. » .

وقد يطول الاستهلال إذا كانت الرسالة مهمة كما نجده في صدر هذه الرسالة التي كتبها محمد بللو إلى الأمين بن محمد الكنتي ، يقول :

« الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين ، وأمرهم بموالاته بعضهم ، ونهى عن موالاتهم للكافرين . والصلاة والسلام على من آخى بين الأنصار والمهاجرين ، وعلى آله وأصحابه الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين والفاجرين ، وعلى الذين جاءوا بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . من الفقير إلى مولاه الغني محمد بللو .. » .

والمجموعة الثانية من الرسائل هي الرسائل الخطيرة التي يقوم بكتابتها في الغالب

الأمير نفسه أو وزيره . وقد تقدم أن الأمراء والوزراء كانوا علماء .

تلك هي الرسائل التي كانت ترسل إلى دول أخرى خارج الولايات أو التي تتناول مسألة خطيرة ومهمة . ففي هذه الحالة نجد أنها تختلف عن غيرها في ألفاظها وأسلوبها . يختار الكاتب ألفاظها ويحسن صياغتها وسبكها . ولا يلتزم فيها بالإيجاز المفرط كما في الرسائل الأخرى ولكنه يطنب . وربما يستخدم بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد الشرعية مما يدل على تمكنه من اللغة العربية والثقافة الإسلامية . وقد يصطنع السجع أيضاً وخصوصاً في صدر الرسالة . فمثلاً حينما كتب محمد الأمين بن محمد الكانمي رسالة إلى ملك إنجلترا قال فيها :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. »

من عبد الله تعالى محمد الأمين بن محمد الكانمي إلى المفضل على نظرائه المحترم دون قرنائهم ، السرى عظيم الإنجليز ، سلام يليق به منا . أما بعد فقد قدم علينا مراسيلكم^(١٩) الضاربون في الأرض بقصد التزه والوقوف على عجائب الأرض على ما ذكروه . فرحبنا بهم وأكرمنا نزلهم لما نسمعهم عنكم من مواصلتكم للمسلمين وثبوت المحبة بينكم وبين سلاطين المسلمين من آبائكم وأجدادكم وأجدادهم ، فراعينا تلك المحبة وعاملناهم بمقتضاها على حسب ما قدر الله عز وجل . وبلغوا سلامكم وما ذكروا لنا في كتابكم من أنكم ما تقصرون في كل ما نقرحه من المصالح صار في علمنا وشكرنا ذلك منكم وما هم قد توجهوا راجعين لكم بعد أن قضوا وطهرهم ، ومات من حضر أجله وهو الطيب . ونعم هو رجل عاقل حسن الحال . وطلب منا الرأس خليل الطريق للمسافرين في طلب سن القليل وريش النعام وغير ذلك من الحوائج التي لا توجد في بر الإنجليز . فقلنا له أرضنا هذه لا تصلح لمسافر ثقيل صاحب

(١٩) صوابها . مراسلوكم ، ولعله يقصد «مرسلوكم» أي الذين أرسلوا ، وليس الذين يُرسلون .

مال عظيم كما علمتم حالها وشاهدتموه . أما إذا كان أناس خفاف بضاعتهم قليلة مثل أربعة أو خمسة فلا بأس . هذا غاية ما أذنا له فيه أما أكثر من ذلك فلا يأتي^(٢٠) وإذا أردتم أن يعود منكم مرسل لهذه الناحية فالأحسن أن يكون الرأس خليل لأنه عرف الناس وعرف الأرض وصار من جملة أهل الوطن . والمصالح اللازمة لنا ذكرناها في تسكرة^(٢١) ها هي واصلة إليكم ، واكتب للقنصل الذى فى طرابلس والقنصل الذى فى مصر بأنه إن جاء أحد من خدامنا واحتاج لهم فى أمر برا أو بحرا أن يقفوا له ويقضوا له ما استقضاهم إياه والسلام .

وكذلك كان جوابه إلى محمد بللو بوصيه بالإنجليز خيراً . وكان الإنجليز قد خدعوه وأخبروه أنهم رحال وتجار يريدون أن يشاهدوا عجائب تلك البلاد من بحار وغياض . ونص الجواب ما يلى :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

إلى حضرة النبيه التزيه المحترم العفيف الوجيه ، جهيذ الوقت والأوان ، وعلامة العصر والزمان ، إمام المملكة السودانية وحاكم الناحية الحوسية ، محبنا العلامة محمد بللو بن الفهامة الشيخ عثمان عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان . سلام يغمر شذا المسلك دونه ، ويأمن صروف الدهر أن تخونه ، ورحمة الله تعالى وبركاته المكنونة المخزونة . أما بعد فباعث التخبير ومثير الرقم والتسطير إعلامكم علمتم الخير ووقيتم الضير أن جنس الإنجليز من النصارى بينهم وبين المسلمين من قديم الأزمنة عهود غير منكوثة ، ومحبة دنيوية عن الآباء والأجداد موروثه ، ولذلك يتوغلون فى بلدان الإسلام حيث أرادوا ، ويتخللون الأقطار والأقاليم آمنين كيف شاءوا . وقد أتوا إلى ناحيتنا هذه فى ذمة الأجل الأفضل المحب الأكمل السيد يوسف باشا صاحب

(٢٠) صوابها : فلا يأتون .

(٢١) ليست هذه الكلمة واضحة . لعله يقصد تذكرة أو مذكرة .

طرابلس ، طلبوا منه ذلك حين يتزهدوا في عجائب بلاد السودان ويقفوا على غرائب ما بها من البحار والغياض النادر مثلها في كثير من الأوطان . ولما قضوا مآربهم مما بأرض برونج وما جاورها طلبوا منا المجاوزة إلى جهتهم لما سمعوا أن العجائب ثم مكرها . فأذنت لهم في المسير وأصبحتهم كتباً تنتزل منزلة الخفير . وقدركم أعلى من أن يئنه على ما ورد في حفظ الذمة عن سيدنا رسول الله شفيع الأمة : صلى الله عليه وعلى آله وصحبه القادة الأئمة . وقد علمت أن المسلمين تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم . فكونوا منهم ببال ولا تطرحوا أمرهم في زوايا الإهمال ، ولا يؤذهم أحد بقول ولا فعل ، ولا يتعرض لهم بسوء حتى يعودوا إلينا إن شاء الله آمين مطمئنين مستأنسين كما خرجوا منا . والله تعالى يجازيكم عنا أحسن الجزاء ، وينظمننا وإياكم في سلك عباده المقربين الأصفياء . والسلام على كافة من حوته حضرتكم وعلى من هو منكم وإليكم عموماً بلا تخصيص والسلام .»

وعلى هذا النمط كانت تلك المراسلات التي جرت بين محمد الأمين الكانمي ومحمد بللو (٢٢) .

ويتضح من هذا أن الرسائل الروتينية العادية التي كان يكتبها صغار الكتبة الذين لم يلموا إلاماً تاماً باللغة العربية وأدبها ، ولا بطريقة الإنشاء والمراسلة ، كثرت في غالبها الأخطاء اللغوية أو النحوية أو الإملائية ، وظهر فيها التكلف ، وبدأ فيها ما يجده الكاتب من المشقة في التعبير عن المعاني التي يريد ذكرها ، كما ظهر فيها أثر اللغة المحلية . وأما الرسائل الخطيرة التي كان يكتبها العلماء فكانت سليمة من تلك العيوب . فكاتبوها ملمون باللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وكانوا يريدون أن يظهرها فيها براعتهم وتمكنهم في اللغة وطول باعهم في الثقافة الإسلامية .

(٢٢) انظر بعض هذه الرسائل في إيفاق المسور ، ص ١٣٩ وما بعدها .

وأما الرسائل الشخصية فكان أكثرها كالرسائل الدبلوماسية العادية التي رأينا ، ليس لها حظ من الجودة والفن ، وليست خالية من ركافة في الأسلوب وأخطاء في التركيب . إلا أننا نستطيع أن نقول إن مستواها من الجودة يعتمد على كاتبها . فإذا كان عالماً صاغها صياغة حسنة كما يظهر في بعض رسائل محمد الأمين الكانمي الشخصية . وما لا شك فيه أن كتاب الرسائل في هذه الفترة سواء كانت شخصية أو ديوانية كانوا يستفيدون ببعض النماذج التي وضعها لهم العلماء فيحافظونها كلما أرادوا أن يكتبوا رسائلهم . ومن العلماء الذين وضعوا مثل هذه النماذج الإمام الحاج عمر بن أبي بكر عثمان الكنوي . وضع كتاباً في الرسائل قال في مقدمته (٢٣) :

« وقد سألت بعض الإخوان أن أجمع له مادة من الرسائل والترسل وألح عليّ ، فأجبتني إلى ذلك رجاءً للثواب ، وخوفاً من الكتمان الممنوع عنه شرعاً » ، ثم ذكر فيه طريقة كتابة الرسائل كيف تُكتب سواء كان المرسل إليه أميراً أو غيره ، وسواء كانت لشئون تجارية أو مسائل عائلية . ولم يخرج غالبية الرسائل من مثل هذا الإطار .

(٢٣) اسم الكتاب هو : السرحة الودية في علم الوثيقة ، مخطوط .

البابُ الرابعُ الأدبُ العربيُّ النيجيريُّ في القرنِ العشرين

الفصل الأول : الشعر .

الفصل الثاني : النثر .

الفصل الثالث : بعض خصائص اللغة العربية وآدابها في نيجيريا .

الأدب العربي النيجري في القرن العشرين

الذى يدرس الإنتاج الأدبي العربي في نيجيريا في القرن العشرين يجد أنه لا يختلف كثيراً عن الإنتاج الأدبي في القرن الماضي . وهذه الحقيقة واضحة خصوصاً في السنوات الأولى بعد دخول المستعمرين وإدخال نظام إدارى وسياسى جديد . والسبب في ذلك هو أن الكتاب والعلماء والأدباء الذين كانوا من ذوى الثقافة التقليدية ، هم الذين استمروا على طريقتهم التقليدية ، يكتبون كتباً دينية علمية ، شعراً ونثراً ويسرون على نفس الدرب الذى سار عليه أسلافهم من قبلهم . فهؤلاء لم يتأثروا في السنوات الأولى بالثقافة الغربية التى أدخلها الإنجليز ، ولذلك لم يتأثر إنتاجهم بهذه الثقافة . وبما أن مركز اللغة العربية والوضع الاجتماعى لها ، قد تدهور بدخول المستعمرين ، وأصبحت اللغة العربية في المركز الثانى ، بعد أن حلت محلها اللغة الإنجليزية كما بينا ، فليس غريباً أن يصيب الأدب نوع من الجمود ويقل النشاط الأدبى في هذا المجال . فقد أصبحت اللغة العربية الآن لغة دين ، وأصبح من يشتغلون بها رجال دين منعزلين كل الانعزال عن الحركة السياسية . وقد كان أولئك العلماء في القرن الماضي ، وقبل دخول المستعمرين رجال دين وسياسة ، كما كانت اللغة العربية لغة دين ودولة .

وكما شن الاستعمار الحرب على اللغة العربية في البلاد العربية ذاتها ، ووضعوا عراقيل كثيرة أمامها ، وأرادوا في مصر مثلاً أن يستبدلوا العامية بها ، هكذا حاربوها بطريقة غير مباشرة في نيجيريا . ونجحوا في أنهم أجبروها على الانزواء من ميادين النشاط الثقافى ، ووضعوها في ركن دينى حتى وهم الناس أنها قد انتهت من تمثيل دورها بوصفها لغة ثقافية في نيجيريا .

هذه هي الصورة الواقعية للغة العربية في السنوات الأولى قبل أن تنتشر الثقافة

الغربية . ولكن الحالة تغيرت بالتدرج ، إذ بدأ بعض النيجيريين الذين كانت لهم ثقافة عربية ، يأخذون كذلك من الثقافة الغربية . وعندئذ ، أصبح من يشتغلون بالعربية ويستجون نتاجاً أديباً بها ، منقسمين إلى طائفتين منفصلتين ، تمتاز كل طائفة بميزاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية .

١ - العلماء والشيوخ التقليديون :

وهؤلاء أصبحوا الآن في معزل عن الحياة السياسية والثقافية الحديثة ، وعكفوا على دراسة وتدريس الدين واللغة العربية في ظلال الدين . لا فرق بينهم وبين سلفهم في هذا المجال ، وكانوا يدرسون نفس الكتب التي كانت متداولة بين سلفهم . وأكثرهم اكفوا بتدريس كتب « الشيخ عثمان » وأصحابه فقط . ولم ينشطوا في التأليف كما نشط أولئك ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنهم دون أولئك المجاهدين المجتهدين ، وكانوا على يقين بأن باب الاجتهاد مغلق ، وبأن خير ما يمكنهم فعله هو الاقتداء بسلفهم والاقتفاء بأثرهم والأخذ من منهلهم ، فلذلك قل الإنتاج العلمي والأدبي في السنوات الأولى بعد دخول المستعمرين . فهذه الطائفة كانت ثقافتها ثقافة عربية إسلامية ، وكانت دائماً أبدأ تنظر إلى التراث الإسلامي القديم ، وتضعه نصب أعينها في كل الأمور . وسنرى نموذجاً من إنتاجها الأدبي بعد قليل إن شاء الله .

٢ - المثقفون بالثقافتين العربية والغربية :

وهؤلاء منخرطون في السلك الحكومي ، ويشغل بعضهم بالسياسة في تلك الفترة ، وكان متوقفاً أن يحاول هؤلاء التجديد في الأدب العربي النيجيري لما لديهم من ثقافة غربية حديثة ، بالإضافة إلى الثقافة العربية الإسلامية ، فيقتدون بإخوانهم العرب ، الذين نالوا الثقافتين فجددوا في الأدب العربي . ولكن ذلك لم يحدث ، بل

استمروا يسرون على الدرب القديم . ويرجع ذلك إلى أسباب عدة :
منها ، النفوذ الذي كان يتمتع به أصحاب الاتجاه التقليدي من العلماء والشيوخ ،
ومن والاهم من سواد الشعب .

ومنهم ، عدم وصول ربيع النهضة الأدبية إلى نيجيريا في وقت مبكر ، تلك النهضة
التي بدأت تظهر في مصر على يد « البارودي » وأثمرت فيما بعد على أيدي الجيل الذي
خلفه ، والذي كان من أبرز أعلامه « أحمد شوقي » . وكان السبب في عدم وصول
النهضة إلى نيجيريا ، وجود الحواجز التي خلقها الاستعمار بعد دخوله بين نيجيريا والبلاد
العربية الإسلامية .

ومن هنا أن اللغة العربية لم يتح لها فرصة الخوض لا في الميادين الثقافية العامة ، ولا في
المعارك السياسية التي قامت على قدم وساق فيما بعد .

ومن هنا عدم وجود إمكانيات كافية لنشر ما قد يكتب باللغة العربية ، في حين أن
الإمكانيات موجودة لنشر ما يكتب باللغة الإنجليزية أو ببعض اللغات المحلية كلغة
الهوسا .

أضف إلى هذه الأسباب عدم وجود الدوافع المادية للإنتاج الأدبي العربي من
ناحية ، ووجود عراقيل كثيرة تقف أمام من يشتغل بالعربية من ناحية أخرى . فهذه
الأسباب جعلت الكتاب من أصحاب الثقافتين يلجئون إلى اللغة الإنجليزية أو اللغات
المحلية ، لبث أفكارهم السياسية ، أو الاجتماعية ، أو الدينية . وقد قام بعضهم بترجمة
بعض الكتب الأدبية أو القصصية ، ككتاب (ألف ليلة وليلة) ، وبكتابة بعض
قصص باللغات المحلية مقتبسة من مصادر عربية (١) .

(١) مثال ذلك هذه الكتب المكتوبة بلغة الهوسا :

Dare Dubu da Daya.

١ - ترجمة ألف ليلة وليلة

Magana Jari Cé.

٢ - اقتبس كثيراً من قصص ألف ليلة وليلة

Ruwan Bagaja.

٣ - فيه اقتباس من قصص وروايات عربية

ومعنى هذا أن الإنتاج الأدبي في السنوات الأولى بعد دخول المستعمرين ، ظل كما كان قبل دخولهم لم يتغير ولم يتطور . وفي الواقع قد أصابه نوع من الشلل ، ولم يتأثر بالثقافة الغربية . على أن بعض لمحات تجديدية بدأت تظهر قليلا في الثلاثينيات ، وخاصة بعد فتح مدرسة الشريعة الكبرى التي توسعت فيما بعد وأصبحت مدرسة العلوم العربية . وقد شق كل من الشعر والنثر طريقه ، وسرى أمثلة من كليهما إن شاء الله .

الفصل الأول

الشعر

لم يتطور الشعر العربي النيجيري في هذه الفترة تطوراً كبيراً ، يجعله مختلفاً عن الشعر في القرن الماضي ، فقد ظل العلماء والأدباء يقرضون الشعر على نفس النوال الذي ذكرنا في الفترة السابقة . ويتناولون نفس الأغراض التقليدية كما يستعملون نفس الأسلوب التقليدي في كثير من الأحيان ، غير أنه من الطبيعي أن يتلاشى شعر الحرب والحماسة ، وأن يخفى كذلك شعر الدعوة والتبشير ، الذي كثر في الفترة السابقة . ومن الطبيعي كذلك ، أن تضاف بعض الأغراض الجديدة التي لم تطرق في الماضي . والبيئة الجديدة والحياة السياسية الحديثة تستلزمان إدخال شيء ما من التجديد في الشعر في موضوعه ، وأسلوبه . وكانت أهم دواعي التجديد هي :

١ - وجود كتب عربية أدبية حديثة ، في المكتبات العامة والخاصة .

٢ - رجوع وفود من البعثات العلمية للدراسات الجامعية ، في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من البلاد العربية أو غيرها . وعاد هؤلاء المبعوثون بأفكار جديدة وثقافة واسعة بعد أن قضوا فترة تقل وتكثر ، حسب تخصصهم ومستواهم وانضم أكثرهم إلى هيئة التدريس ^(١) .

(١) ومن الجدير بالذكر أن بعض هؤلاء المبعوثين وخاصة الذين طالت إقامتهم في الخارج ، تزوج في تلك البلاد وعاد إلى وطنه بزوجة ، وقد ينجب أطفالاً يعود معهم لينضموا كلهم إلى المجتمع النيجيري ، ومع أن عدد مثل هذه الزوجات لم يبلغ درجة يظهر أثرها في المجتمع فإنه مع ذلك لا بد أن يترك بعض السات ، مها كانت خفيفة .

٣ - إعادة فتح المواصلات بين نيجيريا والبلاد العربية (٢) وخاصة بينها ، وبين مصر والسودان والحجاز .

ويمكن القول بأن لمحات التجديد بدأت تظهر في الموضوعات . وبدأ بعض الشعراء يتناولون موضوعات لم تطرق من قبل ، وذلك مثل الوصف . فقد حاول البعض رسم صورة طبيعية ، تجارى العصر الحاضر وما وصل إليه من التمدن والحضارة ، وما ولّده من المشكلات والمعارك ، وسرى أمثلة لذلك . ومن ناحية المنهج ، راح البعض يتعدون عن المنهج التقليدى الذى يرجع ذكر الأطلال والبكاء عليها ، ووصف الرحلة المقرونة بمكابدة المشقات فى أول القصيدة . فإذا أراد الشاعر المدح مثلا ، مدح بدون اللجوء إلى تلك المقدمة . كما أن البعض راح يمدح بمدوحه بصفات فيها نوع من الدقة والتحديد ، غير الصفات الشائعة العامة كالشجاعة والمروءة والكرم التى كان يستعملها سلفهم . وأما فى الأسلوب والألفاظ فقد بدأ أيضاً بعض العلماء والأدباء يتحاشون الألفاظ الغريبة ، ويستخدمون لغة سهلة وأسلوباً سلساً . ولننظر إلى بعض أمثلة ذلك بادئين بالمدح .

المدح :

قلنا إنه لم يظهر تغيير كبير فى الأغراض التقليدية المعروفة ، كالمدح والرثاء ، إلا ما اقتضته البيئة الجديدة نتيجة للحضارة الحديثة ، والنظام الحكومى الجديد ، ولم يعد المدح - كما أسلفنا - مقصوراً على الصفات المثالية القديمة ، لأن البيئة لا تستحسن

(٢) وهذه مما مهد السبيل للتبادل التجارى والثقافى بين نيجيريا وتلك البلاد . ووجود المواصلات السهلة قد ساعد كذلك فى تضاعف من يقوم بأداء فريضة الحج أو العمرة سنوياً . وكثير من تجار نيجيريا يقومون بهذه الزيارات ويكررونها فى كل سنة ، لأسباب أكثرها تجارية لا دينية . وكان العدد الرسمى لمن قام بفريضة الحج فى سنة ١٩٧٢ يبلغ خمسة وأربعين ألفاً من نيجيريا .

تلك الصفات ، أولاتراها الصفات المثالية . فلذلك نجد أن من يمدح أميراً من
الأمرء ، بصفه بما يستحسنه المجتمع كإقيام بتعمير البلاد وإحيائها ، وإيجاد الأمن وفتح
الظلم إلى غير ذلك من متطلبات الشعب في أوائل تلك الفترة الاستعمارية . يقول العالم
يحيى^(٣) بن عبد القادر في قصيدة^(٤) له يمدح بها أمير المؤمنين الحسن^(٥) بن معاذ :
جديراً بالخلافة مستحقاً بها أهلٌ ومنٌ مثلُ الهمام
لقد علمتُ بذلك أهلُ هوس جميعاً قبل أخذك بالزمَام
ستبرُ أرضنا وتفوق حسناً بإذن الله « بالحسن » الهمام
وتحبي وقته عمرا جديدا كما تحيا الرياض مع الغمام
ويؤمن^(٦) أهلها وحشَى افتراق ويذكر وقته وقت الثمام
وتُخمدُ في قلوب الناس نارُ العداوة أجمت زمنَ اللثام
وتُعمدُ السنُ تبغى فساداً فتخرسُ لا تطيق من الكلام
ويُضرب فوق أيدى الظلم ضربٌ تشد به فيذهب كالجهم^(٧)
سألتُ الله أن يبقيه دهرأ طويلا في الإمامة بالسلام^(٨)
وينصره على الخيرات دأبا فيصيحُ خيره في الخلق عام^(٩)

(٣) هو العالم يحيى بن الوزير عبد القادر بن الوزير محمد البخاري . من أكبر العلماء في سكو . وكان قبل
تقاعده قد تولى منصب الوالي ثم القاضي ، ولا يزال يدرس بعض طلبة العلم في بيته .

(٤) انظر ضبط المنتقطات للوزير الحنيد ص ١٢١ إلى ١٢٢ .

(٥) تولى المنصب بعد عزل الأمير محمد الملقب بشمري Tambari وكان سهل الخليفة سحاك كرميا معظما
للعلماء وشغوفا على المساكين . انظر ترجمته في ضبط المنتقطات ص ١١٨ وما بعدها . توفي سنة ١٣٥٧ هجرية
الموافق ١٩٣٨ ميلادية .

(٦) يؤمن - لعله يريد أن يقول يأمن من أمن يأمن . والقصيدة من بحر الوافر .

(٧) الجهم : السحاب لآمام فيه . ويقال أيضاً : جأمن من هذا الأمر يجهم أى بما لاخير فيه .

(٨) أسقط إعراب الفعل المضارع في أن يبقيه (وهو التصيب) ليستقيم الوزن .

(٩) استخدم كلمة (عام) وهو يقصد بها (عاما) لإقامة الوزن ، وليس هذا مما يحيزه نقاد الشعر .

وفي قصيدة أخرى للوزير الجنيد نراه يستهلها بأبيات يذكر فيها الأرق وطول الليل مشيراً بذلك إلى الفترة التي مضت بين عزل الأمير محمد تمبري Tambari وتولية الأمير الحسن . يقول (١٠) :

تطاول ليلي واستمرت وساوسي
وعزّ رقادي ثم هاجت (١١) بلابلي
وبتُّ أراعي النجمَ في غيب الدجى
وصرتُ أمتي الصبح حتى كأنني
إلى أن بدا وجهُ الصباح كأنه
أميرٌ له في كل فعل محامد

وفاضتُ على صدري بحور المدامع
وإن نام جبراني فلستُ بهاجع
أشير إليه مرة بالأصابع
أبيت على جمر من النار لاذع
محياً أمير ذى الأيادي (١٢) الهوامع (١٣)
وأخلاقه فاقت عسولا لراضع

ثم يقول بعد بضعة أبيات :

لقد فرحتُ هذى البلاد جميعها
وزادتُ حلاها واطمأنتُ كأنها
وأمنتها من كل ظلم يشينها
أيا سيدي يا ابن الكرام الأماجد
وأبقاك في ظل الخلافة آمناً
ونجّاك من شر البغاة جميعهم

بأخذكها يا خير راع ودافع
عروسٌ إلى كفاء ترف وشافع
بعدلك حتى فر ذنبُ البلاقع (١٤)
وفاك إنه العرش من كل فاجع
مصوناً بحصن الله من كل واقع
ومن كل ذى عيب حتى وذائع

(١٠) ضبط اللتقاط ، ص ١٢٣ .

(١١) البلبال والبلبالة شدة الهم والوسواس والجمع بلابل وبلابل .

(١٢) صوابه : إما محياً الأمير ذى الأيادي أو محياً أمير ذى أيادي ويستقيم الوزن بكليهما .

(١٣) الهوامع جمع الهامعة مؤنث الهامع أى السيادة .

(١٤) جمع يلقع والمراد به هنا المكان الخالي .

يتضح لنا من هذه الأمثلة بعض خصائص المدح في هذه الفترة . فالممدوح يوصف بصفات غير التي كانت مألوفة في الفترة السابقة ، ويستخدم الشاعر ألفاظاً سهلة تحمل معها معاني بسيطة .

ومن قبيل المدح ، المديح النبوي ، وهذا شائع وخاصة عند أصحاب الطرق الصوفية . وقد نظم كثير من العلماء قصائد في هذا الميدان ، ولا يزالون ينظمون في المناسبات الدينية كالمولد النبوي . وبعض هذه القصائد تتلى وتشد في هذه المناسبات ، أو في حلقات الذكر . وتمتاز بسهولة الألفاظ وعذوبتها ، مثال ذلك قصيدة الشيخ محمد الناصر كبر القادري^(١٥) المشهورة في نيجيريا والتي مطلعها :

يا رسول الله خذ بيدي وتداركني فأنت أي^(١٦)

وكثير منها ينظم ثم يدرس في الحلقات ، وقد يقرؤها الناس ويرتلونها تبركاً . ولتأخذ على سبيل المثال قصيدة الشيخ أبي بكر عتيق^(١٧) المسماة بـ (مفتاح الأغلاق في مدح حبيب الخلاق) يقول فيها :

مدحي له قد كان في إطباق لا ما أسطره على . الأوراق^(١٨)
ماذا أقول بمدح من ربّ الوري أنني عليه بأعظم الأخلاق^(١٩)

(١٥) هو أحد كبار العلماء في نيجيريا وشيخ للطريقة القادرية ، وله معهد كبير لتعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية . وله قصائد دينية كثيرة ومؤلفات أكثرها في التصوف والعبادات .

(١٦) هذه قصيدة يحفظها كثير من الشبان بدون معرفة معناها وينشدونها في المناسبات الدينية .

(١٧) هو الشيخ أبو بكر عتيق بن العالم خضر التجاني المالكي . وكان عالماً فقيهاً من مشايخ الطريقة التجانية .

وتوفي رحمه الله في كنو . وترك مؤلفات أكثرها في الفقه والتصوف وله قصائد أيضاً .

(١٨) يعني أن مدحه للذي كائن في عجزه وعدم استطاعته للمدح ، فثله لا يستطيع أن يمدح التي بكلمات تعجز

عن التعبير ، فسكوته إذن مدح له .

(١٩) يعني لا يستطيع هو أن يقول شيئاً في مدح التي وقد أنى عليه الله تعالى حيث قال (وإنك لعل خلق

عظيم) .

قل ما تشاء في مدحه من بعد أن ووصفته بعبودة الخلاق (٢٠)
 قل عبده وخليله وحبيبه وصفه هو فاتح الأغلاق
 هو سيد الرسل الكرام وخيرهم هو أصل كل الخلق بالإطلاق
 هو قبضة النور الإلهي الذي من قبل آدم قاسم الأرزاق
 من نوره الاكوان طرا كوت أصل الأصول وخاتم السباق

هو ذو الشفاعة والوسيلة واللوا والحوض صاحب كل مجد راق
 ذو المعجزات الباهرات محمد المختار أحمد طيب الأعراق
 ذاك الذي قد كلمته غزاة والضب كلمه ، لحل وثاق (٢١)

وهكذا يقتني العلماء في معظم المديح النبوي سلفهم . يتحدثون عن خصال النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه ، ويشنون عليه . ويصفون ما قد كرمه الله به من الكرامات والمعجزات ، مما تناقله كتب السيرة ثم يختمون القصيدة غالباً بالصلاة على النبي وعلى آله ، وبالثناء .

الثناء :

وسار الرثاء على نفس الدرب . وكان من أهم خصائصه أيضاً أن الرائي يذكر أوصاف الميت بشيء من الدقة . ويعرفه بدل أن كانت تذكر أوصاف عامة ، يمكن أن يوصف بها الميت المقصود أو غيره . كما رأينا أولاً . رثى الحاج أبو بكر غمي (٢٢) أمير

(٢٠) أي قل ما تشاء في مدح النبي بعد وصفه بعبد الله . فهذه الصفة عند الصوفيين من أحب أسماء النبي إليه فقد شرفه الله بهذه الاسم حيث قال (سبحان الذي أسرى بعبده) .

(٢١) «لحل وثاق» يتعلق بالغزاة يعني أن النبي أطلق وثاق الغزاة لما طلبت منه ذلك . وذلك من معجزاته ، انظر مجموع أربع كتب للشيوخ «عتيق» ، طبعة «مصطفى البابي الحلبي» ١٩٧٢ ، ص ٣٢٦ .

(٢٢) وهو الآن قاضي قضاة نيجيريا الشمالية ، عالم فقيه من قادة الفكر الديني ، له مؤلفات في الإسلاميات .

كنو عبد الله بايرو بقصيدة يقول فيها :

حتى أحبك أعدى الناس وانخدلا
ضمرت ، ماخفتُ حثاً ، لا ولا خلا

عاشرتَ قومك بالإحسان غايته
أقسمتُ بالله أن قد تم كلُّ منى

بالعفو ، ساعده الأولاد واعتدلا
لكل من خافه فيما نوى عملا

جمع العلوم مع التقوى وقدرته
لم يكن وعدَ الرحمنُ جتته

يداه لله لا يبغى به بدلا
حسنى وزكاه في تفصيلها جملا ؟

أما بنى جامعاً من خير ما اكتسبت
أما تواتر قولُ الناس فيه على

رقاه ربُّ العلاء لعلاه فانتقلا
ولم نفارقه أصلا فانظروا ، فُضلاً (٢٣)

فوته ليس موتاً في الحقيقة بل
لاحزن إلا فراق البين عنه ألا

ولا يخالف وعدُ الله ما جعلنا
في كل خير ولم تُنسب له مثلاً (٢٤)

فالله يُحى عبادَ الله دورهم
أمسى « السنوسى » إماماً كان سيدكم

ومن خصائص المراثى التى ظهرت فى هذه الفترة ، أن الرأى يكثر الحزن وإراقة
الدموع والإطالة فى ذلك ويعظم الخطب لفقد الميت . ولم تكن الحال فى الغالب
كذلك فى الماضى . ومن أمثلة ذلك قصيدة للوزير الجليل برئى معج إسحاق الزكركى .

= وفسر القرآن الكريم بتفسير حديث لا يزال تحت الطبع . كما فسر القرآن بلغة الموسا . وهو عضو فى رابطة العالم
الإسلامى . نظم هذه القصيدة فى سنة ١٩٥٣ وهو حينئذ يدرس فى مدرسة العلوم العربية بكنو ، وله قصائد
أخرى .

(٢٣) فضلا : من الكلمات التى أقحمها الناظم للقافية . وفى هذه القصيدة بعض الخلل فى التراكيب اضطر
الناظم إليها من أجل إقامة الوزن والقافية . انظر مثلا البيتين الثالث والسادس . والقصيدة من بحر البسيط .

(٢٤) انظر ديوان « أبى بكر غمى » ، مخطوط عنده

يقول فيها :

يا حرّ ماجرح الفؤاد لأجله فبقى كلباً ماله تريقاً^(٢٥)
خطبٌ تكاد تُميد من غمراته رغباً بنا ، البلدان والآفاق
ياما أشد وقوعه وأمره للمسلمين فدمعهم مهراق
خطبُ ألمّ بنا ورزّة فادحٌ لما توفي شيخنا «إسحاق»
فجمتُ به زكرك وسائر أرضنا فلذاك وابلٌ دمعتنا دفاقُ
أستاذنا التحرير والعلامة السجّ حير^(٢٦) والفهامة السبّاق
علم شهير في البلاد جميعها خدن التي حمدت له الأخلاق

يارب نور قبره ، نعمه يا مولاي أنت الواحد الرزاق
ثم الصلاة على النبي وآله يتلو سلام كالعبير يساق^(٢٧)
ويظهر مثل ذلك الحزن ، وإراقة الدموع في مرثية الشيخ «أبي بكر عتقك» للشيخ
«أبي بكر مجنوا»^(٢٨) Abubakar Mijinyawa يقول فيها^(٢٩) :

أيا عينيّ ابك لهذا الفقيد ويا قلبيّ احرق وكن كالوقيد
لفقد إمامي وشيخي ملاذّي «أبي بكر» العلم حامى الوليد
وشيخ لأهل الطرائق طراً وحامل راية نهج سديد

(٢٥) التريق ما يمنع ميكانيكياً امتصاص السم من المعدة أو الأمعاء .

(٢٦) السجير الصديق الوف جمعه سجرة .

(٢٧) ديوان قصائد الوزير «الجنيد» ، ص ٢١ ، والقصيدة من بحر الكامل .

(٢٨) هو أبو بكر محمد بن عبد الله الكوي الشهير بمجنوا . ولد سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٥ م . وكان عالماً قهياً ومن كبار مشايخ «الطريقة التجانية» . وله عدة مؤلفات طبع بعضها مثل النفحات الرحانية في شرائط الطريقة التجانية . وتوفى رحمه الله سنة ١٣٦٦ هـ ١٩٤٦ م وله من العمر ثلاث وخمسون سنة . انظر ترجمته في مجموع أربع كتب ، ص ٩٤ وما بعدها .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٩٩ . والقصيدة من بحر المتقارب .

الوصف :

إذا كان فنا المدح والثناء ، لم يخرجنا عن إطار الأدب القديم ، ولم يخرجنا في كثير من الأحيان عن المعاني القديمة المطروقة ، ولم يحدث فيها تطور ملحوظ ، فإنه من الممكن أن يقال إن الشعر العربي النيجيري قد خطا خطوة لا بأس بها إلى الأمام ، في وصف ما يسميه البعض بالطبيعة الميتة . لقد بدأ بعض الشعراء يشقون طريقهم نحو التجديد في الوصف ، وكانت تجاربهم عميقة ، وجاء وصفهم صادقاً ، فرسموا لنا صوراً جديدة لبعض المناظر أو الأشياء التي شاهدها . فهي صور ليس فيها محاكاة عمياء للمعاني المطروقة ، ولا تقليد متهور للقدماء . يقول الوزير « الجنيد » في قصيدة له وهو يصف سفره إلى الخرطوم^(٣٠) وكانت تلك أولى زيارة له إلى البلاد العربية :

خرجنا بعون الله في غلس إلى المطار وكنا كالطيور البواكر
فطارت بنا من يرو ولاجة^(٣١) الهواء تدافع أمواجَ الهواء في الهواجر
تخوضُ عبابَ الجب عند ارتفاعها وتملؤه من صوتها بالزواجر
مجموفةً فيها كراسي صفتْ ملبنة بالحيش براً لزائر
ونفعل فيها كلَّ شيء نُزيده كأكلِ سوى تدخيننا بالسجائر
نزلنا جنينةً للغداء وبعد ذا ك طرنا ولم نترل سوى عند فاشر
فعدنا إليها ثم طارتْ وشرقتْ وقد بعدت عنا أراضى النياجر^(٣٢)

(٣٠) سافر إلى الخرطوم عام ١٩٤٥ مع وفد أرسلته الحكومة النيجيرية إلى السودان والحجاز للنظر في أمر الحجاج وخاصة الذين يعجزون عن الرجوع إلى أوطانهم بعد أداء فريضة الحج لأسباب مالية أو صحية . وكانت الحكومة قد بلغها أن حالة أولئك كانت سيئة جداً في الحجاز والسودان .

(٣١) التي تتخلل هوا .

(٣٢) ويقصد بأرض النياجر بلاد نيجيريا .

إلى أن أُنحَناها وفازت يدُ النوى بخرطوم فانجابت همومُ المسافر (٣٣)
وعند غروب الشمس تمَّ نزولنا فأقبل ليلٌ مسدلٌ بالدياجر (٣٤)
فلاحت لآلَى الكهرباء كأنها نجومٌ بدت أو كالببور السوافر
فلما انتهينا واطمأنتُ نفوسنا نزلنا (بلوكندا) بهي المناظر
على شاطئِ النيل المبارك قد رسا نشمُّ الصبا منه بعرفِ العنابر
نمتع فيه كلَّ يوم عيوننا بما تشبَّهه مثلج (٣٥) للضائر
به ألف مصباح تضيء كأنها وجوهُ حسان في معالي المنابر
زوارقُه تأتي وتذهب دائماً تيمس (٣٦) على التيار ميس الحرائر (٣٧)

تخوض سفينة الهوا عباب الجو ، وتدافع أمواج الهوا ، وتملأ الفضاء بصوتها المفعم
بالضجيج . هذا ما يصفه لنا الشاعر ، عندما تطير الطائرة ، ثم يصف داخلها كما يراها
بكراسيها ، كما يرسم لنا حالته وهو على متنها . فهو فيها يفعل ما يشاء ، من أكل وشرب
وغيرهما ، سوى التدخين الذى كان ممنوعاً . ولا شك أن هذه الصورة للطيارة التى
رسمها لنا ، جديدة ومبتكرة فى نيجيريا لأن هذا الميدان لا يزال فى تلك الآونة بكرًا .
ومن قصيدة أخرى له يصف الطائرة هذه :

يا من يصعدُ أنفاساً بأنفاس شوقاً بخرطوم ذات الورد والآس (٣٨)
اصبر قليلاً فإننا سوف نحملنا رعادةً الهوا مملومة (٣٩) الرأس

(٣٣) حذف (ال) من الاسم (الخرطوم) وهى لازمة ، ومنع من الصرف ليستقم الوزن . انظر الهامش رقم ٢٥ صفحة ١٣٤ .

(٣٤) الديجر ، الظلمة . يقال ليل ديجور أى مظلم والجمع دياجر .

(٣٥) ثلجت نفسه ، رخصت واطمأنت .

(٣٦) ماس فى سيره أى تبخر فهو مائس ومياس .

(٣٧) انظر انحاف الحاضر برافى المسافر ، للوزير «الجيد» ، ص ٢٠ إلى ٢١ ، مخطوط فى مكتبة الوزير

الخاصة . والقصيدة من بحر الطويل .

(٣٨) انظر الهامش رقم ٣٣ ، صفحة ١٨٧ . (٣٩) مملومة : مدورة

صعادة تتبارى في تجوالها شهب السماء التي ترمى بأقباس
 طائرة صوتها عال مجوفة كذوابي الشاهق الراسي
 آتانة في نزول عندما بلغت إلى المحطة تمشى مشى مياس^(٤١)
 مملوءة بكراسي ملسينة بالخيش تلبس ترويحاً لجلاس
 تنقاد طائعة في كنف صاحبها كدابة ذلت في كف سواس^(٤٢)
 فاعجب لها إنها عنقاء مغربة جاءت تذكر عباس^(٤٣) بن فرناس
 بين الجناحين منها نيط مروحة تدور من حولها من غير إنكاس
 تعطى الدخلف وتنبى عن تعاملنا به عليها وهذا خلف مقياس^(٤٤)
 فالطائرة هنا توصف بأوصاف دقيقة . فهي في صورتها ملمومة الرأس وذنها
 كذوابي الشاهق الرأس . ولها بين الجناحين مروحة تدور من حولها . وهي في سرعتها
 تبارى شهب السماء التي ترمى بأقباس . ويصفها الشاعر أيضاً بعد هبوطها وهي سائرة
 إلى أن تصل إلى مناخها ، فكأنها في سيرها هذا تمشى مشى الأسد المتبختر . وفي كل
 الحالات فهذه الطائرة منقادة في كف سائقها كأنها دابة « ذلت في كف سواس » .
 فهذه صورة رائعة وتصوير دقيق للطائرة ، وفيه شيء من روح ودعابة الشاعر . وهذا
 الوصف الرائع للطائرة التي توصف بأوصاف جميلة ، لأنها تحمل الشاعر إلى بلد يشاق

(٤٠) الزمك : منبت ذنب الطائر والمقصود هنا ذنب الطائرة .

(٤١) المياس : الأسد لتبختره في مشيه .

(٤٢) خفف المشدد في (كدابة) لإقامة الوزن .

(٤٣) هو عباس بن فرناس الأندلسي ، وكان من أوائل من حاول الطيران . صنع قراباً ونصب له ريشاً
 وجناحاً سريع الحركة ثم علقه ووثب به من مكان مرتفع . وبعد أن رفرف لمدة ثوان هبط على الأرض . وتوفي سنة
 ٨٨٧ م انظر ترجمته في :

The Encyclopaedia of Islam, New edition vol. I. under this name.

(٤٤) هي تخرج الدخان وخاصة عند تحركها ولكنها تنهى في نفس الوقت عن التلخين وهذا أمر يخالف
 القياس . انظر القصيدة في إنحاف الحاضر بمزالي المسافر ص ٢٥ - ٢٧ . والقصيدة من بحر البسيط .

إليه يخالف وصف الحاج « أبي بكر غمى » (٤٥) ، ذلك الوصف الذى يرسم لنا الجانب الآخر للطائرة ، فهى مطية لإبليس اللعين ، تفرق بين الأحباب . يقول فى ذلك (٤٦) :

سببى وطارتُ بى تفرق بيننا على حسدٍ طيارةٌ تتشقق
مطيةٌ إبليسَ اللعينِ وأهله ومخطرُ أهلِ السلمِ إذ تتخلق
تَظيرُ وتمشى فى الهواءِ بأرضها نجومٌ ، وفيها النارُ تذكو وتحرق
وماراكب إلا يشدُّ بجلبها لكيلا يفوق الخطرَ إذ تنفسق

فالتائرة هنا توصف بأنها آلة للشر . سبت الشاعر من أهله ورمت به إلى أرض الغربة . وهى عندما تطير وتمشى فى الهواء ترتفع عالية حتى تعلو على النجوم . ويرسم لنا صورة مخيفة للطائرة فهى مختر أهل السلم وفيها نار تذكو وتحرق . ويرى أن ربط الخزام عند إقلاعها أو هبوطها ، ليس إلا لأنها لا تريد أن يفوت ركايبها من الخطر إذا وقع حينها « تنفسق » .

ونلاحظ التطور الذى وصل إليه الشعر العربى النيجرى فى الوصف فقد ترك الشعراء تلك المحاكاة العمياء للقدمات ، وراحوا يتناولون وصف ما حولهم من الطبيعة ، ومن المخترعات الحديثة ويتكرونها فى وصفها . ويرسمون صورة صادقة لما يحسون به ، وفى كل هذا يختار الشاعر ألفاظاً ملائمة ، ومعانى مألوفة للصورة التى يصفها أمامنا ، فلا ترى ألفاظاً كثيرة غريبة وصوراً ومعانى جاهلية ، إلا إذا اقتضى المقام ذلك . فحينما يصف الوزير « الجنيد » مثلاً « مدينة أقدس Agadas » . وهى مدينة قديمة تقع فى الصحراء ، وتشبه فى كثير من صورها الطبيعية ، تلك الصور التى كان يصفها لنا

(٤٥) تقدمت ترجمته فى الهامش رقم ٢٢ صفحة ١٨٤ .

(٤٦) ديوان شعره وهو مخطوط وموجود فى مكتبة الخاصة ، والأبيات من بحر الطويل .

أصحاب المملقات ، فإنه يعيش معهم في المعاني والألفاظ وكأنه يصف مناظر الجاهليين . يقول (٤٧) :

بلاد عريضات وأرض عريضة منارة عين الناظر المتأهل
ومنها بطاح واسعات ترينت بأجام دوم والنخيل المكلل
وأطربني فيها غناء حمامها بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٤٨)
وكم أذكرتني بيتَ شعر خيامها قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل (٤٩)

الشكوى والحزن :

كان الجوكثياً في العقود الأولى بعد دخول المستعمرين ، وبعد نجاحهم في تمزيق المسلمين وإضعاف شوكتهم ، وتهديم قيادتهم المركزية التي كانت تقودها « سكتو » . وكان المسلمون في تلك الفترة الأولى حيارى . كانوا يفتقدون الرياسة والقيادة المركزية ، التي كانت قبل ذلك تجمع شملهم وتقودهم . وانحطت الروح المعنوية على العموم . وكانت الإدارة الإنجليزية الجديدة قد عينت أمراءً جددًا في بعض الولايات ، كما اعترفت بظانفة من الأمراء وصالحتهم قهراً في البعض الآخر ، ولقد عين الإنجليزية أيضاً سلطاناً جديداً وجعلوه على « ولاية سكتو » وحدها . وحلوا محل الحكومة المركزية أو محل الخلافة التي كان يتمتع بها سلاطين أو أمراء « سكتو » قبل دخول الاستعمار . فن الطبيعي أن يمقت الناس تلك الحالة السياسية المظلمة ، ويرقبوا الفرص لإسترداد حريتهم ونظامهم ، ولكن المصيبة الكبرى هي عدم وجود القائد الذي يقودهم ، لتفكك الدولة . ومن الطبيعي كذلك أن يلجأ رجال الدين والعلماء إلى

(٤٧) ديوان الوزير « الجند » ، ص ٢٦ وما بعدها .

(٤٨) ويلاحظ أن الشطر الأخير من البيت الثالث والشطر الأخير من البيت الرابع هما بيت شعر من معلقة امرئ القيس . وهذا يسمى تضمين . والسقط منقطع الرمل حيث يستند من طرفه . الدخول وحومل مكانان . (٤٩) والأبيات من بحر الطويل .

الله ، طالبين منه سبحانه وتعالى ، أن يزيل تلك المصيبة التي نزلت عليهم . فهذه الحالة هي التي أوجدت كثيراً من الشعر في الشكوى والتوسلات والأدعية . وإذا أمعنا النظر في هذا النوع من الشعر ، نرى بدون شك أنه يرسم لنا صورة واضحة وصادقة للحالة الاجتماعية في تلك الفترة . ومن المعروف أنه لم يظهر هذا النوع من الشعر في السنين الأولى ، بعد دخول المستعمرين مباشرة . ولعل السبب في ذلك ، هو خوف العلماء والأدباء من أذى الحكم الجديد . ومن المحتمل أن يكون العلماء والأدباء قد كتبوا ونظموا ، ولكن ذلك اختفى واندرثر ، ولم يصل إلينا أو لم يكشف بعد .

وقد انتهز بعض النفعيين تلك الفرصة حينما رأوا كآبة الجو وظلامته ، فالتفوا حول المستعمرين يتملقونهم ويتذللون لهم ، فرحب بهم المستعمرون وتآمروا معهم ضد المواطنين ، فكان أولئك الأغبياء ينشرون الأكاذيب والأباطيل بين الأهالي ، ويرجون بذلك التقرب إلى المستعمرين . فهم كما قال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
ولقد وجد أولئك الأغبياء مرتعاً خصباً لنشر أكاذيبهم بين الأمراء وذوهم ، وذلك لوجود صراع داخلي في الطبقة الحاكمة . صراع بين الأمير وإخوته أو أعمامه . ممن يريدون الإطاحة به والجلوس على عرشه . وقد يستعين أحد هؤلاء بالطائفة المذكورة . فيتآمر معهم ضد الأمير ، وهكذا . وقد شهد التاريخ وصول هذه المؤامرات إلى ذروتها في عصر « محمد ميثاراي Maiturare » ، حينما أثير الشعب ضده . وجعلت هذه الطائفة من الناس تكتب الأكاذيب وتنشرها بين الناس ، كما تبثها بين الإنجليز حتى أوشكت أن تطيح به . وكان المأمور الإنجليزي قد تواطأ معهم ، وعزم على عزله . وكتب بذلك إلى الحاكم العام الذي يقيم بالعاصمة « لاجوس » . وعندما جاء الحاكم العام نفسه للنظر في ذلك الأمر ، أدرك بعد البحث عدم صحة كل ما أخبر به قبل ذلك . فلم يجد حلاً إلا أن يعضد السلطان ويقلده وسام الشرف . وأجاز له عزل كل

من تأمر ضده من عماله وموظفيه . فانتهت هذه المشكلة مؤقتاً بظفر السلطان ، وفشل أعدائه ، فجعل لسان حال السلطان يقول :

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
إلا أن مثل هذه الفتن ، قد هاجت مرة ثانية بعد وفاة السلطان « محمد ميثاري »
وتولية ابنه « محمد الملقب بتمبرى Tambari » ، وقد أدت في هذه المرة إلى عزل
السلطان ونفيه . وكان ذلك في سنة ١٩٣٠ م (٥٠) .

هذه الحوادث كلها ، والتي أعقبت دخول المستعمرين ، كانت بلا شك كثيفة ،
ولقد زادت الجو كآبة وظلاماً . وهي في ذاتها كافية لإلهام العلماء والأدباء الشعر الذي
يصور تلك الحالة . وخير قصيدة ترسم لنا تلك الصورة ، هي هذه القصيدة التي يبكي
فيها الشاعر الوزير « الجنيد » تغير الأحوال ، ويقول إن البلاد أصبحت أطلالا (٥١) :

صارت مرابع للوحوش بعيد أن كانت مقاصد حاضر أو باد (٥٢)
أقوت فلست ترى بها أحداً سوى الحرباء لائذة على الأعواد
قامت تخاطبني فعز كلامها فلکم سکوت معلن بمراد
وتدير عينها تشير بذاك دو ر الدهر غير ماترى في النادی
وتلونت بفهمت منه تلون الأحوال في الدنيا فعز رقادى
لم لأنادى في الطلول وهذه الأطيأر فوق غصونهن شوادى
ألوانها ما بين أبيض ناصع أو أحمر أو مشرب بسواد
تشدو وترقص في حلّى أرياشها رقص القيان بحلة الأعياد (٥٣)

(٥٠) انظر تفصيل ذلك في ضبط المنتقطات ، ص ١١١ وما بعدها .

(٥١) ديوان الوزير ، ص ٨ وما بعدها .

(٥٢) المعنى أصبحت سكو الآن منزلة ومرتما للوحوش بعد أن كانت هي العاصمة يذهب إليها الكل .

(٥٣) القيان : جمع قية وهي الأمة وغلب على المعنى . ومعنى البيت : ترقص تلك الطيور في حلّى أرياشها كما

ترقص القيان في ثوب جديد .

أَسْفَى عَلَى طَلل يَمَازِحُنِي مَتَى نَادَيْتُ خَالْفَنِي عَلَى الْمَعْتَادِ
 نَادَيْتَهُ بِأَيْهَذَا النَّادِي فَأَجَابَنِي بِأَيْهَذَا النَّادِي (٥٤)
 لَمَّا سَكَتَ دَنْتَ إِلَى حَامَةً مَغْبِرَةً تَبْدُو كَلُونِ رِمَادِي
 فَسَأَلْتَهَا أَيْنَ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ قَالَتْ لَقَدْ بَلَّغُوا عَلَى الْمِعَادِ
 قُلْتُ أَخْبِرْنِي مَنْ تَخَلَّفَ بَعْدَهُمْ قَالَتْ تَخَلَّفَ دَوْلَةُ الْأَكْرَادِ (٥٥)
 مَا لِي أَرَى دَوْلَ الْكِرَامِ وَضِيعَةً قَالَتْ عَلِمَهَا دَوْلَةُ الْأَوْغَادِ (٥٦)
 فَسَأَلْتُ مَا خَلَّقَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا قَالَتْ ذُووُ فَحْشٍ ذُووُ أَحْقَادِ
 لَا تَكْذِبْنِي يَا حَامَةً وَكَاشِفِي قَالَتْ ذُووُ حَسَدٍ ذُووُ إِفْسَادِ
 هَلْ يَحْسُدُ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ صَغِيرَهُ قَالَتْ فَذَلِكَ عَادَةُ الْأَكْرَادِ
 فَسَأَلْتُهَا مَا لِي أَرَاكَ هَزِيلَةً قَالَتْ لِكثْرَةِ لَوْعَتِي وَسَهَادِي
 مَا بَالُ لَوْنِكِ مَغْبِرًا مَتَغِيرًا قَالَتْ لَبَسْتُ عَلَيَّ ثُوبَ حِدَادِ
 مَاذَا وَقُوفِكِ هَاهُنَا فِي وَحْشَةٍ قَالَتْ لِأَنْدَبِهِمْ عَلَى الْأَوْتَادِ (٥٧)
 هَلَّا قَفُوتِ إِلَيْهِمْ آثَارَهُمْ قَالَتْ قَعَدْتُ لِقَلَّةِ الْأَزْوَادِ

هذا تصوير دقيق ولطيف للحالة الراهنة ، كما يراها الشاعر . كانت « سكتو » قبل دخول المستعمرين مقرأً لأمير المؤمنين ، وعاصمة للدولة ، يغشاها الناس لقضاء حاجاتهم السياسية وغيرها من كل الولايات التابعة لها من حاضر أو باد . وكانت علاوة على ذلك - مركزاً ثقافياً يتردد عليها هواة العلم وطلبته ، ولكن الحالة الآن قد تغيرت وتبدلت . ونلاحظ أن الشاعر لا يقتصر على الوصف وحده ، بل يستخدم الحوار ويخلق

(٥٤) النادي الأول هو مكان مهياً لجلوس القوم فيه ، والنادي الثاني الذي ينادى ويدعو .

(٥٥) وصل همزة القطع في (اخبريني) لاستقامة الوزن .

(٥٦) الأوغاد جمع وغد وهو الأحقق الذي الرذل ويجمع أيضاً على وغان ووغان .

(٥٧) ندب الميت عدد محاسنه . المعنى أنا واقفة هنا أعدد محاسن الذين ماتوا أو سافروا على هذه الأشجار التي

أصبحت كالأوتاد . والقصيدا من بحر الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

بذلك حركة درامية رائعة . فأخذ الحرياء دلالة على التغيير ، فهي في ذاتها تتلون وتتغير وتوحى بتغير الزمان ، كما أنها تدير عينيها مشيرة بذلك إلى دور الدهر . ويرى الشاعر طيوراً فوق الأغصان « ما بين أبيض ناصع أو أحمر مشرب بسواد » وكلها راقصة دلالة على الفرح والنشاط . ولعله يقصد بها المستعمرين الذين احتلوا مكان الوطنيين والذين يوالونهم من الأهالي ويتآمرون معهم . ثم يشاهد الشاعر أيضاً حمامة مغبرة تبدو كلون رماد . ولعله يقصد بها الوطن . فهذه الحمامة هزيلة وحزينة تلبس ثوب الحداد لما حلّ بها من المصائب ، وتغير الأحوال ، فتخبر السائل عن الحوادث ، وعن دولة الأكراد . والأوغاد ، الذين تحلّفوا بعد الدولة الأولى . وهم ذوو فحش وذوو إفساد . وقبل أن يجتم القصيدة ، يدعو الشاعر الله أن يعيد الدولة إلى أصحابها . ويشتت دولة الأوغاد .

وأعاد دولة من عهدت بهم هنا آمين وشتت دولة الأوغاد (٥٨)

ولقد استجاب الله هذا الدعاء ، وشتت دولة المستعمرين لافي نيجيريا فحسب . بل في أكثر البلاد الأفريقية والآسيوية .

ومما قيل في شكوى الزمان وما وصل إليه الناس من الفساد وانتهاك حرمة الدين هذه الأبيات (٥٩) :

قد أفسدوا الدين والدنيا جميعها ولا هم منها بقر ولا شاء
غداً تتبع عورات الخلاق من أخلاقهم حسن الأقوام أم ساعوا
الخير ما فعلوا والشر ما تركوا والرأى ما قد رأوا يا بئس آراء

(٥٨) إذا نطقت كلمة (آمين) نطقاً صحيحاً انكسر الوزن ، ولا بد أن تنطق بتقصير الكسرة الطويلة ، وإسكان النون ليستقيم الوزن .

(٥٩) ديوان قصائد الوزير ، ص ٦ وما بعدها . والقاتل لهذه الأبيات هو الوزير « الجنيذ » أيضاً .

لا ينصحون جلياً في معاشرته ظنوا التعلق نصحاً بالدهياء^(٦٠)
 يارب يارب إنا لاثنون بمن هو الملاذ إذا ما اشتد ضراء
 «محمد» كاشف الكربات سيدنا من لاذ حقاً به جاءته سراء
 هذه الآيات تكمل الصورة الأولى ، وترسم حالة الناس من الفساد الخلقى ،
 والاضطرابات نتيجة للأحوال السياسية .

واختلفت الصورة في الخمسينيات . فقد تكونت الأحزاب السياسية ، وكثر
 نشاطها ، وأشدت الصراع بينها ، وكثر الجدل والحوار ، وانهمك الناس في كل ذلك ،
 وأصبح رجال السياسة يتبعون شتى الطرق في الوصول إلى غاياتهم ، ولو أدى ذلك إلى
 مصرع الرجال من معارضيتهم . ولم يكن العلماء يلعبون دوراً فعالاً في كل ذلك ، بل
 ظل أكثرهم في زاوية منزلة ، ينكرون تلك الحوادث امتثالاً للحديث الذي يقول :
 « من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك
 أضعف الإيمان » .

ومما قيل في رسم هذه الصورة هذه الآيات^(٦١) :

هذا الزمان يحير الإنساناً جدا وعمى قلبه ولهانا
 زمن يكاد من الشدائد ينشئ عنه الشجاع الأملئ جباناً
 زمن بدا المعروف فيه منكراً والمنكر المعروف فيه باناً
 إلى أن قال :

زمن تتيه به العراة بعريهم يا قبيح من تلقى به عريانا
 يارب يا من لا إله سواه يا قهار أنت تصرف الأزمانا
 عدنى بجاه المصطفى خير الورى من قد رفعت لأجله عدنانا

(٦٠) الداهية : الأمر المنكر العظيم . يقال داهية دهياء . والآيات من بحر البسيط .

(٦١) ديوان قصائد الوزير ، ص ٦٤ وما بعدها . والقاتل لهذه الآيات هو الوزير الجنيد . والآيات من بحر

وقد بدأ يظهر في الخمسينيات شعر من بعض العلماء ، فيه تنديد بالمستعمرين
وحض الأهالي على اتحاد كلمتهم ، ورد عزهم وعز الإسلام . ويتضح في مثل هذا
الشعر روح الحماسة . مثال ذلك (٦٢) :

يا لقومي فكيف انقلب الظهر لبطن وحلَّ أمرٌ نظاما (٦٣)
هل عجزنا فقام بالجد قوم وانتقاموا (٦٤) لما مضى انتقاما
أو تركنا الطريقَ فاطلع القوم وصدّوه دوننا أعواما
أونسينا وعدَّ الإله على النصر لمن جاهد السبيل إماما
فسقانا كأس الهوان فداستْ قدم مستعمر رقابا وهاما
فاجمعوا أمركم أيا ملة الإسلام في رد عزكم وسلاما
مالنا هبةً لما قد تركنا من بنا المجيد فالتوى ليقاما
فالنّجاة النّجاة قبل فوات باقتفاء الذين أدوا ذماما
قصدنا وحدة البلاد جميعا وانفصال عن العدو انفصاما

ومن شعر الشكوى أيضاً هذه المنظومة للعالم الأديب « محمد الملقب بليم » (٦٥)
Laima ، وهو يشكو من عرق أصابه وأعقده أسابيع يقول فيها (٦٦) :

(٦٢) من أبيات للحاج « أبي بكر محمود غمي » . ديوانه المخطوط . والأبيات من بحر الخفيف .

(٦٣) لا بد من قطع همزة الوصل في (انقلب) ليستقيم الوزن .

(٦٤) صوابه : انتقموا من انتقم ينتقم بمعنى عاقب . وفي القرآن (فانتقمنا من الذين أجرموا) إلا أن ذلك لا يستقيم به الوزن ، فاضطر الشاعر إلى إشباع الفتحة فصارت ألفا . وهذا مما أجازته النقاد . ومثاله قوله عنتره .
بنياع من ذفري غُصوب جِترَة زيافة مثل الفينيق المكدّم
انظر كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة للقرن ، ص ١٢٨ .

(٦٥) « محمد ليم بن الوزير محمد البخاري » . وهو أخ للوزير « الجنيد » توفي رحمه الله .

(٦٦) أبيات التوسل ، « محمد لم » مخطوط في مكتبة الوزير « الجنيد » الخاصة والمنظومة من بحر مجزوه
الكامل .

أشكو إلى الرحمن ما في الجسم من عرق مضر
يشكو الضعيف أذى الضعيف إلى القوى المقتدر
يارب إني مذنب وإلى التجاوز مفتقر
يامن تفرد بالجلال وبالكمال المستقر
قد مسنى ماسنى مما علمت من الضرر
عفوًا وعافية معًا بمحمد خير البشر

يتوسل الناظم في هذه المنظومة بالنبي وبالأنبياء والرسل ، كما يتوسل بشيخ طريقته
الشيخ عبد القادر الجيلاني وبالشيخ عثمان بن فودي ويسأل المولى أن يعجل له بالشفاء
واليسر. وتتضمن المنظومة أدعية شاملة :

يا خالقي يا مالكي يا منقذي من كل شر
فوضت أمري كله لك فاكفني وقني الحذر
كن لي نصيرًا في الأمور خفيها أو ما ظهر
أصلح لي الدنيا التي فيها معاشي الذ سطر^(٦٧)
أصلح لي الأخرى التي هي مرجعي والمستقر

فهى كما نرى أشبه بشعر التوسل وأمثالها كثير. لا يقتصر فيها على السبب الذى من
أجله نظمت الأبيات ، ولكنه يدخل في باب واسع من التوسلات والأدعية . ولا بأس
أن نأتى بمثال آخر في هذا النوع . يقول العالم الأديب عبد القادر^(٦٨) بن محمد البخارى
على إثر مرض الحمى الذى أصابه^(٦٩) :

(٦٧) استعمل (الذ) بدل الذى وحذف بعض حروف الكلمة اضطرارًا جازئًا .

(٦٨) هو العالم عبد القادر بن الوزير محمد البخارى وهو الأخ الأكبر للوزير « الجيد » . وقد تولى منصب
الوزارة بعد وفاة والده الوزير « محمد البخارى » وتولى بعده « الجيد » .

(٦٩) قصيدة الشكر لله - لعبد القادر ، مخطوط . والمنظومة من بحر الوافر .

حمدت الله ربى إذ شفانى من الوعك الشديد وقد كفانى
مقاساة الشدائد ذاك فضل برحمته على سكران جان
وأسأله السلامة فى زمانى من البأسا وخائنة الأمان

يتضح من هذه الأمثلة من المقطوعات ، أن العلماء والأدباء فى هذه الفترة التى
نسوق الحديث عنها ، قد رسموا لنا صورة كئيبة وحزينة للحالة السياسية والاجتماعية .
وقد التجأ بعضهم إلى الله يستعطفه ويرجو منه اليسر والكشف . وهذه المقطوعات كما
رأينا تختلف فى جودتها وحسن ديباجها وتصويرها الفنى باختلاف الناظم ، وقد
لا تكون فى أكثرها فكرة جديدة أو صورة مبتكرة ، ولكننا إذا أخذنا فى الاعتبار بيئة
الناظم أو الشاعر ، ومدى ثقافته والإمكانات العلمية الموجودة لديه ، لا يسعنا إلا أن
نقدر هذه المقطوعات حق قدرها ، وخصوصاً لأنهم استطاعوا أن يسجلوا لنا
مشاعرهم ، ويرسموا لنا صوراً واضحة للحالة التى هم فيها .

وقبل أن نختم القول عن شعر الشكوى لا بد من الإشارة إلى قصيدة القاضى
عمر^(٧٠) إبراهيم التى نظمها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، التى يصف فيها
ما وصلت إليه الحال من التفكك والفساد ويشكو من ظلمها ومن الاضطرابات الكثيرة
والاختلافات السياسية الشديدة ، وخاصة بين الشرق والغرب . ومما قال فيها وهو
يصف الحرب^(٧١) :

الحرب تلو إثر ما ذهبت فتدمر الأمصار بالجمر
بالبطائرات وبالبنادق أو دبابة وبمدفع تجرى
وبواخير وبما تغوص إلى عمق البحار مثيرة الشر

(٧٠) هو القاضى « عمر بن ابراهيم بن أحمد بن الوالى عمير » تخرج من مدرسة العلوم العربية . ثم درس بها
لثة . وهو الآن قاضى فى كلونة . وهو شاعر أديب وعالم مفضل .

(٧١) ديوان القاضى « عمر إبراهيم » مخطوط . والقصيدة من بحر الكامل .

وليست هذه المظالم والمصائب مقصورة على بنى الإنسان كما يرى الشاعر . فعالم
الوحوش والطيور . بل حتى الأشجار والنباتات والحجادات كلها تعاني هذه المصائب .
ويقوم الشجار والجدال بينها كما يقوم بين بنى آدم . وفي هذا يقول :

وارجع يبصرك في الوحوش فلا تلقى سوى ذا الكرّ والفرّ (٧٢)
الذئب يفتك بالشيء إذا بالدب يكسر أعظم القدر (٧٣)
وكذلك الديك الصغير متى يلقى الكبير يناد واخسرى
والمرّ يخشى الكلب ثم ترى فأراً يفرّ مخافة المر
وكذلك الأفراخ ليس لها فرحٌ لرؤية صورة الصقر

وهكذا يستمر في هذه القصيدة وهو يصور لنا الحرب القائمة في كل شيء . حتى
بين الأمطار والتلال . وما يصيب الإنسان في هذه الدنيا من المصائب كالزلازل
والأمراض الوبائية . ويذكر المحاولات التي يقوم بها الإنسان في مجلس الأمن حيث
يلتقى الأعضاء ويفترقون « وما ذهبوا سوى شبر » وأخيراً يقدم طلبه إلى الدنيا ويقول إنه
إذا تعذر وجود ذلك الطلب . فإن الإنسان لا يجد حيلة ولا مخرجاً إلا أن يطلب
بديلها . فيهاجر إلى القمر أو إلى المريخ يقول في ذلك :

الأمنُ والسلمُ السلام هو الـ مطلوب نشد بنيك في الدهر (٧٤)
فإذا تعذّر لا تريدك بل نرجو بديلك فاقبل عذرى
ولا شك أن هذه القصيدة جيدة . فقد نجح الشاعر في تصوير الحالة آنذاك ،
وأضاف إلى الحالة الواقعية أطرافاً من الخيال . واستعمل ألفاظاً سهلة وأتى بمعان
رائعة .

(٧٢) لا يستقيم هذا البيت إلا بمخالفة لغوية وهي إسكان الصاد من (ببصرك) .

(٧٣) القدر : المسن من الوعول .

(٧٤) نشد بنيك أى ضالة بنيك بطلونها . ويقال نشد الضالة أى طلبها وسأل عنها .

الغزل :

لم يكن فن الغزل في القرن التاسع عشر . فناً مطروقاً لدى العلماء والأدباء في نيجيريا . إلا في نطاق محدود جداً . والقليل الذى نظم ليس إلا محاكاة لهذا الفن . لا قصداً للغزل . فلذلك يظهر عليه أثر الصنعة والتكلف . كما سبق أن ذكرنا ذلك . ولكن الحالة تغيرت بعض الشيء في القرن العشرين . بدأ فن الغزل في صورته الحقيقية المعروفة في ميدان الأدب . وبدأ الأدباء يتغزلون . لاحقاً في محاكاة الشعر الغزلى ولا تقليداً للشعراء الغزليين . بل استجابة لوجدانهم الشعرى وحباً لتسجيل تجاربهم الحقيقية .

نظم الأديب عمر إبراهيم قصيدة سماها « الكون موات لولا الحب » تحتوى على ستة وستين بيتاً . وجاءت في شكل موشحة . في رقة ألفاظها . وعضوبة موسيقاها . ونظام أبياتها . افتتح الشاعر القصيدة بمطلع يقول فيه (٧٥) :

يا حبيبي يا حبيبي أصغ سمعاً للحبيب
ثم شرع يقول :

هل أتاكَ اليومَ أنى صرتُ عظاماً في الشَّعَارِ (٧٦)
ذهب اللحمُ بخاراً صاعداً من حر نار
مانلاً فوقى سحاباً لا أرى ضوءَ النهار
وهو لا ينزل مطراً أو يراك بجوارى (٧٧)

(٧٥) أتى الشاعر بإحدى عشرة مجموعة شعرية كل مجموعة تحتوى على خمسة أبيات تنتهى بقافية واحدة خلا البيت الخامس الذى تطابق قافيته قافية المطلع ، وهكذا إلى آخر القصيدة . ديوان « عمر إبراهيم » ، ص ٧٠ وما بعدها والقصيدة من بحر مجزوء الرمل .

(٧٦) الشعار ماولى جسد الإنسان دون ما سواه من الشيا .

(٧٧) لا بد من نطق كلمة (مطراً) في هذا البيت ساكنة العطاء حتى يستقيم الوزن .

يا حبيبي يا حبيبي هل تبالي بنحبي (٧٨)

يرسم الشاعر لنا صورته ، ولم يبق فيه إلا هيكل عظمي ملتف في ثياب . برح الشوق به ، وحر كبده حتى وصلت الحرارة إلى درجة الغليان فأذهبت لحمه بخاراً وصعد فوقه كالسحاب فحجبت عنه الشمس فلا يرى لأجله ضوء النهار . وأنى السحاب أن ينزل مطراً حتى يرى محبوبه الهيكل بجواره . وعندئذ ينزل مطراً فيطفى نار الشوق ويرجع البخار المتراكم إلى الهيكل ويصير لحمًا كما هو . فهذه صورة تثير شفقة القارئ على هذا العاشق الملتاع . ويتمنى القارئ أن تستعجل المحبوبة وتنقذ الهيكل لكيلا يذهب الحر بما تبقى من العظام . فينبغي العاشق « لاشيء » . أو غير شئ على حد تعبيره :

إن يطل صدك عني يُذهب الحرَّ عظامي
أخستني عنك ولا تسد مع من بعد كلامي
إن تشأ ذلك . وأخشي علَّ تُرمي بلامي (٧٩)
لو ينادي (غير شيء) قلت أنعم بسلام (٨٠)

ويتضح جلياً تأثر الشاعر في هذه القصيدة بالدين . واقتباس بعض صورته التي رسمها منه . فمثلاً نرى فيما بعد . حيناً ابتسمت حبيته له . وظن أنه سيجد ما يتغنى منها . وهي الزيارة . ولقد بان ثغرها حتى أثار ما حوله وبدا له كأنه يدخل الجنة . فرأى باب السلام . وشاهد رضوان صاحب الجنة . كأنه على وشك أن يفتح له

(٧٨) غب الباكي : أعلن البكاء .

(٧٩) يقول إذا شاء حبيبه أن يذهب كله ، فله ذلك لأنه يملكه ، ولكنه يخشى أن يلوم الناس حبيبه هذا في

إذهابه إياه .

(٨٠) ولو أمكنه أن يتكلم وهو غير شيء بعد أن ذهب كله لقال لا لوم عليك يا أيها الحبيب أنعم بسلام .

الباب ، ثم خاب ظنه فأصبح كآدم مطروداً من الجنة وهو لم يذق الشجرة كما ذاقها آدم . يقول :

كنت أرجو الزور لمأ بان ثغرٌ لابتسام
ورأيت النور حولي قربه بابُ السلام
ذلك الرضوان يأتي فأنحأ بابَ مرامى
فإذا بي صرت آدم آه ! لا شجر أمامى

يا حبيبي يا حبيبي جئت بالأمر العجيب

وفي القصيدة صور دينية أخرى ، وألفاظ وتعابير قرآنية . وكل هذا يدل على التأثر الديني الذي يظهر كثيراً في الأدب النيجيري لأسباب سبق ذكرها (٨١) .

ويظهر ذلك التأثر الديني تقريباً في كل مقطوعات هذا الشاعر الغزلية . يقول في

منظومة سماها « صوت الوتين » (٨٢) :

ألا أبلغن يا شعرُ عنى تحيةً إلى القصرِ قصرِ الخُلِّ قد حُجزَ القدم
إلى ملكِ الحسنِ الكبيرِ تحيى تكاد تفوق المسكُ إن رامها الشَّم
تسلتُ بها نفسى لبعلكَ أنه يحلُّ لبعده الخُلِّ في خله سقم
فجسى صحراءِ كمصرٍ وأنت لى كليل بها إن صافح النيلُ والنعيم
وأسأل ربى أن يكون لقاؤنا بأقرب من ردِّ الجوابِ به أنمو
كذلك ذى الدنيا فيومٍ حلوة وفي الغد عكسُ ساء من ذوقه الطعم
ولكنه اليسران والعسرُ واحد كما جاء في التتريل ليس به كم (٨٣)

(٨١) انظر صفحة ١٢٣ وما بعدها .

(٨٢) الوتين هو الشريان الذى يغذى جسم الإنسان بالدم النقى الخارج من القلب والقصيدة من بحر الطويل .

(٨٣) إشارة إلى قوله تعالى (لإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً) الشرح ، آية ٦ .

وقد نجد في بعض الغزل النيجيري أن الشاعر أو الناظم لا يخرج عن الطريقة التقليدية القديمة ، فيشبه حبيته بالظبية والمها إلى غير ذلك . ويستعمل ألفاظاً أكثر ترديداً في أفواه الشعراء القدامى ، ونجد هذا خصوصاً عندما يكون الناظم متكلفاً ومحاكياً للقديما ، فلا يستطيع أن يتخلص من معاني القديما وتشبيهاهم وأوصافهم . ولعل بعض هذه الخصائص تظهر في هذه الأبيات التالية^(٨٤) :

ظبية	بل	مها	راحة	الشارب	جيدها	لحظها	ظلمها	الشاهد ^(٨٥)
باسم	أحمص	أحذب	خاضب	ثغرها	بطنها	الأنف	والساعد	
فاحم	ناعس	مقمر	لاهب	شعرها	جنها	وجهها	الواعد	
بانة	زهرة	أبهر	اللاعب	ساقها	لونها	ريحها	القائد	
لين	أبيض	مفعم	كاعب	جسمها	جلدها	ثديها	الناهد ^(٨٦)	

ولا ينبغي أن ما نظم في الغزل في هذه الفترة ، لافحش فيه ولا غلو ، وإنما هو عبارة عن إظهار شوق العاشق إلى حبيته ، وذكر الألم الذي يقاسمه لدلال الحبيبة . وعدم مطاوعتها له . وقد يذكر الشاعر بعض أوصاف حبيته ، ولكن بدون أن يستعرض تفصيلاً ، كما رأينا في هذه القصيدة الأخيرة .

شعر المناسبات القومية والاجتماعية :

وقد تأتي مناسبة من المناسبات ، إما شخصية ، أو قومية ، أو دولية فتثير مشاعر

(٨٤) ديوان الحاج أبي بكر غمى - مخطوط .

(٨٥) الظلم : ماء الأستان ويريقها .

(٨٦) من الواضح أن هذه القصيدة مصوغة بطريقة جديدة التزم فيها الشاعر قائلين ، أحدهما آخر الشطر الأول ، والثانية آخر الشطر الثاني كما أنه سلك فيها طريقة اللف والنثر المرتب ، ففي البيت الأول ذكر ثلاثة أشياء هي الظبية والمها وراحة الشارب قبلها بثلاث أشياء يعود أولها للظبية وثانيها للمها وثالثها لراحة الشارب وهي الجيد والملاحظ والظلم . والقصيدة من بحر المتدارك .

العالم أو الأديب المنظم . وقد يجد الناظم نفسه مضطراً أن ينظم ، كما إذا أهداه أمير بيتاً أوفرساً ، أو نحو ذلك من الهدايا اليمية . ولا يخلو مثل هذا النظم من تكلف ، لأن الناظم في أكثر الأحيان مقيد بقيود لا يستطيع التخلص منها ، فلا يطلق عنان شاعريته ليحرق في ميدان خياله . وكل ما نستطيع أن نجده في مثل هذا النظم ، هو تسجيل لتاريخ تلك المناسبة ، ونرى فيه مقدرة الناظم في تليق الألفاظ والتعابير .

وحيثما تولى الحسن بن معاذ منصب سلطان سكتو في سنة ١٩٣١ م نظم العالم عبد القادر^(٨٧) مشطو Maccido منظومة يقول فيها^(٨٨) :

ثناء وحمد لمن عمنا بآلائه وأزال الفساد
 فولى علينا اللبيب الأريب سليل الكرام النجيب النجيد
 نظرتُ إليه ونفسي تقول وقد حقق الله منى المراد
 أهذا الخليفة وابن الخليفة حسن حسن سادنا وأجادا^(٨٩)

ومما قيل في التهنئة هذه المنظومة للحاج أبي بكر غمى ، يهني الحاج محمد السنوسى شروما Ciroma (لما كان ولي العهد) ، بعد رجوعه من الحج في شهر أغسطس سنة ١٩٥٣ م^(٩٠) .

غادرتنا نبكى فراقك مالنا حتى تعود ، تبسم وسرور
 يا ضعفنا يوم الوداع بياكم والناس صرعى كلهم مأسور
 حتى عزمتم فنههم متلفت ومشيع ومعوول وصبور

(٨٧) هو عبد القادر بن الوزير محمد البخارى تقدمت ترجمته . انظر ص ١٩٨
 (٨٨) تهنة السلطان الحسن ، عبد القادر مشطو ، مخطوط في مكتبة الوزير الخاصة .
 (٨٩) والأبيات من بحر المتقارب فعولن فعولن فعولن .
 (٩٠) ديوان الحاج أبي بكر غمى ، مخطوط .

وفيها يقول إن الشرق كان يشرق عندما اتجه السنوسي تجاهه وترك الغرب وهو يشرق « إذ هو المهجور » ، ويذكر أن الأفق والطير كلها سرت لما جاورها السنوسي ، وهو يطير في سفينة الهواء إلى الأراضي المقدسة ، وإن أهل مكة كذلك سرّوا بقدمه وأرخوا به . يقول (٩١) :

الشرق يُشرق	ماقصدت	تجاهه	والغرب يشرق ^(٩٢)	إذ هو المهجور
والأفقُ سرَّ	بما مررت	وطيره	والأرضُ تسمى	للحواء تغير
حتى نزلت	أمام ريك	شاكراً	فيا حباك	ونخصك المشكور
ليبت	دعوته	وأنت مهلل	متضرّع	متجرّد محسور
أديت	واجهه	بأحسن حالة	أبشر	بدينك إنه مأجور
سكان مكة	أرخوا	بقدمكم	إذ فاز	منك شريفهم وفقير
وقصدت	خير العالمين	بطية	مع صاحبيه	وعمك التنوير
ردّوا السلام	عليك حين	بدأتهم	ودعوا لكم	والحافظون ظهير

وعندما هبط أول إنسان على سطح القمر في يوليو سنة ١٩٦٩ م أراد الأديب « عمر إبراهيم » أن يسجل ذلك الحادث التاريخي ، ولم لا وهو أعظم إنجاز « تكنولوجي » وصل إليه الإنسان إلى الآن . يقول الشاعر في مقدمة هذه المنظومة

« هذه القصيدة قبلت أكروستيكياً Acrostically فإن الحروف الأولى لأبياتها تعطيك كلمات نيل أومسترنغ Neil Armstrong وأدوين ألدرين Edwin Aldrin وميكائيل كوللينس Michael Collins من « عمر إبراهيم » ، ولتعدر الابتداء بالألف علامة المد فإنها تقلب همزة » يقول في مطلعها (٩٣) :

(٩١) المصدر نفسه ، والمنظومة من بحر الكامل متفاعلاً متفاعلاً متفاعلاً .

(٩٢) أشرق يشرق بمعنى أضواء وأثار . ويشرق بمعنى يحمر ، يقال شرق لونه إذا أحمر .

(٩٣) ديوان « عمر إبراهيم » ، ص ١٠ وما بعدها .

نزلتَ نزلتَ بسطح القمر وفيت لـ «جون»^(٩٤) وعدّه المتظر
يليق بنا أن نقوم احتراماً لحق الجليد جليل القدر^(٩٥)
لنيل شرف يالها من شرف فباه بحق به وافتخر
إليك إليك نزيل القمر يسوق التحياتِ شوقاً «عمر»
رفعتَ بلادك رفماً عظيماً وفي تحتها قرٌ استقر
مددت كما قلت خطأً قصيراً ولكنه وثبُ جنس البشر..

وعلاوة على تسجيل هذه الحادثة التاريخية ، فإن الشاعر وصف لنا شعوره نحو
الحالة الاجتماعية ، وقلقه وعدم اطمئنانه لها في تلك الآونة ، حتى أنه يطلب من رواد
الفضاء ، أن يخصصوا له قطعة قرية هناك ، فيهاجر إليها ، لأن الحياة على الكرة
الأرضية مملّة لكثرة ما فيها من النفاق والشر ، وما إلى ذلك . يقول^(٩٦) :

عرضت عليكم بأن تأخذوا لشاعركم قطعة يعتمر^(٩٧)
ملتت المقام بهذا المقام مقام النفاق وحقد وشر
رمى المالُ بالسّم جلّ العقول فكاد يبيت جميعَ البشر
أباحوا القبيح لعشق النقود وضحووا بكل جميل وبر

واختتم القطعة بقوله :

مناى إذًا أن أرى في القمر مقراً بصير مقراً عمر

(٩٤) وهو «جون كينيدي» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حينذاك ، وهو الذي أنبأ العالم بأن أمريكا
سترسل إنساناً إلى القمر قبل سنة ١٩٧٠ م .

(٩٥) لا يستقيم الوزن والقافية إلا بتحريك المال من (القدر) مع أن المقصود به هنا المترلة ، وتحريكها بغير
معناها .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٩٧) يحتمر أى يقصدها . والقصيدا من بحر المتحارب .

فع ما يظهر في هذه المنظومة من آثار التكلف ، فإن الشاعر قد أصاب في صوغ بعض الأبيات اللطيفة ، وخاصة هذه الأبيات المذكورة في آخر القطعة التي تصور شعوره نحو الحالة الاجتماعية ، وتصور الفساد الديني والحلّقي من جميع نواحيه الفردية والاجتماعية .

الشعر التعليمي :

ظل الشعر التعليمي النيجيري في هذه الفترة ، كما كان في القرن الماضي ، بدون تغيير كثير ، واستمر العلماء والفقهاء ومشايخ الطرق يتسابقون في هذا الميدان ويتجون . كل حسب تخصصه العلمي ، وميله الفني . وقلما يخرج ذلك الإنتاج ، عن دائرة الفقه ، أو الحديث ، أو التوحيد ، أو النحو ، أو التصوف والوعظ والإرشاد . ونستطيع أن نقول إن ما ينتجه العلماء والفقهاء وأصحاب الطرق في هذا الميدان وفي فترتنا هذه أقل مما كانوا ينتجون في القرن الماضي . والسبب في ذلك يرجع إلى أن الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية ، كانت تتطلب ذلك الإنتاج في القرن الماضي . وكان من الواجب على العلماء والقادة أن ينشطوا لنظم القصائد والأراجيز ، لينشروا الدين وليقوموا بالدعاية للدولة الإسلامية . وكانت الكتب والمطبوعات شحيحة لا يستطيع الحصول عليها إلا القليل من الناس . وأما في زمننا هذا فقد كثرت الكتب المطبوعة ، وخصوصا الكتب والرسائل الدينية المبسطة ، ومن السهل لدى طلبة العلم والتلاميذ والشعب بعامة الحصول عليها . فلا يجد العالم نفسه مضطراً لنظم أرجوزة يسط فيها لتلاميذه ما تحتوى عليه أمهات الكتب الفقهية والعلمية ، من العبادات والأحكام .

وهناك سبب آخر ، وهو ظهور كتيبات دينية كثيرة مكتوبة باللغات المحلية ، وخاصة بلغة (الهوسا) ، فهذه لا تحتاج إلى مدرس ، وهي في الغالب عبارة عن ترجمة

لبعض الكتب الدينية التي ألّفت إما في نيجيريا أو في غيرها من البلاد الإسلامية (٩٨).
وإذا صح القول بأن درجة الإنتاج في الشعر التعليمي عامة ، قد قلت في الكم في
هذه الفترة التي نسوق الحديث عنها ، فلا يصح أن يقال ذلك في الشعر الذي يمكن
تسميته بالشعر الصوفي . فقد كثُر الإنتاج فيه الآن . ويرجع ذلك إلى أسباب :
أولها : كان الشيخ عثمان بن فودي ، وكثير من أتباعه في (سكتو) وفي غيرها من
الولايات الأخرى ، يتمسكون في القرن الماضي بالطريقة القادرية . فكانت إذن تتمتع
بالمركز الرئيسي بدون منافسة إذ أن الطريقة التجانية لم تنتشر بعد .

ثانيها : لم تكن الطريقة مكونة كحزب مستقل بقياداتها وأتباعها ومواليها ، كما
أصبح الأمر في القرن العشرين . ولم يكن لمشايخ الطريقة إذ ذاك أي ميزة تميزهم من
غيرهم من العلماء الآخرين . فالعلماء هم أصحاب الطرق وهم رجال اللولة .
ثالثها : لم تكن المواصلات سهلة ، كما هي الآن ، بين كبار مشايخ هذه الطريقة ،
وبين إخوانهم من الذين يتمسكون بالطريقة في البلاد الأخرى .

وأما في هذا القرن فقد أصبح للطرق الصوفية وضع خاص في نيجيريا . وقد بدأ
ذلك في العشرينيات ، حينما بدأت الطائفة التجانية تنتشر . ومما ساعد على انتشارها في
ذلك الزمن عاملان مهمان :

الأول : بدء سلسلة من الزيارات التي قام - ولا يزال يقوم - بها عدد من مشايخ
الطريقة إلى نيجيريا من الشرق والغرب ، وخاصة من مالي والسنغال . وهذه الزيارات
تكونت رابطة وثيقة ، بين مشايخ الطريقة في نيجيريا ، وإخوانهم في البلاد الإسلامية
الأخرى . وكلما زار شيخ من المشايخ نيجيريا التف حوله جمع غفير من المشايخ
ومريديهم . وأصبح لتلك الزيارات تأثير كبير .

(٩٨) مثال ذلك سلسلة Ibada da Hukunci (العبادات والأحكام) التي ألّفها الأستاذة خضرينجي ،

وكيل قاضي قضاة نيجيريا الشمالية .

والثاني : تلك الرعاية الأبوية التي كانت تتمتع بها الطريقة التجانية من أميركنو المتوفى الحاج عبد الله بايروا ، وولده الأمير محمد السنوسي .

وعندما بدأت الطريقة التجانية تنافس أختها القادرية بدأ الخلاف بين أصحاب الطريقتين من جانب ، وبينهم وبين غيرهم من الذين لا يتمسكون بأى منها من جانب آخر . وهذا الخلاف أنتج لنا مقالات ومنظومات ومنشورات كثيرة^(٩٩) . كل فرقة من الفرق تبث آراءها وتنفذ غيرها . وهذه المنظومات والمنشورات تدرس في الزوايا والحلقات . وبعضها تحفظ وتنشد في المناسبات والحفلات الدينية .

ولنأخذ الآن بعض أمثلة للشعر التعليمي ، نظم العالم « عبد القادر^(١٠٠) بن الوزير محمد البخارى » قصيدة في التوحيد . يقول فيها^(١٠١) :

حمداً لمن رفع السماء بقدره	عمتْ جميعَ الكائنات تعلقا
يارب صل على النبي المصطفى	أبدأ وأصحابٍ له أهلٍ التقي
ومرادنا إن شاء ربي نظمنا	شيئاً من التوحيد خذ متشوقا
ومن الصفات الواجبات لربنا	عشرون فافهم ما أقول وحقاً
وهي الوجود بقاؤه وكذا القدم	منها مخالفة الحوادث مطلقا
وقيامة بالنفس وحدانية	نفسية سلبية يا مرتقنا

(٩٩) أكثر هذه المنظومات والمنشورات تطبع بالآلة الكاتبة وتباع للمريدين وبعضها تطبع . مثال ذلك مجموع أربع كتب للشيخ « أبى بكر عتيق التجانى » والفحات الناصرية في الطريقة القادرية للشيخ محمد الناصركبر القادري والعيقة الصحيحة لقاضى القضاة الحاج « أبى بكر محمود غمى » والمنح الحميدة في الرد على فاسد العقيدة للشيخ محمد الثانى الكافى التجانى وأمثالها .

(١٠٠) تقدمت ترجمته . انظر صفحة ١٩٨ .

(١٠١) قصيدة التوحيد ، للعالم « عبد القادر محمد البخارى » مخطوط بمكتبة الوزير الخاصة . والقصيدة من بحر الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

فهذه القصيدة كما ترى لا تختلف عن غيرها من المنظومات التعليمية التي كانت تنظم قبل ذلك في نيجيريا وفي غيرها للدرس والحفظ ، ويظهر هنا أن الناظم في هذه القصيدة ، قد التزم قافية واحدة ، مع أن طبيعة هذا النظم في الغالب لا تتحمل قافية واحدة . وقد تكون المنظومة طويلة حتى تصبح كتابا كاملا يعالج فيه الناظم مسائل دينية أو تاريخية . مثال ذلك هذه المنظومة التي يفتتحها الناظم بما يلي (١٠٢) :

يقول مبتغى الرضا الجنيْدُ من ربه أعانه المجدُّ
لله حمدٌ أولاَ وآخرًا على الدوام باطنًا وظاهرا
يخص من شاء بما يشاء سبحانه في يده القضاء
ثم صلواته على النبي ذى المعجزات الأرفع الزكى
وآله وصحبه الكرام ماتبع المأموم للإمام

ثم شرع في ذكر تاريخ الشيخ « عثمان بن فودي » - نسبة ونشأته وكراماته وما قام به من حركته الإصلاحية . يقول (١٠٣) :

نذكر من خصاله الحميدة وحاله المرضية السعيدة
وزهده من الدنا الدنية إعلاؤه للسنة السنية
وكشفه اللبس على الدوام يهدى إلى مهابع (١٠٤) السلام
جزاه رب العرش بالرضوان ونظرة إليه في الجنان

وهكذا استمر الناظم إلى آخر المنظومة ، ثم اختتمها كما افتتحها بالحمد والصلوة على النبي كما هو المعتاد في مثل هذه المنظومات ، يقول :

(١٠٢) الوزير الجنيْد ، روائع الأزهار من روض الجنان ، ص ١ وما بعدها ، مخطوط .

(١٠٣) المصدر السابق .

(١٠٤) مهابع جمع مهيج . وهو الطريق بين . والقصيدة من بحر الرجز .

الحمد لله ونظمي تم فهاك ما أمكن يا ابن أم
 ثم صلته على الرسول ذى المعجزات صاحب القبول
 وآله وصحبه مع السلام وقفنا الله بأحسن الختام

شعر الدعوات والتوسلات :

ومن العلماء من ينظم شعراً فى الدعوات والتوسلات ليتوسل به إلى مولاه . فإذا كان من مشايخ الطرق الصوفية ، تداول هذا النظم بين مرديه وأنشده فى حلقات ذكرهم . وإذا لم يكن منهم تداول بين طلبته . وقد ينظم بعضهم ديواناً كاملاً فى هذا الفن ، كما فعل الوزير « الجنيد » ، ومنظوماته التوسلية من أحسن ما نظم فى نيجيريا فى هذا الميدان . ويحتوى هذا الديوان على كثير من منظومات رائعة . ولتأخذ على سبيل المثال هذه الأبيات من هذا الديوان . يقول (١٠٥) :

يا ربنا أنت المعينُ فأعلن عبيدك يا معين
 أنت القوى فقوى فى كل أمر يا متين
 واجبر لكسرى واحمنى يا خالى مما يشين
 أنت المعز لمن تشاء فأعزنى بك أستعين
 يارب أيدنى بروح منك والفتح المبين
 يارب أدخلنى بفضل منك فى الحصن الحصين (١٠٦)

ويقول أيضاً (١٠٧) :

أشكو إلى الله ربى من سوء جور زمانى
 قد كنتُ فيما تقدم أمرٌ فوق حصانى

(١٠٥) الوزير الجنيد ، مجموع الدعوات والتوسلات ، مخطوط .

(١٠٦) والقصيدة من بحر مجزوء الكامل .

(١٠٧) المصدر نفسه . والقصيدة من بحر الجثث .

فَالآنَ	ها	أنا	أمشي	تقلُّى	القدمان
الحفُّ	صار	ركوبى	تدوسه	الرجلان	
أجول	في	كل	يوم	وضرنى	جولانى
أبيت	تعبان	ليلى	لكثرة	السدوران	
يا	رب	يسر	أمورى	وفرَّجَنَ	ما دهانى
والطف	بعبدك	واكشف	همى	بـغـير	توان
بجاه	خير	البرايـبا	المختار	من	عدنان
عليه	صل	صلاة	تدوم	دوم	الزمان
وآله	ثم	سلم	ما	نور	القمران

ولا يخفى ما لهذه المنظومة من جمال في الألفاظ ، وعضوبة في الموسيقى . فالفاظها كلها سهلة لا غرابة فيها ، ومعانيها ظاهرة لا تعقيد فيها . ويستطيع كل إنسان أن يفهمها في سهولة ويسر .

شعر الدعابة :

وقد نجد في بعض الأحيان قليلا من الشعر العربى النيجيرى فيه نوع من الدعابة والمزاح . كان في مدرسة العلوم العربية بكنو في الأربعينيات ثلاثة من الطلبة النجباء الأذكياء ، وكانوا أصحاباً . وكانوا يسمون بعضهم البعض بأسماء هزلية وهى الفيل والدب والثعلب . فنظم الثعلب أبياتاً يسجل فيها ما حدث للقطار من تأخر ، عندما ساءه الحظ ، وحمل على متنه الفيل ، وهو قادم إلى المدرسة بعد أن قضى إجازته مع أهله في قريته . لقد أثقل الفيل القطار وأبطأه ، حتى خالف ميعاده المعتاد . يقول في ذلك (١٠٨) :

(١٠٨) الشاعر هو القاضى عمر إبراهيم وقد تخرج من المدرسة في سنة ١٩٤٣ ، انظر ديوانه المخطوط .

وفيلي خالف الفيل إذا وزنوه أوكالوا
فنون الفيل في الكيل ووزنا دونه الفيل
ولو وزنوه بالماء كقتل الأطلسي قالوا (١٠٩)
وداعى الثقل أشياء حواها البطن لا الذيل
وإني لست أعرفها لهذا السر أشكال
تعال يادب أخبرني فإني اليوم سأل
فإنك دب فهام فصيح اللفظ مقال

وكان الثعلب يرجو أن يشرح له الدب السرفى ذلك الثقل ، وبين له تلك الأشياء

الثقيلة التي (حواها البطن لا الذيل) ، ولكن الدب أي :

فحرك ذيله وجرى كمن أفزعه الشبل
وقال فلا أبيينها في للخوف مغلول
جبان أنت يادب لماذا أنت مختال (١١٠)

ويتضح من النماذج المذكورة أن العلماء والشعراء في نيجيريا ، قد طرقتوا أبواباً
شتى من فنون الشعر. وكان الدافع الرئيسي الذي دفعهم إلى تعلم اللغة العربية
وإتقانها ، هو الدين وحبهم الشديد للانتماء إلى هذه اللغة المقدسة ، كما شرحنا ذلك
سابقاً. وقد تأثر العلماء والشعراء النيجيريون بالشعر الجاهلي ، والشعر التعليمي ، لأنه
الذي وصل إليهم ، تأثروا بمنهجه وأسلوبه ولغته كما رأينا. وقد وقع بعضهم في
الضرورات الشعرية التي أجازها النحاة ونقاد الشعر القدماء ، كما أن بعضهم جاوز الحد
الذي وضعه النحاة والنقاد ، فاضطروا إلى استعمال لفظ مكان غيره أو تعبير على غير

(١٠٩) إشارة إلى أن علماء الكيمياء يزنون الأشياء بالماء. فإذا وزنا ذلك الفيل به يكون ثقله كقتل المحيط

الأطلسي.

(١١٠) الأبيات من بحر مجزوه الوافر. والقافية والوزن في هذه الأبيات مضطربان.

بابه ، فوقعوا في الخطأ . ولعلمهم بأحوال أنفسهم ارتكاب تلك الأخطاء ، لأنهم يظنون أن للشاعر أو الناظم حرية مطلقة في ذلك . وقد يقع ذلك منهم عن غير قصد . ومع أن نقاد الشعر والنحاة قد أجازوا بعض الاستعمالات المخالفة للقواعد والقوانين النحوية والصرفية عند الضرورة ، فإنهم لم يتركوا ذلك لحرية الشاعر ، ولكنهم وضعوا لذلك قواعد ، وطلبوا من الشعراء أن يتجنبوا تلك الضرورات . وقد أشار محمد حاسة عبد اللطيف إلى هذه النقطة حيث يقول : لقد كان وصف النحاة لهذه الاستعمالات بأنها « ضرورة » - في حد ذاته - داعية لنفرة الشعراء من ارتكاب مثله ، لما يشعر به من الإلجاء والاحتياج ، وعدم القدرة على تصريف القول ، مع أن النحاة أجازوها للشعراء في حدود عدم اللحن ، لأن الضرورة لا تجوز للحن كما يقول المبرد ، لكنه مع إجازة كثير من النحاة هذه الاستعمالات للشعراء ، فإنهم رأوا أنه يجب أن يخرج عن دائرة الاحتجاج ، لأن ما يأتي في الضرورة ، لا يأتي في اختيار الكلام ، والضرورة لا يقاس عليها ، وما يأتي لضرورة شعر ، أو إقامة وزن ، أو قافية ، فلا حجة فيه ^(١١١) ، وعلى هذا فالذي يجب على الشاعر ، هو أن يتجنب ارتكاب الضرورات ما أمكن ، كما ذهب إليه ابن « طباطبا » حيث يقول : « فينبغي للشاعر في عصرنا ، ألا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها ، وأمر بالتحرز منها ، ونهى عن استعمال نظائرها ، ولا يضع في نفسه ، أن الشعر موضع اضطرار ، وأنه يسلك سبيل من كان قبله ، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها . فليس يقتدى بالمسيء وإنما الاقتداء بالمحسن ^(١١٢) .

(١١١) انظر محمد حاسة عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية في النحو العربي ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، ص ٥٢٣ إلى ٥٢٤ .

(١١٢) ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، ص ٩ ، انظر أيضاً الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق محمد شاكر ١/٨٨ .

الفصل السابع

النثر

ذكرنا فيما سبق أن الإنتاج الأدبي ، عامة في هذه الفترة ، وخاصة في العقدين الأولين منها ، لا يختلف عنه في الفترة السابقة . ولم تدخل بعض التجديدات في الإنتاج إلا في الثلاثينيات . ولقد شاهدت هذه الفترة كثرة العلماء والأدباء ، وانتشار اللغة العربية في المدارس الحديثة والزوايا التقليدية ، وكثر من يستطيع التحدث باللغة العربية الفصحى من متخرجي مدرسة العلوم العربية ، والذين تأثروا بهم واقتنوا آثارهم من العلماء وطلبة العلم . والذي يتوقع هو أن يكثر الإنتاج الأدبي والعلمي ، لكثرة من يستطيع الخوض في هذا الميدان . ولكن الأمر كان على عكس ذلك . فقد قل الإنتاج نسبياً عما كان عليه في القرن الماضي ، للأسباب المذكورة سابقاً^(١) ، ولتغير الوضع الاجتماعي والسياسي في نيجيريا . ولنتظر الآن إلى ما وصل إليه النثر العلمي والديواني والأدبي في الفترة التي نسوق الحديث عنها . ونبدأ بالنثر العلمي :

النثر العلمي :

ودراسة الإنتاج القليل الذي بأيدينا منه يلقي ضوءاً على تطوره ، وما دخل فيه من التجديدات في أسلوبه ومنهجه في هذه الفترة .
ونعرض الآن أربعة نماذج يظهر فيها ذلك التطور المذكور ، ثم نعلق على كل منها .

(١) انظر صفحة ١٧٥ وما بعدها .

النموذج الأول (٢) :

« . . . وإنه فارس شجاع يعرفه أهل كنو ، ويصفونه بالشجاعة البالغة . وكان يخرج بياب داره يجلس تحت شجرة هناك للشريعة إلى نحو نصف النهار . ثم بعد العصر يخرج إلى مربط الجياد يجلس هناك إلى قرب الغروب . وكان يزور مقبرة الأولياء . ولقد ركب مرة وقت العصر فزار قبر الشيخ محمد المحمود في جبانة بلوقيا (٣) وأنا في جملة الناس عند ذلك . ولما هاج فتنة السراق « بكنو » ، صار يجول بنفسه في الليل . ولقد جاهد في دفع أعدائه جداً » .

النموذج الثاني (٤) :

« . . . فهذه رسالة جمعتها نصيحة لنفسي ولمن انتصح بها من المسلمين وسميتها : (تنبيه الإخوان بنصوص الأعيان في تحريم الدخان) جمعت فيها أقوال العلماء والعارفين ، الذين يعتمد على أقوالهم ، وخصوصا خاتم أهل الولاية الكبرى ، قطب الأقطاب سيدى « أحمد بن محمد التجانى » ، رضى الله عنه وعنا ، به آمين ، وأقدم على هذه الرسالة خطبة بليغة للشيخ « محمود محمد خطاب السبكي » أحد علماء الجامع الأزهر في كتابه المسمى (هداية الأمة المحمدية ، في الحكم المحمدية السنوية) فجزاه الله عنا خيراً في هذه النصيحة . فإنه جمع في كتابه هذا ما يفرح به قلوب المؤمنين الذين يتبعون سنة سيد المرسلين ، ويحزن به المتدعين الذين ليس لهم همة إلا اتباع إبليس اللعين ، نعوذ بالله من اتباع البدع بجاه سيد المرسلين ، آمين » .

(٢) من كتاب الإعلان بتاريخ « كنولآدم بن محمد القندكى » ، ص ٢٩ مخطوط في مكتبة الدكتور محمد

الحاج ، الخاصة .

(٣) اسم مكان خارج حصن « كنو » يلفن فيه الموق .

(٤) مجموع أربع كتب للشيخ « أبى بكر عتيق » ص ١٦٩ .

الفردج الثالث^(٥) :

« ولغة أهل السودان أشهرها العربية وهى اللغة الغالبة ، وليس فى السودان لغة تكتب غيرها . وهم يتكلمون بلهجة حسنة تختلف قليلا عن لهجتي مصر والشام ، ولكنهم يلفظون أحرفهم كأهل الشام فيلفظون بالجيم خفيفة ، والذال زائياً والثاء تاء أو سيناً إلا القاف فإنهم يلفظونها كالجيم المصرية . ويتكلمون بالإنجليزية ، مظهرين الرء مثلاً يقولون : (غود مرتنج ، وهاو عاريو) . وهم أحسن الناس خلقاً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرهم شها ببعضهم . مجبولون على التوادد إلى الناس ، وحب الضيوف ، حتى كأن الضيف أحب إليهم من أنفسهم . وإذا فعلوا لك شيئاً سألوك فقالوا لك : كويس ؟ بمعنى جميل ؟ ولا يجبون أن يرى أحد ما يكره منهم أو فى أرضهم » .

الفردج الرابع^(٦) :

« والأساطير - فهى الأفاصيص التى يروونها على السنة الحيوان . وأشهرها عند (البرباوبين) ما يعزونها إلى السلحفاة والأسود والأفيال . وتكون أهدافها تلقين العوام الحكم والآداب الخلقية ، مثال ذلك ما يحكى أن الوحوش فيما عبر من الزمان ، اتفقوا على اختيار الأسد ملكاً عليهم . وبعد أن تمت مراسم التولية ، مضى الأسد فى الغابات والآجام يمتدح نفسه ويقول : « أنا ملك الملوك ، يهابني الناس والحيوانات ، ولا يقف أحد أمام بطشى وقوتى وفتكى . فر فى هذه الأثناء بصائد متربص بأعلى شجرة ، فسمع صوته فأطلق عليه رصاصاً ، فوقع الأسد صريعاً فاقد الشعور والحساس . وبعد

(٥) إنحاف الحاضر برمانى المسافر - للوزير « الجنيد » ص ٤٦ ، مخطوط .

(٦) موجز تاريخ نيجيريا للحاج « آدم عبد الله الألورى » ، ص ٣٠ وما بعدها .

أن علم الوحوش بذلك جاءوه وندبوه ، ثم اختاروا له خلفاً من أبنائه ، فدرج على سيرة أبيه ، فكان نصيبه مثل ما أصاب سلفه من رصاص الصائد .

ثم اتفقوا على اختيار خلف له من أحفاده . فتردد هذا في القبول والرفض معتبراً بما وقع لأسلافه ، الذين لا يعيشون عقب توليتهم الملك إلا قليلاً . فطلب إلى الوحوش تأجيل أمره ريثماً يتأمل ويتشاور فوافقوه على ذلك . فبينما هو سائر يوماً في الغابات وعليه أمارات الأسى والكآبة ، إذ ^(٧) بسلحفاة تسأله عن سبب ذلك ، فقص عليها قصته ، فأجابته السلحفاة بأن الموت يعاجل سلفه من أجل ما يمتدحون به عقيب توليتهم . وأشارت عليه بقبول الولاية وعدم الافتخار ، فعمل الأسد بمشورة السلحفاة ، ولم يلق مكروهاً .

هذه النماذج الأربعة تعطينا فكرة عن النثر العلمي في فترتنا هذه من حيث الموضوع والأسلوب واللغة . وأما من حيث الموضوع ، فإن أكثر العلماء تناولوا مواضيع دينية ، أو مالها علاقة بالدين ، لنشر الدين أو الأفكار والتعاليم الصوفية ، كما رأينا في القطعة الثانية . ولم يتناولوا العلوم الاجتماعية كالتاريخ ، إلا قليلاً . وإذا نظرنا إلى القطعة الأولى المقتبسة من كتاب الإعلان بتاريخ «كنو» يتضح لنا نوع الأسلوب الركيك الذي كان يستعمله العلماء في أوائل هذه الفترة ، ويظهر فيه عدم ترتيب الأفكار ، وعدم تماسك أجزاء الجمل فيها . كما يبدو جلياً أثر اللغة المحلية التي هي (الهوسا) ، حتى أن قارئها يشعر كأنه يقرأ الهوسا مصوغة في كلمات عربية .

ونأخذ على سبيل المثال هذه الجملة حيث يقول : « وكان يخرج بياب داره يجلس تحت شجرة هناك للشريعة » ، فهذه جملة مترجمة من (الهوسا) إذ أن التركيب « يخرج بياب داره يجلس » تركيب هوساوى يعنى « يخرج خارج البيت ويجلس » ، ففي لغة (الهوسا) ، تأتي الأفعال في مثل هذا التركيب بدون عطف ، وتدل على أن الفعل

(٧) إذ هكذا في النص ، صوابه إذا .

الثاني الذي هو الجلوس ، جاء نتيجة للفعل الأول ، الذي هو الخروج (٨) وكذلك كلمة « للشرية » فإنها استعملت استعمالاً محلياً مقصودها ليستمع إلى الشكاوى ، وبحكم حسب الشريعة الإسلامية . وقد تستعمل الكلمة « الشريعة » في بعض الأحيان ، ويقصد بها كل ما يقوم به الحاكم من الإدارة والأحكام القضائية ، الشرعية منها والقانونية . ولعل الكاتب يقصد ذلك هنا . ونلاحظ أيضاً عدم الاهتمام باختيار كلمات مناسبة ومطابقة فهو يستعمل كلمة « جبانة » ، مع أن المقبرة أكثر رواجاً وأقرب إلى الفهم . ويقول مربوط الجياد وليس مربوط الخيل أو الإصطبل وهكذا . ولا يخفى ما في هذه القطعة من أخطاء نحوية وتراكيب ركيكة غير مستقيمة لأن الكاتب كان يفكر في لغته ويكتب في لغة أخرى (٩) .

ونرى في القطعة الثانية بعض الخصائص الظاهرة فيها يكتبه أهل نيجيريا . ومن ذلك أن الكاتب يختار لرسالته هذه اسماً مسجعاً ، وهو تنبيه الإخوان بنصوص الأعيان في تحريم اللدخان ، « ققل أن ينجوكتاب من تسميته بمثل هذه الأسماء المسجعة ، سواء أكانت تحمل في ذاتها معنى أم لا . ومن المعروف أن ذلك لم يكن شائعاً في نيجيريا فحسب . فقد كان كثير من المؤلفين في البلاد العربية أيضاً يسمون كتبهم بمثل هذه الأسماء ، إلا أن غرام المؤلفين في نيجيريا بمثل هذه الأسماء أشد ولا يزال كثير منهم يستحسنونها ويفضلونها على غيرها . ومن الخصائص الواضحة في النثر التعليمي النيجيري ، كثرة الاقتباس والاستشهاد بأقوال العلماء حتى نجد في بعض الأحيان ، أن هذه الاقتباسات والاستشهادات أكثر من مجهودات المؤلف نفسه . وأكثر الكتب التي

(٨) ومثال آخر في نفس القطعة « ثم عهد العصريخرج إلى مربوط الجياد مجلس » وأمثال ذلك كثيرة في مؤلفات العلماء في هذه الفترة وقبلها .

(٩) مثال ذلك قوله « ولما هاج فتنة السراق » وصوابه هاجت ، وكلمة فتنة ليست في محلها هنا . وأيضاً قوله « وأنا في جملة الناس عند ذلك » فهو تركيب ركيك . وغير ذلك .

يستدل بها العلماء هي الكتب المالكية أو الصوفية ، كما هو الظاهر في هذه القطعة . وقد لا يذكر المؤلف اسم من يستدل بقوله فيقول مثلاً : قال بعضهم أو قال بعض الإخوان^(١٠) . وربما يقول قال بعضهم ويقصد بذلك نفسه . وقد يستشهد بقولين متعارضين بدون أن يعلق عليهما ، أو يحاول الربط أو التنسيق^(١١) . ونلاحظ كذلك كثرة التكرار والاستطراد ، حتى أن القارئ في بعض الأحيان قد يجد نفسه تائهاً حائراً لا يتتبع الفكرة أو المعنى . . وأسلوب القطعة أسلوب فقهي ولغتها لغة بسيطة لا تعرف الزخارف اللفظية .

وإذا جاوزنا القطعة الثانية إلى الثالثة ، نجد ما وصل إليه النثر التعليمي من التطور . فأسلوب القطعة أسلوب سليم شبهه بأسلوب أهل التراجم والسير ، ولا ركافة فيه ولا تعقيد . ولا يظهر في القطعة أثر من مؤثرات اللغة المحلية كما كان يظهر في الكتابات الأخرى في الماضي ، فهو نثر سهل متماسك الأجزاء ، ومرتب ترتيباً منطقياً ولغته بسيطة سهلة خالية من الغرابة والزخارف اللفظية . ويلاحظ القارئ تمكن الكاتب وتضلعه في اللغة العربية وانقيادها إليه ومطابقتها له .

وأما القطعة الرابعة والأخيرة ، فهي نموذج لنثر سهل يستقيم أسلوبه ، ويسهل فهمه . ويظهر فيه جلياً حسن اختيار الكاتب لألفاظه وترتيبها ترتيباً حسناً ، فيجد القارئ متعة في قراءة مثل هذه القطعة . فهو نثر شبيه بما نجد في كتب الأدباء التي تتناول العلوم الاجتماعية . ونلمس فيه بوضوح تأثير الكاتب بالنثر الحديث .

(١٠) انظر مثالا لذلك في مجموع أربع كتب ص ١٧٣ ، ١٧٨ وغيرها .

(١١) انظر المصدر نفسه ، ص ١٧٠ وما بعدها ، ص ١٨٣ .

النثر الديواني :

ولعله يستحسن أن نقف وقفة قصيرة فيما وصل إليه النثر الديواني . فقد كانت اللغة العربية هي لغة الديوان ، كما رأينا سابقاً . وقد أخذنا بعض الرسائل الديوانية كنموذج لنوع النثر في القرن التاسع عشر . ولما أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية ، لجأت اللغة العربية أو أجبرت على اللجوء إلى زاوية منعزلة كما ذكرنا سابقاً^(١٣) حتى تجد من يقوم بإحيائها ونشرها في لباس جديد في الثلاثينيات . وبما أن اللغة العربية قد انتهى دورها كلغة رسمية ، فينبغي أن نرى ما وصل إليه النثر الديواني قبل أن يقضى الاستعمار عليه . ولعل الرسالة التي كتبها الوزير محمد البخاري وأرسلها إلى العلماء وقادة البلد ، هي آخر منشور رسمي باللغة العربية ، يخرج من مكتب وزير « سكو » إلى العلماء في كل الولايات ، قبل أن يتغير نظام الدولة في يد الإنجليز ، لقد وضع الوزير في تلك الرسالة السبب الذي جعله يتفاوض مع الإنجليز بعدما انهزم جيش المسلمين^(١٤) يقول

(١٣) انظر صفحة ١٧٥ .

(١٤) لما أتى أهل سكو خير قدم الإنجليز اجتمع الناس وتشاوروا فيما بينهم ، واختلفت آراؤهم . فنهض من رأى وجوب الصلح معهم ، ومنهم من فضل قتالهم حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ويوجد كذلك من أشار بالهجرة إلى الشرق قبل وصولهم . وكان أمير المؤمنين يميل إلى هذا الرأي . فعزم على الهجرة وبدأ الناس يستعدون لها . وقبل الهجرة سمعوا بوصول الإنجليز فاستعدوا للقتال وخرجوا وعسكروا بعد أن أدوا فريضة الجمعة يتظرون أعداءهم ، ولكن الإنجليز لم يصلوا إلا صبيحة الأحد . ثم تقابل الجيشان وتقاتلوا حتى انهزم جيش سكو وبعد ذلك تفرق الناس . فاتجه أمير المؤمنين وطاقته من الجيش إلى الشرق ، حتى وصل إلى بلدة تسمى « بريم Burmi » حيث لحقه الإنجليز فقاتلوه حتى استشهد . ففرقت جماعته إلى فرقتين ، واصلت إحداهما السير إلى الشرق تحت قيادة محمد بلو Bello بن الأمير المقتول محمد الطاهر بن أحمد ، حتى وصلوا إلى السودان فسكنوا على ساحل النيل في قرية تسمى بشيخ طلحة واستمرت ذريتهم هناك إلى يومنا هذا . ورجعت الأخرى إلى سكو . وبعد مقتل الأمير وهجرة ابنه محمد بلو إلى السودان أصبح الناس بلا رأس فتجمعوا حول الوزير الذي التجأ إلى قرية تسمى بديناوا Dinawa ، ولم يبق في سكو إلا قليل من الناس .
ثم كتب الإنجليز بالأمان إلى الوزير وطلبوا منه العودة إلى « سكو » فتشاور الوزير مع بعض العلماء ، واتفق =

الوزير في أول الرسالة :

« الحمد لله الملك الحكيم ، والقادر المنفرد بالإيجاد والإعدام ، والذي تعالى عن أن تضاف أحكامه إلى العلل ، جل حكم الأزل أن يضاف إلى العمل ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد خير الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات أجمعين .

أما بعد ، فهذه رسالة منى إلى كل من وقف عليها من أهل العلم والتدبير ، كتبها إليهم ، ليعلموا أنى ما قبلت هذا الأمر الذى فعلته مع النصارى أتباعاً لهوى النفس ، لكن فعلته بإشارة علمائنا إليه ، وذلك لما نزلنا فى مرنون Marnons اجتمع الناس عندى لأجل المشورة وشاور بعضهم بعضاً ، ولم يروا سبيلاً إلى الهجرة عن هذه الأرض لما فى الطرق من قلة المياه ، وعدمها أصلاً فى بعض الطرق ، وشدة الحر ، وكون النصارى نازلين فى جميع الطرق . فلما سمعت أن لا سبيل إلى الهجرة ، أمرت كل واحد منهم أن يفارقنى ، ويأخذ طريقه وأبواعلى ذلك . فلما رأى علمائنا ذلك ، أشاروا لى إلى ذلك الأمر الذى فعلته مع النصارى وقرءوا على كتاب شيخنا وإمامنا « عثمان بن فودى » رضى الله عنه . . . (١٥) .

هذه الرسالة تعطينا فكرة عن نوع النثر الديوانى فى الفترة التى نسوق الحديث عنها قبل أن يتقرض . يبدأ الكاتب فيه بجمل مسجعة ، فيها الثناء على الله ، والصلاة والسلام على رسوله ، ثم يأتى بأما بعد . ولى ذلك كلام مشور مترسل ، ، لا يهتم الكاتب فيه بالزخارف اللفظية أو المعنوية . وهو فى أسلوبه شبيه بأسلوب التراجم

= رأى على العودة والمفاوضة مع الإنجليز ، بشرط ألا يمنوا المسلمين من أداء فرائضهم الدينية . فتصالح معهم الوزير ، ثم كتب هذه الرسالة المهمة إلى القادة يوضح لهم هذا الصلح من الناحية الدينية ، ويستدل بأقوال الشيخ والأئمة قبله .

(١٥) رسالة الوزير إلى أهل العلم والتدبير للوزير محمد البخارى ص ١ وما بعدها انظر الملحق رقم ٣ .

والسير . ومن الواضح أن القطعة سليمة من الأخطاء النحوية . وكذلك النثر الديواني في الغالب إلا أنه يتفاوت في صحته وسلامته من كاتب إلى آخر ، كل حسب مستواه العلمي ، وتمكنه في اللغة .

النثر الفنى :

وأما النثر الفنى ، فإنه نشأ في هذه الفترة . وقد كان في أوله مثقلاً بالمحاسن اللفظية ، ثم تطور تطوراً حسناً ووصل إلى مستوى عال . وتخلص من القيود التقليدية التي كانت تثقله والتي كان يتكلفها الكاتب من قبل . والسبب في هذا التطور ، يرجع إلى ما قامت به مدرسة العلوم العربية « بكنو » من تدريس اللغة العربية بطريقة حديثة ، وما بذله مدرسوها العرب والنيجيريون من جهد ، لنشر هذه اللغة ، وتدريب الطلاب في المحادثة بها والكتابة فيها . وقد ساعد في رفع المستوى ، وجود مكاتب مدرسية وبلدية تحتوى على كتب أدبية قديمة وحديثة . وهناك نقطة أخرى مهمة لا بد من الإشارة إليها ، هي أن أغلبية هؤلاء الكتاب ، كانوا من الذين سافروا إلى بعثات تعليمية إلى البلاد العربية ، أو من طلابهم الذين اقتضوا آثارهم وسلكوا طريقهم ونهجوا منهمجهم .

ولعلنا نستطيع القول هنا ، بأن للجمعية الأدبية لطلبة مدرسة العلوم العربية ، اليد العليا في تطوير النثر الفنى . فقد خلقت لأعضائها جواً أدبياً وأفسحت لهم مجالاً واسعاً للكتابة واخطابة . فأخذ الطلبة يتدربون في ذلك ، مما أفادهم في حياتهم العلمية والثقافية فيما بعد . كما جعلت الجمعية أيضاً تدعو إلى حفلاتها طائفة من العلماء التقليديين ، للحضور والاشتراك في نشاطاتها الأدبية . وبهذه الطريقة بدأت المدارس التقليدية تتأثر بتلك المدارس الحديثة . ولنأخذ الآن نموذجين للنثر الفنى على سبيل المثال . القطعة الأولى من كلمة ألقاها أحد الطلبة^(١٦) وهو في الفصل الثالث يودع بها

(١٦) وهو الأستاذ « عمر إبراهيم » عندما كان طالباً في المدرسة .

إخوانه المتخرجين . وكان ذلك في سنة ألف وتسعمائة واثنين وأربعين . يقول فيها (١٧)
« الحمد لله الذى جمعنا من مختلف الأماكن بقدرته ، وقدر فراقنا في وقت معلوم
لحكته : والصلاة والسلام على من استنارت الدنيا بنور رسالته ، وعلى آله وأصحابه
هداة أمته . . . » .

« وبعد أردت أن أودع إخواني ، ولكن عجز عن الكلام لساني ، لهم شديداً
عناني ، ولم لا أحن في وقت يعد بعده ملاقة خلاني ، ولكن آمال الشوق إلى حب
الوداع عناني ، ولذلك أرغمت جناني ، بأن أتكلم بما عراني ، وإن كان قليلاً كفاًني .
لاشتغال بمقاساة أشجاني . . . » .

ثم شرع ينصح إخوانه المتخرجين ، بالجد والمثابرة في طلب العلم ، وعدم الكسل في
الطلب ، كما نصحهم بترك الشهوات واتباع الهدى . ثم وجه نصيحته لمن يمكن أن
يتولى منصب القضاء منهم في المستقبل فقال :

« ثم أخاف أن يوسوس لك الخناس ، لتأخذ في القضاء على أموال الناس ، وإن
أطعته فبئس التابع والمتبوع لظلم العباد ، ونشر الفساد ، في البلاد . وإن ربك
للمرصاد . . . ، وأتعجب ممن يعلو في الاجتهاد الذروة ، لكي يجد الرشوة ، والحال أن
الله قد لعن الراشي والمرتشى . . . ثم يذهب بك إلى الأمير واش يشي (١٨) . فيأخذ
ما أعطاك لكي يجد الطعام فتحجل بين الأنام ، وتشميت بك الأعداء مدى الأيام .
فهذه القطعة من كلمة الطالب ، ترسم لنا صورة لنوع النثر الفني الموجود في هذه
الفترة . فهو نثر تكلف فيه الكاتب بعض الشيء فجاءه جله مسجوعاً حسب الطريقة

(١٧) مقتبس من مخطوط يحتوي على إنتاجه الأدبي . الشعرى والنثرى ، والمخطوط في مكتبته الخاصة .

(١٨) يشيرنا إلى أن بعض الحكام الظالمين ، كانوا يفتصبون من الناس المظالم التي أخذوها من غيرهم فلا يبق
للظالم شيء . وقد يكون الظالم مضطراً إلى تقديم هدية ثمينة إلى الأمير بعد ذلك لكيلا يُعزل ، نتيجة لظلمه ،
فيصح في هذه الحالة صفر اليدين .

التقليدية المعروفة . وذلك هو الأسلوب الذى كان الناس يستحسنونه ويحاولون دائماً محاكاته . ولكن ربح النهضة التى هبّت فى البلاد العربية ، والتي حررت النثر من قيوده التقليدية ، وصلت فيما بعد إلى نيجيريا ، وأدت بالتالى إلى تطوير النثر وتغييره . وهذا النموذج الثانى من كلمة ألقاها الحاج آدم الإلورى فى (جامعة إبادن) ، حيث انعقد مؤتمر للبحث فى طريقة تعليم اللغة العربية فى المدارس والكليات . وكان ذلك فى سنة ألف وتسعمائة واثنين وستين م . يقول فيها (١٩) :

« أيها السادة ، هذه خطوط عريضة ، وشموع ضئيلة ، أتقدم بها إلى حضراتكم ، وأضعها بين أيديكم ، قبل الخوض فى هذه المهام التى عرضت عليكم ، لعلها تلقى ضوءاً على تلك الدياجير ، وتساعد فى الحصول على نتيجة نافعة فأقول : لقد انطبعت اللغة العربية بطابعين اثنين ، يكسبها امتيازاً خاصاً على سائر اللغات الراقية . وهما الطابع الثقافى الدولى ، والطابع الدينى الإسلامى .

أما الطابع الثقافى ، فباعتبارها لغة ذات ثقافة راقية عريقة فى التاريخ ، ذات مكانة مرموقة فى الصعيد الدولى . وبعبارة أخرى هى لغة تتكلم بها أم عظيمة من أم آسيا وإفريقيا لا تقل عن مائة مليون نسمة . وقد كانت ولا تزال تلعب أدواراً هامة فى ميدان العلم والتاريخ والفلسفة والسياسة ، إلى الوقت الحاضر . وبالتالى هى اللغة الوحيدة فى القارة الأفريقية التى تستطيع أن تتجاوب مع اللغات الراقية فى آسيا وأوروبا وأمريكا عند تفاخر اللغات . أما الطابع الدينى فلأنها لغة كتاب مقدس يدعم عقيدة سماوية تؤمن بها أمة عظيمة من أم الأرض لا تقل عن سبائة مليون وهى عقيدة الإسلام التى اتخذت هذه اللغة لساناً واعتمدت حروفه للقرآن كتاباً . واعتبرت هذه اللغة صلة تربط أواصر أهل هذه العقيدة ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم . كل هذا أضاف إلى العربية قدسية كبرى فى نفوس العرب وغيرهم ، من أم الأرض ، فانكبوا

(١٩) مقتبس من ورقة وزعت عند انعقاد المؤتمر فى إبادن .

على تعلمها ونشرها ، واعتبروا تعليمها وتعلمها عبادة تقربهم إلى الله زلفى » .
ولا يخفى أن هذا نثر مترسل غير مثقل بالسجع ، إلا ما أتى عفواً . وهو نموذج لما
وصل إليه النثر من فصاحة لفظ وبلاغة معنى . ألفاظها سهلة سلسلة لا غرابة فيها
ولا تعقيد .

هذا ، ومن الواضح أن النثر في هذه السنوات الأخيرة ، قد تغير وتطور وتحرر
بعض الشيء من القيود التقليدية ، ولكن المؤسف ، هو قلة الإنتاج مع كثرة العلماء
والأدباء . وقد ذكرنا الأسباب التي أدت إلى ذلك^(٢٠) ، فهناك الآن في نيجيريا طائفة
من العلماء الذين نالوا ثقافة عربية وإسلامية واسعة ، وأصبح لهم إلمام كثير باللغة
العربية ، فإذا خطبوا أو كتبوا أفصحوا ، ولكنهم جففوا أقلامهم تجفيفاً كما أجموا
ألسنتهم ، فلم يتججوا ، بل تركوا الميدان الأدبي للكتاب التقليديين ، الذين لا يزالون
يشقون طريقهم نحو الأسلوب التقليدى .

(٢٠) انظر صفحة ١٧٦ و ١٧٧ .

الفصل الثالث

بعض خصائص اللغة العربية في نيجيريا

لا نريد أن ندخل في دراسة متعمقة مما يدخل في فقه اللغة ، ولكن من الأوفق أن نعرض صورة وصفية لمظاهر اللغة العربية النيجيرية ، مما يساعد الباحث عن إدراك بعض خصائص اللغة العربية في نيجيريا .

في الخط :

يستخدم النيجيريون الرسم المغربي في كتاباتهم ، سواء في كتابة اللغة العربية ، أو في رسم اللغات المحلية التي تكتب بالحروف العربية . وظل النيجيريون يستخدمون هذا الخط وحده إلى عصر قريب ، ثم دخل الخط الحديث لما أنشئت مدرسة العلوم العربية « بكنو » ، ووفد إليها مدرسون من جمهورية السودان الديمقراطية . ثم جعل هذا الرسم يتسرب إلى بقية المدارس ، حتى أصبح الآن هو المستعمل في جل المدارس الحديثة . إلا أن المدارس القرآنية ، والحلقات العلمية ، لاتزال تستخدم الرسم المغربي . ولاتزال المصاحف تكتب بهذه الطريقة . ومن خصائص كتابة المصاحف ، أن علامات المد وأواخر الآيات ، ترسم بمداد أحمر حتى لا تختلط بألفاظ القرآن الأصلية . وأما في إعجام الفاء والقاف ، فإن الكتاب ينقون الفاء بنقطة واحدة من أسفلها ، والقاف بنقطة واحدة من أعلاها بمداد أسود في الغالب ، إلا أن البعض يستخدم المداد الأحمر في هذا أيضًا وفي إعجام الحروف الأخرى^(١) . ويرسمون « ي » في آخر

(١) انظر عن الخط العربي وتطوره « دراسة في مصادر الأدب » للدكتور الطاهر أحمد مكي ، حيث عقد فصلا كاملا . ناقش فيه نشأة الخط وتطوره . ج ١ ، ط ٢ ، ص ٣٨ وما بعدها ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ .

الكلمة هكذا < مثل الذ > . والترتيب الأبجدي المتبع في المدارس الآن هو المشرق . وكانت المدارس القرآنية ، والحلقات العلمية ، تستخدم الترتيب المغربي إلى وقت قريب .

في النطق (٢) :

نستطيع أن نقسم الحروف الهجائية العربية من حيث صعوبة أو سهولة نطقها عند النيجيريين على الوجه التالي :

١ - الحروف العربية التي توجد أيضاً في لغة (الهوسا) (٣) وعددها سبعة عشر حرفاً وهي : أ ب ت ج د ر ز س ش ك ل م ن ه و لا ي . وهذه لا تسبب أى صعوبة في النطق بها .

٢ - الحروف العربية التي توجد في لغة (الهوسا) ، ولكنها تنطق بطريقة مخالفة عن الأصل العربي . وعددها أربعة أحرف وهي : ط غ ف ق .

٣ - الحروف العربية التي لا توجد في (الهوسا) بتاتا ، وهي ثمانية : ث ح خ ذ ض ظ ع ص .

ويقع الخطأ كثيراً في المجموعة الثالثة لصعوبة نطقها عندهم مثل الضاد ، أو لعدم التعود عليها مثل الذال . هذا بالإضافة إلى الأخطاء الفاشية التي تنجم عن التقارب بين الأصوات في المخرج ، والتي يشترك فيها النيجيري مع غيره ممن يتكلم باللغة العربية . ومن المعروف أن الخطأ في النطق يسبب الخطأ أيضاً في الإملاء وخصوصاً في المدارس .

(٢) ليس المقصود هنا المقارنة بين الأصوات العربية والهوسوية ، وإنما المقصود ذكر بعض خصائص نطق اللغة العربية عند من يتكلم بالهوسا .

(٣) يوجد في نيجيريا ، كما هو معروف ، عدد كبير من اللغات ، وأهمها ثلاث هي : الهوسا والبريا والابو . وتأخذ لغة الهوسا على سبيل المثال لأنها أكثرها شيوعاً ، وأشد اللغات الإفريقية تأثيراً باللغة العربية .

ولنأخذ الآن الحروف أو الأصوات التي في المجموعة الثالثة ؛ لنرى كيف ينطقها من يتكلم بلغة (الهوسا) ، حسب ما تعودت عليه عضلاته النطقية .

الثاء ينطقونه سينا : والثاء صوت رخو مهموس ، ومخرجه بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا^(٤) . والسين كذلك صوت رخو مهموس ، إلا أن مخرجه هو عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا^(٥) والعملية الشاقة بالنسبة للذي يتكلم (بالهوسا) ، هي عملية وضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى عند النطق بالثاء ، فلذلك ينطقها سينا لوجودها في (الهوسا) ولسهولة لها لديه . يقولون مثلاً سار ، مسال ، لبس بدل ثار ومثال وليث . كما يحدث للكثيرين من العربية لغتهم القومية .

الحاء يصير هاء : فكلا الحرفين صوت رخو مهموس^(٦) . ومخرجهما واحد مع اختلاف يسير . فالحاء من وسطه والهاء من أقصاه أو من داخل الزمار^(٧) . فالشبه بين الصوتين كبير لدرجة أن من يتكلم (بالهوسا) لا يستطيع أن يفرق بينهما ، خصوصاً لأن الحاء ، لا يوجد في (الهوسا) يقولون : الحمد ، الرحمن ، الرحيم بدل الحمد والرحمن والرحيم . والطريقة الصحيحة لنطق الحاء في العربية كما وصفه الدكتور عبد الرحمن أيوب ، هو أن يتراجع جسم اللسان إلى الحائط الخلقى للبلعوم بقوة شديدة فيحدث ضيق في البلعوم الضموي ، ولا يمكن قفل البلعوم الضموي قفلاً تاماً بمثل هذه الحركة ، وينطلق الهواء من الرئتين دون أن يسبب ذبذبة الأوتار الصوتية ، ويكون ممر الهواء في

(٤) الدكتور إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة نهضة مصر (بدون تاريخ) ص ٤٩ ، ٥٠ وفي ذلك يقول الدكتور عبد الرحمن أيوب : « إن الثاء هو الصوت الاحتكاكي الأسنان المهموس ، وللتق به يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى وينطلق الهواء من الرثة إلى عمه في الفم دون أن يسبب ذبذبة الأوتار ، ولكنه عند مروره بين الأسنان وطرف اللسان يحدث احتكاكاً مسموعاً . انظر كتابه : أصوات اللغة ، ط ٢ ص ٢٠١ ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ١٩٦٨ .

(٥) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ٦٨ .

(٦ ، ٧) المصدر نفسه ص ٧٥ ، ٧٦ .

الأنف مسدوداً ، فينطلق الهواء إلى عمرة في الفم محدثاً احتكاكاً مسموعاً في النقطة الضيقة من البلعوم القموى (٨)

الحاء يقبل كأفأ أو هاء : فالحاء من الأصوات الحلقية ، وهو صوت رخو مهموس (٩) . ومخرجه أدنى الحلق إلى الفم (١٠) والكاف صوت شديد مهموس ومخرجه عند اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى (١١) ولعدم وجود هذا الصوت في (الموسا) استبدل بالكاف أو الهاء لتقاربها في المخرج . يقولون مثلاً : كالدون أو هالدون ، كرج أو هرج ، بدل خالدون وخرج .

الذال يصير زايا : الذال صوت رخو مجهور (١٢) والزاي صوت رخو مجهور (١٣) والصعوبة التي يواجهها من يتكلم بالموسا هنا ، هو وضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى للنطق بالذال . فيحاول نطقه بغير هذه العملية فينتج ذلك صوت الزاي . مثال ذلك : زك ، زهب بدل ذلك وذهب .

الصاد تصير صيئاً : كلاهما صوت رخو مهموس (١٤) ويقال إن الصاد يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق (١٥) فن السهل تحريف الصاد إلى

(٨) أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب ، ص ٢١٦ .

(٩) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ، ص ٧٥ .

(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها ، انظر أيضا كتاب لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٣٩ وانظر أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب للطريقة الصحيحة للنطق به وباقي الحروف المذكورة ، ص ١٩٩ وما بعدها .

(١١) الدكتور إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٧١ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

السين لمن لا يوجد عنده صوت الصاد . يقولون مثلاً : سار ، السناعة ، مسر ، بدل صار والصناعة ومصر .

الضاد ينطقونه لاما أو دالا أو راء : الضاد صوت شديد مجهور ، ولا تختلف عن الدال في شيء ، سوى أن الضاد أحد أصوات الأطباق ^(١٦) فذلك ينطقونه دالا في أكثر الأحيان . ويوجد من يميل إلى النطق به لاما لسهولته ولتقارب الصوتين عنده . ومن أهل «كنز وبنو» من يحاول نطق الضاد نطقاً عربياً صحيحاً ، فينتهي إلى صوت الراء . وهذا شائع وخصوصاً في المدارس القرآنية . يقولون مثلاً : المغلوب ألبهم ولا الآلين ، أو المغروب ألبهم ولا الرالئين ، بدل المغضوب عليهم ولا الضالين . ويقولون مرد ، الأرد ، بدل مرض والأرض وهكذا .

الطاء يصير زايا : الطاء صوت مجهور كالذال تماما ^(١٧) ومفخم أيضاً . ولا يستطيع الهوساويون أن يفرقوا بينه وبين الزاي لعدم وجود هذا الصوت عندهم ، فذلك يقولون مثلاً : زهر ، الزهر ، الزلام ، بدل ظهر والظهر والظلام .

العين ينطقونه همزة : العين صوت مجهور في الأصوات الحلقية ^(١٨) وهو متقارب في مخرجه مع الهمزة ، إلا أن مخرجه من وسط الحلق ومخرج الهمزة من الزمار ^(١٩) ويذكر أن القدماء ، عدوا العين صوتاً مجهوراً متوسطاً ، بين الشدة والرخاوة ، وأما الهمزة فهو صوت شديد ، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس لأن فتحة الزمار معه مغلقة إغلاقاً تاماً لا تسمع معه ذبذبة الوترين الصوتيين ^(٢٠) فلأجل هذا التقارب ، ولعدم وجود صوت العين ، يميلون إلى النطق بالعين همزة . وهذا من اللحن الشائع في نيجيريا . يقولون

(١٦) الدكتور إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٥١ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

(١٩) لحن العامة ، ص ٢٤١ .

(٢٠) الدكتور إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٧٧ .

مثلا : الأليم ، إليه ، أم يتساءلون . بدل : العليم ، عليه ، عم يتساءلون .
وأما إذا نظرنا إلى المجموعة الثانية ، التي هي الحروف والأصوات العربية الموجودة
أيضا في لغة (الهوسا) ، نرى أن الهوساويين استمروا ينطقون بها حسب طريقة نطقهم
بها في لغتهم . فمثلا ينطقون الغين كالجيم القاهرية لأنها هي الموجودة عندهم . والقاف
عندهم صوت بين القاف والكاف وقد يدلونه كإف فيقولون : الكالى بدل القاضى ،
كما أن الفاء صوت بين F و P الإنجليزية . وأهل « سكتو » ينطقون الفاء هاء فيقولون
فيه بدل فيه . والطاء عندهم ، قريبة من الطاء العربية إلا أن صوته غير مضخم .
ويوجد من أهل كنو من ينطقها طاء Tsa وهو أحد الأصوات الموجودة في الهوسا .
فيقولون الشيطان Shaitani ، بدل الشيطان . وهذا اللحن شائع عند قراء القرآن .
ومن اللحن الشائع أن الهزمة في بعض الأحيان ، وخاصة في أول الكلمة تقلب
هاء فيقولون ، مثلا « هبو بكر » بدل « أبو بكر » ولنتظر الآن إلى كل الحروف الهجائية
في هذا الجدول ليظهر لنا ما حرف من هذه الحروف والأصوات :

الحروف العربية	تحريفها في الهوسا	أمثلة	ملاحظات
أ	هـ	هبو بكر = أبو بكر	وليس هذا شائعا إلا في أهل «كنو» وبعض (قبيلة يريا) .
ب	بدون تحريف		
ت	بدون تحريف		
ث	س	مسال = مثال	هذا شائع
ج	بدون تحريف		
ح	هـ	الهمد = الحمد	هذا شائع
خ	ك أو هـ	كالدون ، هالدون : خالدون	خاصة عند أهل (كنو وأدماوا)
د	بدون تحريف		

ملاحظات	أمثلة	تحريفها في الموسا	الحروف العربية
هذا شائع	اللزبن = اللذين	ز	ذ
هذا موجود عند (أهل أدماوا) فقط وليس شائعاً	حمجة = حمزة	بدون تحريف ج	ر ز
هذا شائع	سراط = صراط	بدون تحريف	س
هذا شائع ويقال أيضاً: الرالين أو الدالين .	اللالين = الضالين	بدون تحريف س	ش ص
عند أهل «كنو»	سراط = صراط	د أو ر أو ل	ض
شائع	الزهر = الظهر	ظ	ط
شائع	أأوز = أعوذ	ز	ظ
شائع	جفور = غفور	أ	ع
شائع عند أهل «سكتو» فقط	هيه = فيه	ج القاهرية	غ
عند أهل «برنو ويربا وتني»	كل هو = قل هو	هـ	ف
		ك	ق
		بدون تحريف	ك
		بدون تحريف	ل
		بدون تحريف	م
		بدون تحريف	ن
		بدون تحريف	هـ
		بدون تحريف	و
		بدون تحريف	لا
		بدون تحريف	ى

وبما أن لغة الهوسا تكتب بالحروف العربية ، فلا بد من زيادة بعض الحروف أو الأصوات الموجودة في الهوسا ، وليست موجودة في اللغة العربية وهذه هي :
ظ Tsa كـ kwa ، كى kya غو gwa وش sha

وظاهرة أخرى تتعلق بالنطق ، هي محاولة النيجيريين - وخاصة من يتكلم بلغة الهوسا منهم - تحريك أواخر الكلمات العربية كلها في الوصل والوقف معاً . فهم لا يعرفون أن السلامة في الوقف بالسكون . والسبب في هذا هو أن الألفاظ في الهوسا تنتهى دائماً بواحد من أحرف اللين vowels أى أنها تنتهى بالحركة لا بالسكون . وهذا هو الذى جعلهم يحركون أواخر الألفاظ بما فيها الأسماء ، ويمدون قليلاً فيقولون محمـدو وأحمـدو وشيخـو بدل محمد وأحمد وشيخ .

ومن خصائص النطق في نيجيريا أيضاً ، تحريك وسط الاسم الثلاثى الساكن فيقولون البحر والنعل والبطن . بدل البحر والنعل والبطن . ومحركون الحرف الثانى كذلك من بعض الأسماء مثل يحيى أو يطيلون حركة الحرف الذى قبله ومحذفون الحرف الساكن مثاله آمد بدل أحمد .

في التركيب واستعمال اللغة :

وإذا نظرنا إلى ناحية القواعد النحوية والصرفية ومجال استعمال مفردات اللغة وبنية الكلمة ، فإننا نلاحظ أن قواعد اللغات المحلية قد تؤثر على متعلم اللغة العربية ، فيحاول تطبيقها ، ومن ثم يقع في الخطأ ، إما في النحو أو في الصرف ، وإما في دلالة الألفاظ . ولتضح هذه النقطة نود أن نأخذ أمثلة في لغة الهوسا أيضاً لئلا نرى إلى أى حد تأثرت اللغة العربية النيجيرية بلغة الهوسا ، أو بعبارة أصح ، هل يرجع سبب بعض الأخطاء الشائعة في اللغة العربية النيجيرية إلى تأثير من يتعلمها بلغته المحلية ، ومحاولة تطبيق قواعد لغته النحوية والصرفية على اللغة العربية ؟

ونحاول الآن أن نقف على بعض القواعد النحوية في لغة الهوسا التي تختلف عن القواعد النحوية العربية ، والتي يحتمل أن تكون سبباً في بعض الأخطاء الشائعة ، أو في خصائص اللغة العربية المستعملة في نيجيريا .

تركيب الجملة في لغة الهوسا له قاعدة ثابتة لا يمكن مخالفتها . فيجب أن يسبق الفاعل الفعل ، ثم يأتي المفعول بعدهما . ولا يصح أن يتقدم الفاعل أو المفعول على الفعل . وهذه القاعدة جعلت كثيراً ممن يكتب بالعربية يستعمل الجمل الاسمية أكثر من الفعلية ، لأن الأولى أقرب إلى لغته . وإذا كان الفاعل اسماً ظاهراً فلا بد أن يتبعه ضمير مطابق له قبل الفعل ، وذلك لأن الضمائر هي التي تغير صيغة الأفعال الدالة على زمان وقوع الفعل . وأما إذا كان الفاعل أصله ضميراً ، فلا حاجة إلى تكراره . مثال :

محمدو يا تفي Muhammadu ya tafi محمد (هو) ذهب

محمدو ينا تفي Muhammadu yana tafiya محمد (هو) يذهب

محمدو زي تفي Muhammadu zai tafi محمد (هو) سيذهب

وهذا التركيب جعل البعض يخطئ في العربية . فيقول محمد هو ذهب ، وخاصة إذا كان الفعل ماضياً كما مثلنا . وذلك لعدم وجود أى علامة للفعل ظاهرة تبين نوعية الفاعل كما في الهوسا . ويقل الخطأ إذا كان الفعل مضارعاً لوجود أحد أحرف المضارع الذى يقوم مقام الضمائر عند من يتكلم بالهوسا . مثاله :

محمدو ينا تفي = محمد يذهب .

وظاهرة أخرى تتعلق باستعمال الفعل المضارع . فهو في الهوسا يستعمل في الماضي والحال والاستقبال كما في اللغة العربية ، ولكي نميز زمن وقوع الفعل فلا بد من زيادة ظرف زمانى يدل عليه ، أو وجود قرينة في الجملة تشير إليه مثال ذلك :

إنا ربوتو جيا = كنت أكتب بالأمس .

إنا ربوتو يند = أكتب الآن .

إننا ربوتو غوبى ورحكا = سأكتب غدا في مثل هذا الوقت .

وهذا الاستعمال في الهوسا ، جعل البعض يخطئ في المضارع الذى يدل على حدوث فعل مستمر في الماضى ، فيقولون : « أكتب بالأمس حينما وصلنى جوابك » بدل « كنت أكتب بالأمس حينما وصلنى جوابك » . وكثيراً ما نجد هذا في مؤلفات القرن الماضى .

والإضافة في الهوسا ، تعنى الملكية بزيادة نون في آخر المضاف ، إذا كان مذكراً ، أو راء إذا كان مؤنثاً . وهى تشبه الإضافة في اللغة العربية فيأتى المضاف أولاً ثم المضاف إليه على عكس اللغة الإنجليزية . إلا أن الفرق هو أن المضاف في العربية غير ممنون ، فى حين أن النون التى تضاف إليه إذا كان مذكراً فى الهوسا ، قد تشبه التنوين فى العربية فيلتبس الأمر على المتعلم . وهناك حالة أخرى فى الهوسا ، تأتى فيها الإضافة ولكنها لا تعنى الملكية . وهى ما إذا كان المضاف من الأوصاف الجامدة ، فيصبح التركيب موصوفاً وصفة مثاله : بين مَم = رجل عظيم . ومثل هذا التركيب هو الذى جعل البعض لا يفرق بين هاتين العبارتين : ولدٌ غنىٌّ ، ولدٌ غنىٌّ ويستعملون الأولى وهم يقصدون الثانية أوبالعكس . ويقع هذا الخطأ أيضاً لأن الصفة فى الهوسا قد تأتى قبل الموصوف إذا كانت جامدة ، ولكن هذا ليس بكثير . وتأتى بعد الموصوف إذا كانت مركبة . وهذا التركيب يكون بزيادة « مى » للأسماء فقصر أوصافاً مثال :

بين مَم = رجل عظيم = (صفة جامدة جاءت قبل الموصوف)

مَم مى غرما = رجل عظيم = (صفة مركبة جاءت بعد الموصوف)

(معناه رجل صاحب عظمة)

وتقع أخطاء كثيرة فى استعمال حروف الجر Prepositions كأن تستعمل فى غير محلها ، أو يستبدل حرف بآخر . وقد لا تحتاج جملة ما فى الهوسا إلى حرف جر ، على حين أن وجوده يكون ضرورياً فى اللغة العربية مثاله :

ياتنى كاسوا = ذهب إلى السوق (بدون حرف جر فى الهوسا)
وقد يأتى تركيب ما فى اللغة العربية بدون حرف جر ولا يستقيم إلا به فى الهوسا .
مثاله : جاء صباحاً - يازو د سافى يجب زيادة «د» هنا للربط بين اللفظين المجيء
والصبح . وهذا العطف «د» فى الهوسا يستعمل كثيرا وفى أوجه كثيرة . ومن أمثلة
ذلك :

محمود د أحمدو ستزو - جاء محمد وأحمد
محمود ياوز د أحمدو - جاء محمد مع أحمد
محمود ياوز د سافى - جاء محمد صباحاً

ولا شك أن مثل هذه الفروق فى استعمال حروف الجر فى الهوسا ، هى التى تسبب
وقوع الأخطاء فى استعمالها فى اللغة العربية .

وليس فى الهوسا ، ما يقابل أداة التعريف فى كل الأوجه التى تستعمل فى اللغة
العربية . والموجود فى الهوسا هو ما يوازى « ال » للعهد ويكون بزيادة « النون » فى آخر
الكلمة إذا كان مذكراً ، والراء إذا كان مؤنثاً . فىقال : ناغ يارون وناغ يارنير . رأيت
الولد ورأيت البنت . ويقع الخطأ إما لعدم استعمال أداة التعريف فى محل لا بد منها فيه
والعكس فىقولون مثلاً رأيت ولداً ، وهم يقصدون رأيت الولد .

وقد تكون الأخطاء فى دلالة الألفاظ ، فىخصصون العام أو يعممون الخاص ،
أو يغيرون مجال الاستعمال . وهذا كثير وخصوصاً فى مؤلفات القرن الماضى . فمثلاً كلمة
بجر تعنى البحر والنهر معاً فىقولون بجر نيجر بدل نهر نيجر^(٢١) وكلمة اللغة ، تعنى عندهم
الغريب من الألفاظ فقط ، فىقولون مثلاً هو يجب استعمال لغة صعبة فى خطبته ، وهم
يقصدون استعمال الغريب منها . ويطلقون كلمة جلس على الجلوس وعلى الإقامة أيضاً

(٢١) وهى كذلك فى الصعيد الآن .

مثل « وبنى دارا على جبل دالا وجلس عليها » بمعنى وأقام عليها^(٢٢) ، وقد يكون السبب في مثل هذه العبارة ترجمة مدلول الألفاظ من اللغة المحلية إلى العربية . ويتضح فيما سبق أن بعض الخصائص المذكورة موجودة أيضاً عند العرب . وهى من الظواهر اللغوية التى عدت من اللحن . وقد وردت أمثلة لها فى كتب الأدب واللغة ، وأفرد بعض الكتاب مؤلفات خاصة لذلك^(٢٣) ومن الأمثلة التى وردت تحريف العين همزة ، أو الحاء هاء . ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين^(٢٤) أن زياد النبطى ، كان شديد اللكنة ، وكان نحوياً ، دعا غلامه ثلاثاً ، فلما أجابه قال : فن داوتك إلى أن قلت لبي ما كنت تصناً ؟ وذكر أيضاً ، أن فيل مولى زياد قال لزياد : أهدوا لما همار وهش . قال زياد أى شىء تقول ويلك ؟ قال أهدوا إلينا أيراً - يريد عيراً . قال زياد . الثانى شر من الأول .

وكذلك مثلاً تحريك عين الثلاثى لسبب الوقف مثل رَمَلٌ وَسَمَنٌ بدل رَمَلٍ وَسَمَنٌ ، إذ أن سبب هذا هو التقاء ساكتين فى آخر الكلمة إحداها فى بنية الكلمة ، والآخر طارئ ، بسبب الوقف بالسكون وحذف الحركة الإعرابية^(٢٥) .

فى الشعر :

وأما من ناحية خصائص الشعر العربى النيجيرى فقد اتضحت لنا الظواهر الآتية :

(٢٢) كلمة زما Zama فى الموسا تعنى الإقامة والجلوس ، فهذا هو سبب استعمالهم كلمة جلس بمعنى أقام أيضاً ، وقد تأتى كلمة جلس فى بعض الأحيان بمعنى أقام عند العرب ، ولكن ذلك فيما يبدو ، ليس كثيراً . قال أبو حنيفة « الورس يزرع ستة فيجلس عشرين » . أى يقم فى الأرض ولا يتعطل . انظر لسان العرب ، الجزء السابع ، ص ٣٣٩ .

(٢٣) انظر مثلاً لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر .

(٢٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق « عبد السلام محمد هارون » ، ط ٣ ، ص ٢١٣ .

(٢٥) انظر لحن العامة ، ص ٢٥٧ .

١ - الاقتباس من القرآن والحديث .. وهذه ظاهرة واضحة وخاصة في إنتاج القرن الماضي . وأمثلة ذلك كثيرة فيما أوردناه من النماذج وكذلك الاستشهاد بالمسائل الفقهية (٢٦) .

٢ - الاقتباس من الشعر القديم ومحاولة تقليده في منهجه وأسلوبه وألفاظه ، وقد أوردنا أيضاً أمثلة كثيرة لذلك (٢٧) ومن الجدير بالذكر هنا أن الشعراء والعلماء قد استخدموا ألفاظاً غريبة في القوافي ، مما جعل فهم نظمهم صعباً في بعض الأحيان .

٣ - الدوران حول الأغراض القديمة في الشعر من مدح وثناء وغيرهما . وقد كان سبب ذلك كما ذكرنا ، عدم وصول تيار الشعر الحديث في وقت مبكر ، ورواج المنهج التعليمي التقليدي ، الذي يضع الشعر القديم دائماً نصب عينيه . وإجبار اللغة العربية على اللجوء إلى زاوية منعزلة بعد دخول المستعمرين .

٤ - ارتكاب المخالفات النحوية والصرفية . وقد بينا في أماكن كثيرة ، أن بعض هذه المخالفات تبيحها تقاليد الشعر العربي ، فيما يسمى بالضرورة الشعرية (٢٨) وفي كتب الأدب العربي نماذج من هذه المخالفات التي أباحها النحاة ونقاد الشعر للشعراء من العصر القديم ، وقد أفرد بعض النحاة مؤلفات خاصة لذلك (٢٩) إلا أن بعض هذه المخالفات خارج عن الحدود التي أجازها القدماء ، بما يدخله في دائرة الخطأ اللغوي .

(٢٦) انظر مثلاً أبيات الشيخ عبد الله حيث يقول : في تزيين الورقات ، ص ٢٨ :

إذا ارتكاب أخف الضرر قد حتماً يكفر الجهل إن ذا كان عصياناً

(٢٧) ارجع إلى الباب الثالث ، وانظر أيضاً تزيين الورقات ص ٣٢ .

(٢٨) ارجع إلى الباب الثالث والرابع من الرسالة .

(٢٩) مثل ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة للقرآن وغيره .

٥ - ركاكة الألفاظ ، وضعف التراكيب ، وضحالة التصوير الشعري ، وذلك لأن أكثر هذا الشعر من العلماء ، وشعرهم في الغالب بين التكلف (٣٠) ، هذا ويمكن القول بأن أكثر الشعر النيجيري شعر تعليمي .



(٣٠) يقول ابن قتيبة بعد أن أورد أبيات للخليل بن أحمد العروضي مانصه : « وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة . وكذلك أشعار العلماء ، ليس فيها شيء جاء عن إسماخ وسهولة كشعر الأصمعي ، وشعر ابن المقفع وشعر الخليل ، خلا خلف الأحمر ، فإنه كان أجودهم طبعاً ، وأكثرهم شعراً ، انظره في الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر الجزء الأول ، ص ٧٠ .

الباب الخامس

اللغة العربية في الجامعات والمعاهد العليا

- الفصل الأول : البعثات التعليمية النيجيرية لدراسة اللغة العربية وآدابها .
- الفصل الثاني : اللغة العربية في الجامعات النيجيرية .

الفصل الأول

البعثات التعليمية النيجيرية لدراسة اللغة العربية وآدابها

كان طلب العلم ، ولا يزال شعار المسلمين من قديم الزمان ، وكان المسلمون يهاجرون من بلد إلى آخر طلباً للعلم وابتغاء مرضاة الله . ومن الأقوال المأثورة التي نحث على ذلك : اطلب العلم ولو بالصين . ولقد كان العلماء وطلبة العلم في ولايات الهوسا ، ومملكة البرنو ، يجتازون الصحراء ، ويكابدون المشقات ، لهذا الغرض ، يتجهون طوراً إلى الشرق ، إلى مصر والحجاز ، وحيناً إلى الغرب إلى تمبكتو^(١) وجاو ، طلباً للعلم . كان الحج وزيارة المدينة المنورة ، الدافع الأول لتلك التقلبات والرحلات في القرون الماضية ، فكان العلماء والطلاب يقصدون إلى الحج وطلب العلم معاً ، فيصطادون بذلك عصفورين بحجر - كما يقول الإنجليز ، كما أن الملوك والأمراء أيضاً يقومون بالرحلة إلى الحج فيلتقون بالعلماء ويكُونون صلات دبلوماسية بالملوك الذين يتصلون بهم في طريقهم إلى تلك الرحلات . وقد سجل لنا التاريخ أسماء بعض من قام بهذه المهمة من الملوك والأمراء في نيجيريا من قديم الزمان .

يقول محمد بللو عند الكلام عن البرنو « وقد حج من سلاطينهم كثيرون ، وتظاهروا بالخير والإسلام وإقامة الحدود والشريعة في أوائلهم جداً ، وبقيت آثار الإسلام كثيرة ، وقد انتشر فيها الإسلام انتشاراً في سلاطينهم ووزرائهم وعاصمتهم^(٢) .

(١) ومن الذين تغربوا لطلب العلم الشيخ عبد الله سك القلافي ، رحل إلى أكندز وإلى قرآن . انظر إنفاق الميسور ، ص ٢٢ .

(٢) انظر إنفاق الميسور ، ص ٨ ، ٩ .

وتذكر المراجع أن ملك البرنو «دانا ديبليم Dunnama Dibbalemi» الذى عاش فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، قد حج مرتين وقضى نجه حينما غرق فى البحر الأحمر وهو فى طريقه إلى حجه الثالث^(٣) ، ومن ذلك الوقت ، صار الذهاب إلى الحج (عادة) للملوك البرنو ، حتى سقوط دولتهم فى القرن التاسع عشر الميلادى . وبما يؤكد هذا القول كثرة من يلقب بلقب الحاج من ملوكهم^(٤) ومن المتوقع أن يتصل أولئك الملوك ومن يرافقهم من العلماء بالأزهر ، وبعض علمائه فى طريقهم إلى الحج ، وقد يكون مثل ذلك اللقاء أثر ثقافى فى نفوس الملوك . ويذكر لنا المقرئى خلال تعداده للمدارس التى ازدهرت فى مصر فى القرن الثالث عشر ، أن ملوك الكانم (البرنو) ، قد أنشوا مدرسة مالكية ، تسمى مدرسة أمين رشيق بخط حمام الريش فى القاهرة . وكان ذلك عند وصولهم إلى مصر « فى سنة بضع وأربعين وستائة قاصدين الحج . دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به^(٥) » وذكر أن لتلك المدرسة سمعة عظيمة فى ذلك الوقت . وقد استمر ملوك الكانم ، يبعثون إليها فى غالب السنين^(٦) ومن المحتمل أن يكون الملك دانا ما هو الذى أنشأ تلك المدرسة ، ولعله كان يرسل بالطلبة إليها ، وربما يكون الملوك بعده أيضاً يسلكون نفس المسلك . وقد حج من الأمراء أيضاً فى القرن السابع عشر ، أمير كنو الحاج بن كتنب Raba (١٦٤٨ م) ، وهو أول أمير لكنو ، يقوم بأداء هذه الفريضة . ثم تلاه من بعده من الأمراء^(٧) .

وأما من حج من العلماء وغيرهم ، فقد كانوا كثيرين . ولقد كان البعض منهم حقاً

(٣) انظر : Abdullabi Smith, History of West Africa, vol. I. p. 172.

(٤) انظر : Muhammad Al-Hajji, Bornu Seminar, 10.2.71.

(٥) كتاب الخطط للمقرئى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ج٤ ص ١٩٥ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٧) الإعلان بتاريخ كنو ، لآدم نمج ، ص ٣٤ .

يقضى فترة طويلة أو قصيرة في الأزهر ، إما ليتعلم منه أو ليعلم فيه . وقد ذكرنا سابقاً الشيخ محمد بن محمد الكثناوى الذى قضى نجه في القاهرة بعد عودته من الحج . وتذكر المراجع أن الشيخ « جبريل بن عمر حج مرتين ، وقضى في إحداهما ما يبلغ عشرين سنة هناك . ويقال إنه أقام في إحدى الرحلات بمصر ، وقضى فيها ثمانى عشرة سنة ، ومكث سنتين في مكة ^(٨) ومن أولئك العلماء محمد بن محمد التازخنى ^(٩) الذى سافر بصحبة الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت . ومنهم أبو بكر الحاج عثمان ^(١٠) الذى حج مرتين ، ومحمد سنوبن عبد الله محمد بن سعد ^(١١) الذى أقام أكثر من عشر سنوات في رحلته وغيرهم . فمن المتوقع أن يكون مثل أولئك الذين يستفيدون بإقامتهم بالأزهر في طريقهم كثيرين ، وذلك لكثرة من يقوم بأداء هذه الفريضة من نيجيريا .

(١) البعثات غير الرسمية إلى الأزهر الشريف :

وبالإضافة إلى الذين يجاورون الأزهر في طريقهم إلى الحج ، فهناك عدد من الطلبة الذين كانوا يسافرون إلى القاهرة للالتحاق به . ولا شك أن عدد من كان يذهب إليه في القرون الماضية من مملكة البرنو وولايات الهوسا كان كثيراً والذى يؤكد هذا القول هو وجود رواق خاص لأهل البرنو من وقت مبكر . كان الطلبة إذن من البرنو ومن الولايات الأخرى يلتحقون بالأزهر ، وينضمون إلى ذلك الرواق . وقد ينضم بعضهم إلى الأروقة الأخرى كرواق المغاربة ، أو رواق الدكارة ^(١٢)

(٨) انظر إنفاق اليسور ، ص ٢٧ . وأيضاً :

Biver and Hiskett, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, vol. 25.

Part I, 1962, p. 140

(٩) إنفاق اليسور ، ص ٢٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(١١) تزيين الورقات ، ص ٣٤ .

(١٢) وهو رواق الطلبة الوافدين من بلاد التكرور .

ومع أنه من الصعب جداً أن نعرف على وجه التحديد عدد أولئك الطلبة وأسماءهم لعدم وجود سجل كامل الآن ، يحتوى على كل الأسماء ، فإنه مما لا شك فيه ، أن الطلبة من مملكة « البرنو وولايات الهوسا » ، أو ما عرف بنيجيريا فيما بعد ، كانوا يلتحقون بالأزهر ، ويدرسون فيه ، وينضمون إلى أحد الأروقة التي كانت موجودة ، وقد يكون عددهم كثيراً في بعض السنوات وقليلًا في بعضها .

وإذا نظرنا إلى سجلات رواق « البرنو » في الأزهر من سنة ١٣٠٧ إلى ١٣٠٨ هـ = ١٨٨٩ - ١٨٩٠ م نستطيع أن نجد صورة تلتق لنا بعض الضوء على من كان ينضم إلى الرواق البرنوي في تلك السنين :

وإليك أسماء الطلبة المسجلين في ذلك الرواق في تلك السنة (١٣) :

الاسم	البلد	القبيلة	تاريخ التسجيل
١ - عبد العزيز جبريل - شيخ الرواق		فلانه	١٣٠٢ هـ = ١٨٨٤ م
٢ - أبو بكر سليمان	كزورى	بكنو	١٣٠٤
٣ - إبراهيم حسن			١٣٠٨
٤ - حسين محمد			١٣٠٨
٥ - عبد الكريم أبو بكر		عادر	١٣١٨

(١٣) سألت جامعة الأزهر بواسطة وزارة الخارجية عن سجل الأزهر القديم ، فأخبرت بأن كل السجلات قد احترقت حينما شب حريق في الأزهر ، ولكن وجدت هذه الأسماء من الدكتور (محمد الحاج) وقد نسخها من سجل الأزهر قبل الحريق ، وله الشكر على ذلك .

تاريخ التسجيل	القبيلة	البلد	الاسم
١٣١١		برنو	٦ - أحمد علي
١٣١٦	فلاته	كنو	٧ - علي يعقوب
١٣١٦	فلاته		٨ - آدم أحمد آدم
١٣١٩			٩ - محمد منصور
١٣١٩	خويا ؟		١٠ - هود رمضان
١٣٢١		كنو	١١ - عبد الله آدم
١٣٢٢		برنو	١٢ - يونس مصطفى
١٣٢٢			١٣ - قاسم محمد إمام مصطفى
١٣٢٢		مروه	١٤ - محمد الزبير
١٣٢٢		برنو	١٥ - موسى أبيض عبد الرحمن
١٣٢٣		برنو	١٦ - الحاج محمد إسماعيل
١٣٢٣			١٧ - محمد أحمد القوضى الرضا
١٣٢٣		قطين	١٨ - محمد عمر
١٣٢٣	عادر		١٩ - أحمد عبد الوفا متلا
١٣٢٣		دمغرم	٢٠ - موسى حسين
١٣٢٣		برنو	٢١ - شعيب أبو بكر
١٣٢٣		القاضاوا	٢٢ - يوسف أبو بكر عثمان
١٣٢٣		القاضاوا	٢٣ - محمد أبو بكر عثمان
١٣٢٣		القاضاوا	٢٤ - عبد الرحمن سليمان

الاسم	البلد	القبيلة	تاريخ التسجيل
٢٥ - شويان على		فلاته	١٣٢٣
٢٦ - هارون عيسى	كزورى		١٣٢٣
٢٧ - أبو بكر عثمان على	كركره		١٣٢٤
٢٨ - إبراهيم موسى	إلورن		١٣٢٤
٢٩ - أحمد عبد الله	سكتو		١٣٢٥
٣٠ - على شريف محمد	برنو	كوكاوا	١٣٢٥
٣١ - محمد محمد عمر	مندره		١٣٢٥
٣٢ - محمد إبراهيم الفلاتي	سكتو		١٣٢٥
٣٣ - محمد على	بكوره		١٣٢٥
٣٤ - إبراهيم محمد	كرای		١٣٢٥
٣٥ - أبو بكر محمد	برنو	كوكا	١٣٢٥

يتضح من هذا الكشف ، أن الطلبة يأتون من البرنو ومن بعض الولايات الأخرى ، كما يأتي بعضهم من البلاد المجاورة لنيجيريا ، مثل دمغرم من نيجر Niger ومروة من تشاد Chad وقد يكون هناك عدد من الطلبة غير المسجلين ، أولئك الذين يستمعون إلى الدروس ويتظنون دورهم للتسجيل ، إذ أن التسجيل يعنى وجود منحة دراسية ، تضمن للطلاب وجود الرغيف وبعض التقود من الأزهر . وقد ينضم بعض الطلبة إلى أروقة أخرى كما ذكرنا سابقاً .

وهكذا استمر طلبة العلم يقشون الأزهر ويجاورونه ، طوال القرون الماضية ،

ينضمون لحلقاته ، ويستفيدون بجواره ، ويشقون بثقافته . فهم من يقضى مدة طويلة حتى يحصل على إجازة ، ثم يرجع إلى وطنه ، ويتصدر للتدريس ، ومنهم من تقصر مدة إقامته لظروفه الخاصة ، فيرجع بعد ذلك أيضاً ، ويتصدر للتدريس . ومنهم من تستمر به الإقامة ، وبطبيب له الحال ، فيقيم به ماشاء الله أن يقيم .

والظاهر أن الحكومات ، لم يكن لها دخل في تلك الرحلات التعليمية . ولكن من المحتمل أن يكون بعض الملوك والأمراء ، يقومون بتشجيع أفراد من الناس ومساعدتهم في تلك الرحلات . ويرجع الفضل كله للأزهر الذى كان يقبل كل طالب يذهب إلى جواره من البلاد الإسلامية ، ويعلمه بدون مقابل .

ولم يتوقف الطلبة النيجيريون عن الذهاب إلى الأزهر ، حتى بعد أن وقعت نيجيريا في قبضة الاستعمار ، ووضعت الحكومة المستعمرة حواجز بين نيجيريا والبلاد الأخرى ، وخاصة البلاد العربية والإسلامية . إلا أن الحكومة لم تفكر في إرسال بعثات تعليمية هناك ، مع شدة حاجة الناس إلى مثلها .

وفي خلال فترة الاستعمار كلها ، والتي تروبو على نصف قرن ، لم ترسل الحكومة أية بعثة علمية إلى مصر . هذا ، مع أن الحكومة تعرف حق المعرفة أن نظام المدارس ، ونظام التعلم الجديد الذى أدخلته كان من الممكن أن يتففع بالبعثات العلمية إلى مصر ، لمن يتعلم هناك ويتخصص في طريقة تدريس اللغة العربية ، ثم يعود ليطبقتها في المدارس النيجيرية . ثم قد كتبت بعض الجرائد النيجيرية في سنة ١٩٥٠ ، تقول : « إن الأزهر قد تفضل بإعطاء منح إلى نيجيريا ، ولكن الحكومة لم تقبل تلك المنح ولم تفكر في قبولها » .

(ب) البعثات الرسمية إلى مصر والسودان وإنجلترا والحجاز والعراق وليبيا :

لم تبدأ فكرة إرسال بعثات لتعلم اللغة العربية ، والتخصص في الدراسات الإسلامية ، إلا في الخمسينيات ، بعد ما بدأت نيجيريا تتمتع بالحكم الذاتي وبعد أن بدأت تسترد حريتها ، وبدأ الشعب يطلب توسيع التعليم بما فيه التعليم العربي والديني ، وأصبحت مسألة التعليم تشغل السياسيين ورجال التعليم من الوطنيين والأجانب . وقد كانت نقطة البدء في أمر البعثات للتعليم العربي والديني ، في الاجتماع السادس عشر للمجلس التنفيذي للحكومة الشمالية ، الذي عقد يوم ٢٦ مايو ١٩٥٢ . فقد وافق المجلس في تلك الجلسة على تشكيل لجنة للبحث في مشاكل تعلم اللغة العربية والدين . وكلفت اللجنة أن تدرس إمكانية إرسال بعثة تعليمية إلى الخارج ، لدراسة اللغة العربية والدين^(١٤) ، فهذه أول مرة تفكر فيها الحكومة جدياً في أمر إرسال بعثات إلى العالم العربي .

ودرست اللجنة تلك المشاكل التعليمية ، وفي خلال دراستها رأت أنه من الضروري ، أن تشكل لجنة فرعية تقوم بزيارة السودان ، لتبحث مع المسؤولين هناك المسائل المتعلقة بالدراسات العليا ، وخاصة إمكانية إرسال بعثة إلى المعهد العلمي . وذهبت اللجنة الفرعية من ٨ إلى ٢٥ أبريل سنة ١٩٥٣ . وبعد أن عادت تلك اللجنة ، قدمت اللجنة الأصلية تقريرها إلى الحكومة .

وفما يختص بإرسال البعثات التعليمية ، درست اللجنة إمكانية إيفاد الطلبة إلى البلاد العربية الإسلامية : كمصر والسودان ، والبلاد الإسلامية كباكستان ، والجامعات التي بها أقسام للدراسات الشرقية في إنجلترا . ووصلت اللجنة إلى نتيجة ، وهي أن الطلبة في جامعة الأزهر والجامعات الأخرى في مصر ، وجامعة الزيتونة في

(١٤) انظر : تقرير لجنة التعليم الإسلامي العالي سنة ١٩٥٣ في الملحق الأول .

تونس ، منغمسون في السياسة ومعتنون بها في كل النشاطات الجامعية . فلذلك أوصت الحكومة ألا ترسل بعثات إلى إحدى تلك الجامعات . وأما عن مدرسة الدراسات الشرقية في لندن وأمثالها في إنجلترا ، فإن اللجنة لحظت أنها لا تعالج الدراسات الإسلامية حسب التقاليد الإسلامية . وقد تدرس بعض الآراء الدينية التي لا تقبل في مجتمع نيجيريا . وكذلك الأمر في باكستان كما تراه اللجنة . والتوتر القائم بين الرجعيين والتقدميين في تلك البلاد ، أمر كان يقلق اللجنة ، ولا تريد أن يقحم طلبتها في ذلك . لم تكن اللجنة إذن ترى إيفاد بعثة إلى أي من البلاد المذكورة ، إما خوفاً من السياسة ، أو تحاشياً من آراء دينية غير مقبولة لدى النيجيريين . ومما لا شك فيه أن اللجنة كانت قد تأثرت بآراء بعض الموظفين الإنجليز ، الذين كانوا يكرهون إيجاد صلة بين نيجيريا وبين البلاد العربية الإسلامية .

كانت اللجنة تميل إلى إيفاد بعثة إلى السودان لأسباب ، أهمها أن السودان لا يزال في تلك الآونة تحت الاستعمار . وكانت اللجنة قد بحثت أولاً مع المسؤولين هناك - عندما قامت بزيارة تلك البلاد - إمكانية قبول الطلبة في المعهد العلمي . وقد ظهر لها في أول الأمر أنه معهد مناسب ، لأنه متخصص في الدراسات الإسلامية ، ولكنها بعدما درست مناهجه ونظامه تبين لها أن المعهد في تلك الآونة ليس فيه فصول عالية توافق مستوى الطلبة النيجيريين ، الذين أكملوا دراساتهم في مدرسة العلوم العربية ، وزيادة على ذلك ، أدركت اللجنة أن المعهد لم يكن منظماً تنظيمياً حديثاً ، ولم يزل حين ذاك في حاجة إلى تطور وتجديد . وفهمت أن لوزارة المعارف السودانية مشروعاً لتنظيم المعهد على طراز حديث . فرأت أنه يستحسن ألا ترسل بعثات إليه ، حتى يمر بفترة التطور وتبين نوع التغييرات التي تضاف إليه . ولا يتم ذلك إلا في خلال خمس سنوات على الأقل . ووجدت اللجنة أن بكلية الخرطوم الجامعية قسماً خاصاً بالأدب العربي ، ولكن لم يكن فيه إلا قليل من الدراسات الإسلامية . ولا يقبل الطلبة إلا إذا

حصلوا على مستوى القبول الجامعي General Certificate of Education بشرط أن يحصلوا على درجة (جيد جداً) إما في اللغة العربية ، أو في اللغة الإنجليزية ، وفي مادة إضافية أخرى في الآداب . وكان هذا فوق مستوى الطلبة النيجيريين في ذلك الزمن ، لسياسة التقدير في التعليم التي أشرنا إليها سابقاً . فقررت اللجنة أن تلك الكلية مناسبة لولا مستواها العالى في القبول ، وأوصت الحكومة بإفاد الطلبة إليها عندما يرتفع مستوى التعلم الثانوى في نيجيريا . . .

وقامت اللجنة أيضاً بزيارة كلية المعلمين ببخت الرضا في السودان ، فوجدت أنها كلية مناسبة للطلبة النيجيريين . فلذلك أوصت الحكومة بإرسال بعثة إليها . وقبلت الحكومة تلك التوصيات التي قدمتها اللجنة ، وقررت إرسال ستة من الطلبة ، يُختارون من خريجي مدرسة العلوم العربية^(١٥) .

البعثة الأولى إلى «بخت الرضا» للحصول على الدبلوم في التدريس ١٩٥٤ - ١٩٥٥ :

كانت هذه أولى بعثة تعليمية ترسلها الحكومة إلى البلاد العربية لتعلم اللغة العربية والدين . وقد ذهبت تلك البعثة في سنة ١٩٥٤ وكان عدد أعضائها ستة ومعهد «بخت الرضا» بالدويم ، مركز علمي كبير يتضمن أقساماً عدة ، كلها لتدريب المدرسين في المراحل المختلفة . والتحق أعضاء البعثة الأولى بقسم مدرسي المدارس الابتدائية . ويلتحق بهذا القسم من الطلبة السودانيين من أكمل دراسته الثانوية وانخرط في سلك التدريس . وقد يدرس لبضع سنوات أولاً قبل أن يلتحق به . ومدة الدراسة فيه ستان دراستان ، يدرس الطالب خلالها ثلاث مواد رئيسية ومادة فنية إضافية ، ويدرس كذلك نظرياً وعملياً طريقة تدريس تلك المواد . وفي آخر مدة الدراسة ، يوزع الطلبة

(١٥) انظر تفصيل ذلك في التقرير المذكور. الملحق الأول.

على المدارس الابتدائية لنحو شهرين ، يتدربون خلالها على التدريس ، ويشاركون عندئذ في كل النشاطات المدرسية . ويرافقهم مدرسوهم إلى تلك المدارس ، ويحضرون معهم بعض الحصص ، ثم يناقشونهم بعد الدرس .

أخذ أعضاء البعثة ثلاث مواد ، وهي : اللغة العربية ، واللغة الإنجليزية ، والدراسات الإسلامية ، ثم أضاف كل واحد منهم مادة فنية من بين هذه المواد الأربعة : الفن ، والتجديد ، وأشغال الكتب ، والرياضة البدنية ، والزراعة ، والموسيقى .

وبالإضافة إلى ما قام به أعضاء البعثة من التدريب في التدريس في المدارس العربية ، فإنهم أرسلوا أيضاً إلى جنوب السودان حيث شاهدوا طريقة تدريس اللغة العربية لغير العرب ، والمحاولات الجارية لتعريب تلك المنطقة . وقام الأعضاء أيضاً بزيارة تعليمية إلى مصر ، وزاروا خلالها المعاهد والمساجد والمتاحف .

وعاد أعضاء البعثة في أواخر سنة ١٩٥٥ ، بعد أن أتموا دراساتهم . ثم توالى البعثات بعد ذلك إلى «بجت الرضا» إلى عصر قريب^(١٦) .

البعثة الثانية إلى إنجلترا للحصول على الدبلوم في الدراسات العربية ١٩٥٤ - ١٩٥٥ :
وفي أواخر سنة ١٩٥٤ أوفدت الحكومة بعثة أخرى إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن . وكان عدد أعضائها ستة أيضاً . ومدة الدراسة سنة دراسية واحدة ، ينال الطالب بعدها درجة الدبلوم في الدراسات العربية . وبالإضافة إلى اللغة العربية وآدابها ، درس الطلبة كذلك التاريخ الإسلامي ، والنظم الإسلامية . ولم تكن تلك الدبلوم خاصة بالمدرسين مع أن أعضاء تلك البعثة كانوا كلهم من مدرسي

(١٦) استندت بملفات وزارة التعليم الموضوعة الآن في دار المحفوظات «بكنوة» تحت

المدارس الثانوية . ولم تستمر الحكومة في إرسال بعثات أخرى لدراسة هذه الدبلوم ولكن كانت ترسل بدل ذلك بعثات للحصول على درجة جامعية في نفس المدرسة .

البعثة الثالثة إلى إنجلترا ١٩٥٩ - ١٩٦٢ :

وفي سنة ١٩٥٩ أوفدت الحكومة أربعة من خريجي مدرسة العلوم العربية ، إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ، للدراسات العربية على مستوى الجامعة . وكانت هذه أولى بعثة من نوعها . فلم يكن الطلبة قبل ذلك يوفدون من قبل الحكومة ، لدراسة ينالون بعدها درجة جامعية في اللغة العربية . وعندما ذهب الطلبة أدركوا أن للجامعة شروطاً للقبول ، لابد من توفرها قبل الالتحاق بها . فلا بد من الحصول على الشهادة العامة للتعليم G.C.E. ، تلك الشهادة التي كان يجب على طلبة المدارس الثانوية في نيجيريا أن يحصلوا عليها ، لولا التقدير الشديد الذي فرضه الاستعمار عليهم في تلك الفترة . فلم تكن الإمكانيات إذ ذاك متوافرة في كل المدارس الثانوية العامة ، والتي على مستواها ، كما سبق أن ذكرنا . فلذلك كان حتماً على طلبة تلك البعثة ، أن يدرسوا على مستوى الشهادة العامة للتعليم - المستوى العالى - قبل أن يسجلوا في تلك المدرسة للشهادة الجامعية . وبعد سنة دراسية حصلوا على المواد المطلوبة ، وبالتالي توافرت لهم الشروط اللازمة للقبول وسجلوا للدراسات العربية الجامعية .

كانت الدراسات العربية في الجامعة ، تتناول قراءة وتحليل بعض النصوص الأدبية ، وشيئاً بسيطاً عن القواعد النحوية والعروضية ، والترجمة من العربية إلى الإنجليزية والعكس ، ، والتاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية . ومدة الدراسة ثلاث سنوات بعد الحصول على المواد اللازمة في الشهادة العامة للتعليم على المستوى العالى .

وتلت هذه البعثة ، بعثات أخرى إلى تلك المدرسة للدراسات العربية والتاريخية ، وللتخصص أيضاً في القانون والشريعة الإسلامية .

البعثات بعد الاستقلال :

وفي السنة التي استقلت فيها نيجيريا ، أقبلت البلاد العربية الصديقة وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية ، بتقديم منح لها لدراسة اللغة العربية والدين الإسلامى . فقد كانت مصر قبل ذلك - كما ذكرنا - تقدم تلك المنح إلى الشعب النيجيرى . ولكن الحكومة المستعمرة ، لم تكن ترحب بتلك المنح للأسباب التي ذكرنا سابقاً . فكانت المنح الدراسية في تلك السنة من : جمهورية مصر العربية ، والسودان ، والمملكة العربية السعودية ، والعراق ، وليبيا وقبلت الحكومة تلك المنح كلها ثم انتدبت عدداً من الطلبة وأرسلتهم إلى تلك البلاد الصديقة ليتابعوا دروسهم هناك . ولعل تلك المنح الكثيرة التي قلمتها بعض البلاد العربية ، دفعت الحكومة إلى تغيير سياستها نحو البعثات العربية . فقد ضاعفت عدد البعثات التي كانت ترسلها هي أيضاً للدراسات العربية بعد ذلك .

وبعد ما يربو على سنة ، بعد قبول تلك المنح ، من الاستعدادات اللازمة ، مثل اختيار الطلبة ، واستخراج جوازات السفر لهم ، وبقية الأوراق اللازمة ، ومعادلة شهاداتهم في البلاد التي يوفدون إليها ، وغير ذلك من الإجراءات الإدارية ، بدأت البعثات تخطط قديماً . وفي أول السنة الدراسية ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، ذهب تسعة وعشرون طالباً ، من قبل الحكومة إلى جمهورية مصر العربية ، والتحق ثلاثة عشر منهم بجامعة القاهرة ، وقبل الباقون في الجامعة الأزهرية . وكان أكثر هؤلاء الطلبة متمتعون بمنح الحكومة المصرية بالإضافة إلى بعض المساعدات المالية التي كانوا يجدها من قبل حكومتهم .

كانت هذه أول مرة في العصر الحديث ، يذهب فيها عدد لا بأس به من طلبة نيجيريا إلى مصر للتعليم بواسطة الحكومة . فلم يكن في مصر قبل ذلك ، طالب نيجيرى مبعوث من قبل الحكومة إلا ثلاثة من الطلبة . كانوا قد التحقوا بالأزهر في أوائل الخمسينيات ، ثم طلبوا من الحكومة النيجيرية مساعدة مالية لإكمال دراستهم ، فأعطوا منحاً تعليمية مكنت اثنين منهم أن يكملوا دراستها ، ويعودا إلى بلديهما . وأصيب ثالثهم بمرض أجبره على العودة إلى بلاده قبل إتمام دراسته .

وفي سنة ١٩٦٣ ، منحت كذلك الحكومة المصرية بعثات يبلغ عددها أربعين منحة . خمسة وعشرون منها من قبل الأزهر ، والباقي من وزارة التعليم العالى . وكانت هذه المنح موزعة على نيجيريا كلها . وهكذا توالى تلك البعثات التعليمية سنوياً إلى يومنا هذا .

وإلى السودان ذهب أحد عشر طالباً في أوائل السنة الدراسية (١٩٦١ - ١٩٦٢) على نفقة الحكومة السودانية ، التحق ستة منهم بالمعهد العلمى بأبجى درمان في حين أن خمسة منهم التحقوا بكلية المعلمين ببخت الرضا .

ونال ثمانية عشر طالباً منحة من المملكة العربية السعودية فذهبوا فيما بين شهر نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٦٢ ، إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والتحقوا بها . ولكن هذه البعثة لم تكلل بالنجاح كباقي البعثات الأخرى . فلم يكد الطلبة يقضون سنة هناك حتى طالبوا حكومتهم وألحوا في الطلب - بنقلهم من تلك الجامعة إلى بلاد عربية أخرى . وكتبوا إلى حكومتهم يقولون إن التعاليم الدينية التى كانت تدرس في الجامعة كانت مخالفة لتعاليمهم الدينية ، ومذهبهم المالكي ، الذى نشأوا عليه . وذكروا كذلك أن المستوى العلمى ، لم يكن كما كانوا يتوقعونه . وكانت الحياة الاجتماعية كما قالوا شاقة عليهم ، لدرجة أنه ليس في إمكان الطالب تركيز تفكيره في الدرس . ولم يعط أولئك الطلبة مجالاً للحكومة النيجيرية أن تنظر في أمرهم ، ولكن ثمانية منهم تركوا الجامعة

ورجعوا إلى بلادهم . ورفضوا أن يعودوا إلى دراستهم . ففصل منهم من لا يريد الاستمرار ، وكانوا هم الأكثرية . ولهذا رجع ستة عشر منهم ، والتحق أكثرهم بعد ذلك بالبعثات المصرية . ولم يبق في تلك الجامعة من البعثة الأولى إلا طالبان ، لم يعودا إلا بعد إكمال دراستهما الجامعية هناك .

والسبب الرئيسي الذي جعل أعضاء البعثة الأولى يرفضون الاستمرار في دراستهم في تلك الجامعة ، هو ما وجدوه من النظام والقواعد التي تضبط سلوك الطلبة ، وتحدد نظام حياتهم الثقافية والاجتماعية كلها . فالطلبة ملزمون مثلاً بإقامة صلواتهم كلها في المسجد مع الجماعة . فإذا جاءت الصلاة وجب على الكل مدرساً أو طالباً أن يسرع إلى الجامع لتأدية فريضته ، كما يجب عليهم المحافظة على السنن المحمدية كلها . أضف إلى هذا أن الطالب لا يجد في تلك الجامعة بعض الإمكانات التي يحتاج إليها ، للقيام بنشاطه خارج الفصل كالألعاب الرياضية ، والنوادي ، وغير ذلك من دور السينما والملاهي ، التي يجدها في المدن الجامعية الأخرى . فحياة الطالب هناك كلها جد ودرس وعبادة وليس فيها ما يرفه عن نفسه وينسيه متاعب الدرس . وأما من ناحية المستوى والتعليم فليس في الجامعة ما يبرر شكاوى الطلبة .

وإلى ليبيا ، ذهبت أولى بعثة من قبل الحكومة في سنة ١٩٦٢ ، وكان فيها عضوان من خريجي مدرسة العلوم العربية بكنو .

وأما الحكومة العراقية ، فقد قدمت عشرة أماكن منحا في جامعة بغداد في سنة ١٩٦٤ ، ولكن لم يذهب إليها في تلك السنة سوى خمسة من الطلبة لدراسة اللغة العربية .

وهكذا كثرت البعثات من قبل الدول العربية ، كما زادت الحكومة نشاطها نتيجة لذلك ولإقبال الطلبة على تلك البعثات .

أنتجت تلك البعثات خيراً كثيراً للغة العربية في نيجيريا ، فقد وجد الطلبة فرصهم

لدراسة جامعية ، ولقضاء فترة في البلاد العربية يعيشون خلالها مع إخوانهم الطلبة العرب ، ويتبادلون معهم الآراء ، ويجيدون خلال فترتهم الدراسية تلك اللغة .
ولم تخل تلك البعثات من نقص وأخطاء إدارية ، كان لها نتائج سيئة . منها ما حدث في اختيار الطلبة لتلك البعثات ، فقد كانت لجان البعثات حين بدأ المشروع دقيقة في اختيار الطلبة المبعوثين . فلا ترسل إلا طلبة أكفاء ، يستطيعون متابعة دروسهم ، والاستفادة بتعليمهم ولم تكن ترسلهم إلا بعد إجراءات طويلة ، بعد أن ترسل بأوراقهم إلى المدارس التي كانوا يريدون الالتحاق بها . ولكن الأمر تغير عندما كثرت البعثات فقد أرسل بعض الطلبة إلى تلك البلاد العربية من الذين كان إعدادهم في بلدهم ضعيفاً لدرجة لا يمكنهم الاستفادة الكاملة بتعليمهم هناك . ومن هنا كانت تلك المدة الطويلة التي قضاها بعضهم ، يعيدون الفصول كرة بعد أخرى ، ويرسبون في كل مرة يدخلون فيها الامتحان . ويتحولون من كلية إلى أخرى ، كل ذلك بلا طائل ، لأن مستواهم كان ضعيفاً ، ومنها عدم تحديد سن الطلبة المبعوثين فكان بعضهم لا يجاوز سن العشرين ، في حين أن البعض الآخر يجاوز الأربعين . ولكن هذه النقطة لم يكن لها نتائج سيئة . فقد يستفيد الكهل من الدراسة الجامعية ، إذا كانت له المؤهلات والاستعدادات اللازمة ، ولكن المشكلة تزيد تعقيداً إذا لم يكن لديه استعداد ولا أساس لتلك الدراسة . وكانت مسألة اللغة مشكلة أخرى مؤقتة لبعض الطلبة الذين أرسلوا إلى البلاد العربية ، فع أن أكثرهم ملمون باللغة العربية الفصحى إماماً فإنهم وجدوا صعوبة في فهم اللغة العامية ، ولكنهم تغلبوا على تلك المشكلة في خلال شهر .

وكان لتلك البعثات أثر واضح في مستوى التعليم العربي في نيجيريا ، فقد عاد المبعوثون بعد أن نجحوا في دراساتهم ، وانخرط أكثرهم في سلك التدريس في المدارس الثانوية والمعاهد العليا والجامعات ، وأسهم بنصيب في النهضة التعليمية العربية ،

ومنهم من انضم إلى وزارة العدل ، أو إلى الإدارة أو غير ذلك .
وبالإضافة إلى تلك المنح والبعثات الحكومية إلى المعاهد العليا والجامعات ، فقد
فكرت الحكومة أيضًا أن ترسل بعدد من الأطفال إلى جمهورية مصر العربية لبدءوا
دراستهم من المرحلة الابتدائية والثانوية . فأرسلت بعشرة أولاد إلى كلية فيكتوريا
(النصر فيما بعد) بالمعادي . ولكن الحكومة أوقفت ذلك ، بعد أن ظهرت مشاكل
كثيرة للتلاميذ ، ثم عادوا إلى بلادهم بعد إكمال الثانوية للالتحاق بالمعاهد العليا
هناك .

وقد أخذ بعض الأثرياء والجمعيات الخيرية ، يرسلون بالطلبة إلى البلاد العربية ،
بعد أن فتحت أبوابها للبعثات . والتحق بالأزهر خاصة ، عدد من الطلبة النيجيريين ،
وصلوا إلى الأزهر على حسابهم ، ثم نالوا منحة أزهرية بعد الالتحاق . وهناك أيضًا
عدد من الطلبة يذهبون إلى تلك البلاد العربية لدراسات أخرى غير العربية والدينية ،
إما من قبل الدول العربية ، أو من قبل حكومتهم ، أو على حسابهم الخاص . ولهذا
وتلك أثرها في التعليم العربي النيجيري .

افضل الثاني

اللغة العربية في الجامعات النيجيرية

(١) التعليم العالى في نيجيريا :

يرتبط تاريخ التعليم الغربى في كل مراحلہ بتاريخ الإرساليات التبشيرية في نيجيريا . فكما كانت الإرساليات التبشيرية تلعب دوراً هاماً في نشر التعليم الغربى والدينى المسيحى في المراحل الأولى والابتدائية والثانوية ، أسهمت كذلك في التعليم العالى في طوره المبدى . وكان غرض الإرساليات الرئيسى من التعليم العالى - وهو لا يختلف في غرضها طبقاً في المراحل الأخرى - تدريب رجال الدين وتزويدهم بالمؤهلات اللازمة ليتمكنوا من القيام بنشر الدين المسيحى في هذه البلاد . فإذا ما أُجِدَّ من الوطنيين رجال أكفاء يؤمنون بتلك الرسالة ، استطاعوا حمل عبء التبشير بين إخوانهم المواطنين ، لأنهم أعرف بشعورهم وبتقاليدهم وعاداتهم .

كانت الحركات التبشيرية في القرن الماضى نشطة في غرب افريقيا ، في المستعمرات البريطانية منها ، وفي البلاد المجاورة لها وهى التى كانت على وشك أن يبتلعها الاستعمار . وكانت سياستها في نشر الدين المسيحى تتم عن طريق نشر التعليم الغربى . وقد فتحت مدارس كثيرة في المراحل التعليمية الأولى كما ذكرنا . وفي سنة ١٨٢٧ أنشأت الجمعية التبشيرية للكنيسة كلية فوراه بى The Fourah Bay College في فريتاون بسيراليون Free Town, Sierra Leone^(١) . والغرض من فتح هذا المعهد كما لا يخفى هو :

(١) انظر :

Fafunuwa, A. Babs, Over Hundred years of Higher Education for Nigerian, Ministry of Information, Lagos, p. 4.

« تدريب القسيسين والمدرسين والموظفين للكنيسة »^(٢) . ولا شك أن هذه الكلية قد لعبت دوراً هاماً في نشر التعليم العالى في المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا . وكان الطلبة يشونون من غينيا وغانا ونيجيريا . إلا أن معظمهم كانوا من نيجيريا . وتذكر المراجع أن عدد الطلبة النيجيريين فيما بين سنة ١٨٢٧ م - السنة التي افتتح فيها - وسنة ١٩٥٠ كان يجاوز خمسين من مائة من عدد كل الطلاب^(٣) .

وأما الحكومة فلم تفعل شيئاً نحو التعليم العالى لمدة طويلة . فإذا لم توسع في التعليم الأولى والابتدائي والثانوى ولم تشجعه إلا بقدر ما تجد طائفة من الموظفين الصغار ، فن باب أولى التعليم العالى .

ولا غرو فهذه سياسة بريطانيا في كل مستعمراتها . تقتر في التعليم تقديراً شديداً ، ولم تفكر الحكومة في فتح نافذة للنيجيريين يشمون منها رائحة التعليم العالى إلا في سنة ١٩٣٠ حينما أصدر مدير المعارف المستر هسسى Hussey مقترحات إلى الحكومة يقترح فيها تقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل ، وتطويره وتوسيعه كما يلي^(٤) :

١ - المرحلة الابتدائية ويكون التعليم فيها لست سنوات ، وتعتبر الستان الأوليان قسماً أولياً . ويجد التلاميذ في هذه المرحلة تعليماً أساسياً . على أن تكون هذه المرحلة هى غاية ما يصل إليها أكثرية الشعب . ثم يتخرج التلميذ بدون أن يجد فرصة الالتحاق بأى مرحلة أخرى ، وتكون كذلك نقطة البدء لنبتة من التلاميذ المحظوظين الذين يستطيعون الالتحاق بالمرحلة الثانية التى هى :

٢ - المرحلة الثانوية وهى كذلك لست سنوات . والذي يتخرج في هذه المرحلة تستخدمه الحكومة في الوظائف البسيطة .

(٢) المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في :

٣- والمرحلة الثالثة تختص بالتدريب المهني ويكون الغرض منها تدريب المساعدين الأكفاء المؤهلين في الطب والهندسة والمهن الأخرى ومدرسى المدارس الوسطى . فهذه المرحلة الثالثة هي ذروة ما سيصل إليه الطالب النيجيرى حسب تخطيط مدير المعارف . وهى الدراسات العليا التى يراها المدير لائقة لأولاد الشعب المتفوقين . قبلت الحكومة هذه الاقتراحات ، ولوضعها فى حيز التنفيذ أنشأت كلية يابا Yaba College فى فبراير سنة ١٩٣٢ فى العاصمة . وأصبحت كلية لتدريب مهنى فى الطب والزراعة والهندسة والتدريس . وبدأ قبول الطلبة فى هذه الكلية فى سنة ١٩٣٢ ، ولكن الكلية لم تفتح رسمياً إلا فى التاسع عشر من يناير سنة ١٩٣٤ (٥) . وليس المقصود أن تكون هذه الكلية كلية جامعية يبلغ مستواها التعليمى مستوى الجامعة ، فلم تكن الحكومة محتاجة إلى التعليم الجامعى للنيجيريين فى ذلك الوقت . وقد أقر بذلك الحاكم العام فى كلمته التى ألقاها بمناسبة فتح الكلية حيث قال : حينما يرتفع مستوى الطلبة الذين يلتحقون بكلية يابا حسب التطور التعليمى فى المدارس التى يأتى منها الطلبة فإن المستوى العلمى فى هذه الكلية سيرتفع بدرجة مماثلة . ونحن نتطلع بأمل ولهفة إلى الوقت الذى يستطيع فيه الطلاب والطالبات من يابا أن ينالوا شهادة جامعية خارجية External Degree من الجامعات البريطانية فى المستقبل (٦) .

وقد ظهرت سياسة التقدير بوضوح فى طريقة قبول الطلبة فى هذه الكلية ، إذ كان الالتحاق بها أصعب من الالتحاق بالكليات العليا فى بريطانيا . وكم من طالب أغلق دونه الباب هناك فذهب إلى بريطانيا والتحق بإحدى كلياتها . وقد وصلت الكلية إلى درجة بشعة فى فصل طلابها . وسجل لها التاريخ أنها فى سنة ١٩٣٧ فصلت فصلاً كاملاً كان عدده ثمانية وعشرين طالباً . وفى السنة التالية كان عدده أربعة وعشرين

(٥) المرجع السابق ص ٤١ .

(٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

وُفصل منه عشرة^(٧) . وهكذا كانت في كل سنة تأخذ عددًا قليلا من الطلبة بعد إرهاب شديد ثم تفصلهم كلهم في بعض الأحيان أو أكثرهم في كثير من الأحيان . ولم تكن هناك إذن إمكانات للدراسات العليا في نيجيريا في تلك الفترة . فلذلك لم يكن بد على طلبة العلم إلا أن يسافروا إلى الخارج . فكان الطلبة يسافرون لدراسة اللغة العربية والدين الإسلامى إلى الأزهر أو إلى الحلقات العلمية في الحجاز ، كما يسافر أبناء الأثرياء من جنوب نيجيريا إلى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية للدراسات الجامعية في شتى الفنون . ولقد أسهم في إرسال عدد من البعثات إلى إنجلترا وأمريكا الجمعيات المسيحية في جنوب نيجيريا . وسافر بهذه الطريقة وبمجهود بعض الأفراد ، وخاصة بين قبائل برويا ، كثير من الطلبة بين سنة ١٩٣٠ و ١٩٥٠ م^(٨) .

ولم يكن الشعب يطالب بإنشاء جامعة في نيجيريا في العقود الأولى بعد دخول المستعمرين ، وذلك لعدم الوعي القومى . ولكن طائفة قليلة من المثقفين الذين درسوا في إنجلترا وأمريكا في أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى بدعوا يطالبون بإنشاء جامعة واحدة في غربى إفريقيا ، ولقد أثرت هذه الفكرة في المؤتمر القومى للمستعمرات البريطانية بغربى إفريقيا الذى عقد في أكرا بغانا في سنة ١٩٢٠ والذى حضره بعض أولئك المثقفين . وقد أوصى المؤتمر فيما أوصى بإنشاء جامعة في غربى إفريقيا تكون ملتحى للطلبة الإفريقيين . وتحافظ على التقاليد الإفريقية ، وتولد للطلبة الشعور بالقومية الإفريقية^(٩) . وقدم المؤتمر هذه التوصية مع غيرها إلى السكرتير العام لولايات المستعمرات البريطانية ، ولكن لم يحدث شىء بعد ذلك .

كانت أولى خطوة جديفة في برنامج التعليم العالى قد اتخذتها الحكومة البريطانية نحو

Fafunuwa, A. Babs, p. 12.

(٧)

(٨) المرجع السابق ، ص ٦ .

Lewis, L.J. p. 44.

(٩) المرجع السابق ، ص ٩ إلى ١٠ .

نيجيريا ونحو مستعمراتها في غربى إفريقيا عامة هى تشكيل لجتين في سنة ١٩٤٣ .
 أولاهما لجنة Elliot في التعليم العالى في غربى إفريقيا المشكلة في شهر يونيو ، والتي
 كانت مهمتها « وضع تقرير عن النظام والإمكانات الموجودة في مراكز التعليم العالى في
 المستعمرات البريطانية في غربى إفريقيا ، وتقديم توصية عن إنشاء جامعة في المستقبل
 في تلك المنطقة »^(١٠) . وثانيها لجنة اسكوث Asquith في التعليم العالى في
 المستعمرات البريطانية ، وكانت مهمتها « البحث في الوسائل التى يمكن أن توجه ترقية
 التعليم العالى والدراسة والبحث وإنشاء الجامعات في المستعمرات ، والقيام بدراسة
 استكشافية للوسائل التى تستطيع بواسطتها الجامعات والمؤسسات الملائمة في الولايات
 المتحدة أن تتعامل مع المعاهد في المستعمرات لجعل تلك الوسائل فعالة »^(١١) . قدمت
 اللجتان تقريرهما إلى الحكومة البريطانية ، ونشر ذلك في يونية سنة ١٩٤٥ . ومما
 أوصت به اللجتان إنشاء كلية جامعية في إبادن في نيجيريا .

(ب) كلية إبادن الجامعية :

فتحت الكلية أبوابها للطلبة في يوم ١٨ يناير سنة ١٩٤٨ ، وتحول طلبة يابا إلى
 إبادن وكوّنوا النواة الأولى للكلية الجامعية^(١٢) . ولم تحض فترة طويلة حتى أدرك الناس
 أن كلية إبادن الجامعية ليست كلية نيجيرية حقيقية ، وإنما هى صورة طبق الأصل
 للكلليات الإنجليزية . فنظام التعليم فيها لا يمت بصلة إلى المجتمع النيجيرى . ونوع التعليم
 فيها لا يستجيب لمطالب البلاد ، ولعله لا يحقق لها أغراضها .
 فتحت كلية إبادن على أن تكون كلية تابعة لجامعة لندن ، خاضعة لقوانينها ،

Lewis, L.J. p 44.

(١٠) انظر كتاب :

(١١) المرجع نفسه ، ص ٤٥ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وسائرة على طريقها ، تأخذ امتحاناتها ، ويحصل الطلبة فيها على درجة جامعية من جامعة لندن . ومعنى ذلك أنها ستكون كإحدى الكليات في إنجلترا . وسيكون المستوى المطلوب لمن يريد الالتحاق بها كالمطلوب في الجامعات الأخرى في الخارج . ولكن سياسة التفتير طغت على ذلك . فجعلت مستوى القبول أعلى من المطلوب في لندن . وأصبح من الصعب جداً الالتحاق بها . فلذلك كان بعض من لم يقبل فيها يسافر إلى الخارج ويلتحق بالجامعات هناك ، حتى صار عدد الطلبة النيجيريين الذين يدرسون في الجامعات في الخارج أضعاف عددهم في الداخل . وعلى سبيل المثال فقد كان عدد الطلبة في كلية إبادن لا يجاوز أربعائة في سنة ١٩٥٣ ، في حين أن عددهم في الخارج كان يبلغ ألفين في نفس السنة (١٣) .

كانت الحياة السياسية والاجتماعية في نيجيريا - بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها - تختلف كثيراً عن الحياة قبل ذلك . اتجهت أنظار الناس إلى النهوض بالتعليم العالى وبدعوا يرغبون في نوع من التعليم أقرب إليهم وأنسب إلى ذوقهم وتقاليدهم . وبدأ بعض المسئولين يتقنون سياسة كلية إبادن في البرلمان ، ويطالبون بتغيير الوضع فيها ليتناسب مع المجتمع النيجيرى ، ولتكون كلية نيجيرية صرقة . وكان يظهر صدى ذلك على صفحات الصحف التى أفسحت مجالاً للناقدين . هذا ، وقد استمرت كلية إبادن ككلية جامعية تابعة للندن إلى آخر سنة ١٩٦٢ عندما استقلت كجامعة قائمة على قدميها ومنفصلة عن جامعة لندن .

بدأ النهوض والتوسع الحقيقى في مجال التعليم بعد أن نالت البلاد الحكم الذاتى ، وأصبحت الحكومة ذاتها محتاجة إلى عدد من الأهالى الأكفاء يقومون بحمل مسئولية بلادهم بعد الاستقلال . وقد كانت السنوات الأخيرة الكاملة للعقد السادس مليئة بالحركات السياسية . وكانت الأحزاب السياسية والدوائر الحكومية كلها مشغولة

بالاستعدادات اللازمة لإشراق فجر الاستقلال وانكشاف ظلمة الاستعمار .
وكان مما فعلته الحكومة - استعدادًا لحمل تلك المسؤولية - أن شكلت لجنة خطيرة
في شهر أبريل سنة ١٩٥٩ . وعينت لرئاستها السير إريك أشبي Sir Eric Ashby .
وكانت مهمة هذه اللجنة هي « القيام بالبحث في طلبات نيجيريا في مجال التعليم بعد
الشهادة الثانوية والتعليم العالى لمدة عشرين سنة من سنة ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠ »^(١٤)
وكانت اللجنة تضم تسعة أعضاء ، ثلاثة من النيجيريين وثلاثة من الإنجليز وثلاثة من
الأمريكان . هذه هي أول خطوة جديّة تقوم بها الحكومة النيجيرية لدراسة شاملة
وتخطيط عام في مجال التعليم العالى في الحال وفي المستقبل . وكان من الواجب على
الحكومة أن تفكر جديًا في بناء طاقة بشرية قادرة على السير مع ظروف البلاد السياسية
والاقتصادية والإدارية . ولابد إذن من توسيع نطاق التعليم العالى لتمكن البلاد من
إخراج عدد من المواطنين المؤهلين الذين يستطيعون أن يحلوا محل الأجانب في الدوائر
الإدارية والفنية . ولذلك جاء تشكيل هذه اللجنة في وقت مناسب .

ونشر تقرير اللجنة في شهر أكتوبر سنة ١٩٦٠ - الشهر والسنة التي نالت فيها
البلاد الاستقلال التام . وقدم التقرير مقترحات وتوصيات تشمل المراحل الأولية
والابتدائية والثانوية ، كما تشمل التعليم الصناعى والتجارى ، وتضم ميدان الطب
والبيطرة والزراعة وزاوية تربية المدرسين والتعليم العالى الجامعى . ومن أهم المقترحات
عن جانب التعليم العالى ما يلي^(١٥) :

١ - أن تعطى الحكومة الفيدرالية Federal Government معونة ماليّة للحكومة

Lewis, L.J. p. 50.

(١٤) انظر :

(١٥) مقتبس من التقرير وهو :

Investment in Education = Report on Post School Certificate and Higher Education
in Nigeria. (Federal Ministry of Education, Lagos, 1960).

الإقليمية Regional Government في شرق نيجيريا لتطوير الجامعة الجديدة التي
فتحت قبل بضعة أسابيع من نشر تقرير اللجنة .

٢ - أن تفتح الحكومة جامعة في شمال نيجيريا . وأن يكون مقرها الرئيسي في
زاريا .

٣ - أن تؤسس جامعة جديدة في لاجوس .

٤ - أن تخطو كلية إبادن الجامعية خطوات إلى الأمام وتخرج من نطاق المحافظة ومن
تلك الزاوية الضيقة التي عاشت فيها حيناً من الدهر ، وأن تتوسع في مناهجها وتصبح
جامعة مستقلة .

٥ - أن تستقل كل جامعة من هذه الجامعات بنفسها . كل على شاكها . وتعطى
كل واحدة منها درجاتها العلمية الجامعية .

٦ - أن تشكل لجنة وتعرف بـ « اللجنة القومية للجامعات » ، وتتولى هذه اللجنة
إدارة شئون الجامعات كلها ، وخاصة فيما يتعلق بالشئون المالية وشئون توظيف الأساتذة
والمدربين ، وفيما يخص مسائل المقررات والدراسات التعليمية .

وقبلت الحكومة الفيدرالية التقرير برتمه . وفيما يخص إنشاء الجامعات المستقلة رأيت
الحكومة أن تفتح خمس جامعات مستقلة بدل أربع كما كانت تقترح اللجنة . ولقد
فتحت بالفعل فيما بين سنة ١٩٦٠ وسنة ١٩٦٢ هذه الجامعات جامعة نيجيريا
بأنسك - جامعة أحمد بللو بزاريا - جامعة إيني - جامعة لاجوس - وجامعة إبادن .

والذي يدرس تاريخ إنشاء الجامعات في نيجيريا يلحظ أن الجامعات عبارة عن
سلعة مستوردة من الخارج ، ونبت ثقافي أجنبي تتعلق جذوره بالثقافة الغربية . وذلك
لأن الجامعة لم تبني على أساس ثقافي تقليدي معروف ولكنها استوردت استيراداً
وغرست غرساً . فتاريخ إنشاء الجامعات في بعض البلاد الأخرى يختلف عن ذلك .
فالجامعة في جمهورية مصر العربية مثلاً نبتت من أصل قومي عريق ، كان أصله

المسجد والجامع الأزهر ، حيث كان طلبة العلم والعلماء يجتمعون ويتدارسون . ومن ذلك بدأت الحلقات العلمية وترعرعت حتى أصبحت مركزاً علمياً ثقافياً ، لافى جمهورية مصر العربية فحسب ، بل فى كل البلاد الإسلامية . وعندما أنشئت الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) الآن فى سنة ١٨٠٨ على نظام التعليم الغربى الحديث ؛ واستوردت إليها النظم والطرق التعليمية الحديثة جعلت تدريجياً تقتبس من الجامعة التقليدية القديمة التى نبتت من أرض الوطن . وأدخل فيها بالتدرج من العلوم التقليدية والثقافية الإسلامية ما جعلها جامعة لها علاقة بالمجتمع وللمجتمع علاقة بها . كما أدخل إلى الجامعة الأخرى - جامعة الأزهر - نظام جديد استوردته من الجامعة الجديدة وطرق الحضارة الحديثة . فجعلت الثغرة بين النظامين تتضايق حتى تسد ، فيصبح نوع التعليم الموجود هو ذلك الذى يستجيب لمطالب البلاد الحقيقية ، ويحقق للبلاد فائدة محققة .

وأول نقص ظاهر كان يشاهده النيجيريون فى جامعاتهم فى أول إنشائها هو عدم تلبية المناهج لحاجات المجتمع النيجيرى ، وبالتالي انقطاع صلة الجامعات بهذا المجتمع . فمثلا لم تكن الجامعات حين ذاك تدرس أى لغة محلية من اللغات النيجيرية . ويستطيع الطالب فيها أن يدرس - علاوة على اللغة الإنجليزية - اللغات الفرنسية واللاتينية واليونانية ، ولكنه لا يستطيع أن يدرس لغة الهوسا أو اليروبا أو الأبو . (اللغات الرئيسية الثلاثة) . هذه اللغات المحلية كانت تعامل على أنها لغات تتسم بالسذاجة والبساطة ، ولا تستحق الدراسة هناك ، إذ ليس لها - كما كانوا يقولون - من القواعد النحوية والآداب القديمة ما يجعلها على قدم المساواة مع اللغات الراقية العريقة التاريخ ! فحلها كما تعتقد الجامعة آن ذاك هو الأولية والابتدائية حيث السذاجة والبساطة . وكذلك الأمر فيها يتعلق بالتاريخ والعلوم الاجتماعية ، فما كانت تعنى الجامعة بدراسة تاريخ نيجيريا أو أفريقيا أو بالقيام ببحث النظم الاجتماعية والسياسية المحلية هناك ، وربط

ذلك بما تدرسه من العلوم الاجتماعية والسياسية . فهي ترى كل ذلك علومًا بدائية همجية .

تلك هي صورة الجامعة في السنين الأولى بعد فتحها . وقد أشار إلى تلك الحالة الدكتور الحاج الجنيدي في كلمة ألقاها في جامعة أحمد بللو بمناسبة منحه درجة الدكتوراه الفخرية بتلك الجامعة حيث قال : « اعذروني إذا كنت صريحًا بعض الشيء فلا حياء في العلم . اعذروني إذا قلت إن جامعتكم هذه كسائر الجامعات في نيجيريا هي نبت ثقافي مستورد ، تبدأ جذوره من تقاليد أخرى ، وهي جزء من تركة الثقافة التي ورثناها من اتصالنا بهذه التقاليد ومازلنا نحاول التلاؤم معها .. إنني أتكلم باسم عدد كبير من بني وطني عندما أقول إن جامعاتنا على عكس جامعة سنكارا تبدو وكأنها نيجيرية بأسمائها وموقعها الجغرافي فحسب . لقد نشأت هذه الحالة في هذه البلاد ، لأن أحدًا لم يدرس التطور الاجتماعي الذي تمثله هذه الجامعات وتهدف إليه . أقول لم يدرسه أحد لمعرفة أثره النهائي على مجتمعنا وعلى شخصية أمتنا . إن الرأي السائد هو أن الإنسان يسمو بمجرد المعرفة كما يشيع الاعتقاد أن مجرد التغيير تقدم ، دون نظر إلى أثره في المجتمع ، إن دعوة جامعاتنا لحل هذه الأفكار وشعورها نحو ثقافتنا هو ما يجعلها على طرف النقيض من جامعة سنكارا .

« ... إنني أوافق معكم على أن كل ثقافة لها اعتبارها ، وأن كل الثقافات تهدف لأهداف واحدة وتشارك في المبادئ الأساسية ولكن هناك فوارق دقيقة بين ثقافة وأخرى ، وهذه الفوارق على دقتها هي الأساس الذي يميز شخصية كل ثقافة . وعندما تمحي هذه الفوارق الدقيقة التي تميز ثقافة جماعة معينة فإن هذه الجماعة نفسها لا تلبث أن تضمحل » (١٦) .

(١٦) مقتبس من كلمة الوزير الجنيدي في كتيب نشرته الجامعة وهو :

The Relevance of the University to our Society, Ahmadu Bello University Press, No 1, Zaria 1972.

وهكذا كانت الجامعات برجاً عاجياً - على حد تعبير بعضهم - وخلقت في داخلها بيئة غربية اجتماعياً وثقافياً ، وقد كان الطلاب أنفسهم عندما يلتحقون بها لأول مرة يشعرون بأنهم في بيئة غربية ، حتى إذا ما قضى الطالب فيها فترة من الدهر وتمصص العادات والتقاليد الثقافية الجديدة اطمان إليها واطمأنت إليه ، وأصبح جزءاً من المجتمع الجامعي . ولكن كلما خرج من قوقته (أى قصد أهله في الإجازة) ظهر له ولهم أنه غريب في المجتمع . فكان بعض النيجيريين يعتبرون الجامعة مكاناً لمحو الثقافة الوطنية وتحطيمها ، وبناء الثقافة الغربية . ولكن الأمور تغيرت وتبدلت فيما بعد .

(جـ) اللغة العربية في جامعة إبادن :

من التطويرات والتغييرات التي حدثت بجامعة إبادن بعد سنة ١٩٦٠ حسب ما أوصت به لجنة أشبي^(١٧) إدخال دراسات إفريقية لها صلة بالمجتمع . وبدأ قسم التاريخ بالذات يقوم بأبحاث تاريخية قيمة ويجمع المخطوطات التي كانت مبعثرة قبل ذلك . وأدخل في الدراسات الإفريقية اللغات المحلية كذلك . وبما أن اللغة العربية مكانة مرموقة في نيجيريا ، وخاصة لدى المسلمين الذين لا يقلون عن خمسين مليون نسمة ، وبما لها من الصلة ببعض اللغات المحلية أنشأت الجامعة قسماً خاصاً باللغة العربية والدراسات الإسلامية في سنة ١٩٦١ . ولكن القسم في تلك الآونة كان موضوعاً على نمط أقسام الدراسات الشرقية في إنجلترا ، حيث تدور الدراسة حول تعليم اللغة العربية لا تعليم اللغة نفسها . وكانت العلوم الإسلامية تدرس لا كما هي على حقيقتها ، ولكن كما يراها المستشرقون .

وأول مشكلة واجهت هذا القسم ، بعد فتحه ، عدم وجود الطلبة المؤهلين في اللغة العربية الذين يمكنهم أن يلتحقوا بالقسم ويدرسوا اللغة العربية والدين الإسلامي . ذلك

(١٧) انظر صفحة ١٨٧ .

أن الطلبة الذين كانوا يتخرجون في المدارس الثانوية في جنوب نيجيريا ، ويحصلون على المستوى العالى في الشهادة العامة للتعليم (G.C.E.) ، كان مستواهم في كل المواد ، ما عدا اللغة العربية والدين ، يؤهلهم للالتحاق بالجامعة ، إما بالقسم الأذى أو العلمى ، حسب تخصصهم وميولهم . أما في اللغة العربية والدينية فكان مستواهم ضعيفاً جداً ، لأن اللغة العربية لم تكن قد وجدت محلها اللائق بها في المدارس الثانوية والابتدائية في تلك المنطقة . وليس في وسعنا أن نذكر أسباب ذلك ، لأنها ستجرنا خارج الموضوع ، ولكن المهم أن نذكر أن من الأسباب عدم وجود مدرسين أكفاء للغة العربية في تلك المدارس ، وعدم الاعتراف بالعربية كلغة ثقافية راقية من قبل بعض الحكومات المحلية في جنوب نيجيريا .

فإذا التحق مثل هذا الطالب بالقسم فلا مفر من أن تكون دراساته للعربية والدين كما هي في أقسام الدراسات الشرقية في إنجلترا . فهو يبدأ دراسته في الجامعة بدون أساس . وربما لا يستطيع قراءة الحروف الهجائية العربية . ويتعلم مثل هذا الطالب خلال إقامته بالقسم مبادئ اللغة العربية ، ويقرأ كثيراً باللغة الإنجليزية ما كتب عن اللغة العربية وتاريخها وعن العرب والإسلام وما يتعلق بذلك حتى إذا قضى في الجامعة ثلاث أو أربع سنوات خرج وهو حامل لشهادته ، ولكنه لا يتقن شيئاً في العربية لا قليلاً ولا كثيراً .

وهناك نوع ثان من الطلبة كانوا يتقدمون للدخول في القسم ، وهم الذين كانوا يتخرجون في المدارس الإسلامية الأهلية التي تدرس اللغة العربية والدين إلى مستوى إن لم يصل إلى مستوى الثانوية (في العربية والدين) في البلاد العربية فليس دونه بكثير . إلا أن مثل هؤلاء الطلبة لا يمكن قبولهم في القسم . لأن المدارس التي كانوا يأتون منها مدارس لم تكن الحكومة تعترف بها . وهي دون المدارس الثانوية في المواد الأساسية كالحساب والعلوم واللغة الإنجليزية ، ولم يكن الطلبة ينالون فيها الشهادة العامة للتعليم

(G.C.E.) - غير أن مستواهم في العربية والدين كما ذكرنا أعلن بكثير منه في المدارس الثانوية .

أدرك قسم « اللغة العربية والدراسات الإسلامية » بإبادهن العقبة التي كانت أمام النوع الثاني من الطلبة - وهم الطلبة المؤهلون في اللغة العربية والدين ولكن ينقصهم التعليم الأساسي العام ونيل الشهادة الثانوية - فلم ير القسم حلاً إلا أن يفتح لهم باباً خلفياً في الجامعة ليدخلوا منه ويدرسوا دراسة جامعية لنيل شهادة أسموها « شهادة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية Certificate in Arabic and Islamic Studies » ومدة الدراسة لنيل هذه الشهادة سنة دراسية واحدة . وبهذه الطريقة وجد الطلبة الذين من هذا النوع فرصة للالتحاق بالقسم ، كما وجد بعض مدرسي اللغة العربية والدين في تلك المدارس الأهلية هذه الفرصة . إلا أن الشيء المؤسف هو أن حكومة ولاية الغرب W. Redion لم تكن تعترف بمثل هذه الشهادة مع أن الطلبة الذين ينالونها يدرسون كذلك شيئاً من الثقافة العامة واللغة الإنجليزية ، ويأخذون دروساً في التربية والتعليم . ولاشك أنهم في اللغة العربية والدين يصلون إلى مستوى أعلى من مستوى إخوانهم الذين يلتحقون بالقسم من المدارس الثانوية الجنوبية . فإذا أكمل الطالب دراسته ونال شهادته لم يجد وظيفة إلا في المدارس الأهلية وقل أن يتقدم في وظيفته تلك ، إذا وجدها ، إلا شبراً .

ويستطيع الطالب في هذا القسم أن يدرس اللغة العربية وآدابها ويتخصص فيها وينال في آخر دراسته « شهادة التخصص Honous Degree » كما أنه من الممكن أن يأخذها كإحدى المواد الرئيسية إذا أراد أن يحصل على الشهادة العامة General Degree وللطلبة الذين يدرسون في أقسام التاريخ والدراسات الدينية واللغة الإنجليزية والتربية والتعليم أن يدرسوا اللغة العربية كلغة إضافية يستعينون بها في دراستهم الأخرى ، وخاصة إذا أرادوا أن ينضموا إلى الدراسات العليا فيما بعد . وفي

القسم أيضاً إمكانية لدراسة اللغة العربية والدين على مستوى دون الجامعي كما ذكرنا سابقاً .

وتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في هذه الجامعة يواجه مشاكل لا تقل عن المشاكل الموجودة في تعليمها بالمراحل الثانوية والابتدائية إن لم تكن أكثر تعقيداً وأوسع نطاقاً . فالمشكلة الرئيسية كما ذكرنا سابقاً هي عدم وجود المؤهلين الذين يستطيعون متابعة الدروس في هاتين المادتين على المستوى الجامعي الحقيقي . وهذه المشكلة هي بدون شك من الأسباب التي جعلت القسم يضطر إلى أخذ طلبة ليس لهم أى أساس في المادتين وتدرسيها لهم حسب الأساليب المتبعة في الجامعات الإنجليزية . ومع أن القسم فتح أبوابه في سنة ١٩٦٣ لمن يرغب في الالتحاق لدراسة غير جامعية فإن عدد المقبولين من الطلبة كان قليلاً جداً . ففي سنة ١٩٦٧ تخرجت أول دفعة من الطلبة الذين نالوا الشهادة الجامعية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية - وكان عددهم ثلاثة طلاب - وقد تخرج ثلاثة عشر طالباً في سنة ١٩٦٤ ممن نال شهادة اللغة العربية والدراسات الإسلامية . كما تخرج مثل هذا العدد في سنة ١٩٦٥ . ثم تدهور العدد إلى ستة في سنة ١٩٦٦ (١٨) .

وقد لاحظ الحاج آدم الألورى هذه المشكلة واقترح حلها أن تفتح الجامعات مدارس ابتدائية وثانوية خاصة لإعداد الطلبة للكليات التي تعنى بتدريس اللغة العربية . يقول في ذلك (١٩) : « فإذا أرادت جامعات نيجيريا أن تشترك في رفع مستوى التعليم العربي فلها أن تختار أحد أمرين :
أولاً : أن تقتدى بالجامعات العربية ، فتؤسس المدارس الابتدائية والثانوية

(١٨) انظر : The Brochure, Department of Arabic and Islamic Studies, University of Ibadan 1973/4 Session

(١٩) مقتبس من كلمة ألقاها في جامعة إبادن .

لتكوين الطلاب الذين يستطيعون فيما بعد أن يواصلوا تعليمهم العالى فى كلية الجامعة الخاصة بالعربية ، مثل كلية الآداب فى جامعة القاهرة ومدىق وغيرها .

ثانيا : أن تكفى بأساليب الجامعات الإنجليزية التى تعتبر العربية لغة ثانوية لها ، فتقبل الطلاب المؤهلين لدخول الجامعة تحت ضوء ثقافتهم الإنجليزية ليتروودوا بقليل من العربية كلغة أجنبية ، ليحصلوا بها وبالإنجليزية على درجة جامعية بعد إنجاز دراستهم المقررة . وإلا فسيصح التعليم العربى فى جامعاتنا مَضْحَكَة المفكرين وسخرية المستهزئين فى الداخل والخارج ، كما يصبح الذين يتخرجون منها ألعوبة فى أيدي المختصين .

والمشكلة الثانية عدم وجود كتب مناسبة ، وخاصة لتدريس اللغة العربية فى هذه المرحلة ، ولقد لجأ القسم إلى استعمال بعض الكتب المدرسية البسيطة التى يستعملها تلاميذ المدارس الابتدائية فى بعض البلاد العربية ، وهذه الكتب بطبيعة الحال لا تناسب وعقلية الطالب الجامعى ، وإن كانت لغتها وأسلوبها يناسبان المستوى المطلوب . وفيما عدا كتب القراءة لتزويد الطالب بالذخيرة اللغوية يعتمد الطالب على الكتب الموضوعية باللغة الإنجليزية ، والتى تعالج اللغة العربية أو أديها أو تاريخها أو نحوها أو غير ذلك .

والمشكلة الثالثة عدم وجود بيئة عربية فى الجامعة تشجع الطلبة على التحدث باللغة العربية إذ أن اللغة الإنجليزية هى لغة التفاهم فيها .

هذا وقد خطا القسم خطوات إلى الأمام بعد تذليل بعض الصعوبات التى كانت تواجهه ، وقام بنشاط لتطوير اللغة العربية فى الجامعة خاصة ، وفى نيجيريا عامة . وقد أسهم فى تلك الحركة معهد الدراسات الإفريقية الذى أنشئ فى الجامعة سنة ١٩٦٢ - ذلك المعهد الذى فتح مركزاً لتقييد المخطوطات العربية فى إفريقية ، وبدأ ينشر فى مجلة « البحوث » الدراسات التى كان يقوم بها أساتذة الجامعة وطلبة الدراسات العليا فى هذا الميدان . ونشطت كذلك حركة التأليف فى قسم التاريخ ، فبدأ ينشر أبحاثاً قيمة فى مجال

التاريخ الإفريقي والنيجيري تحت إشراف مدير الجامعة ذاته الذي كان تخصصه في التاريخ^(٢٠). ولا شك أن وجود أساتذة ومدرسين أكفاء من البلاد العربية ومن نيجيريا نفسها غير وضع القسم فيما بعد وبالتالي ارتفعت مترلة اللغة العربية وارتقى مستواها ، وأنجز القسم أبحاثاً قيمة في ميدان الثقافة العربية والإسلامية . ويتوفر القسم الآن على إمكانيات للدراسات العليا في اللغة العربية والدراسات الإسلامية . كما أن القسم يشترك في الإشراف على بعض الأبحاث التي تناول جانباً من جوانب الثقافة العربية أو الإسلامية .

جامعة أحمد بللو

أوصت لجنة أشبي^(٢١) كما قلنا بتأسيس جامعة في شمال نيجيريا على أن يكون مقرها زاريا . وطبقاً لهذه التوصية أوفدت الحكومة الشمالية وفدًا من مجلس الجامعات للتعليم العالي عبر البحار ليدرس دراسة وافية تفصيلية طريقة تنفيذ وتحقيق ذلك المشروع . وأتى الوفد إلى نيجيريا وزار بعض الكليات ، كما قام بمناقشة الموضوع مع كبار المسئولين في وزارة التعليم ، ثم قدم تقريره إلى الحكومة في شهر أبريل سنة ١٩٦١ . وفي الشهر نفسه من تلك السنة درست الحكومة ذلك المشروع ووافقت عليه وأصدرت قراراً بإنشاء جامعة شمال نيجيريا (وغير الاسم فيما بعد إلى جامعة أحمد بللو) ، وبتعيين مجلس الجامعة المؤقت تحت رئاسة السيد شتيا كاشيم . وعين أول مدير للجامعة في يوليو ، وتسلم منصبه في نوفمبر من السنة نفسها . وفي اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٩٦٢ دخل مشروع إنشاء الجامعة حيز التنفيذ رسمياً وقانونياً ، وبدأت الدراسة بالفعل في اليوم

العاشر من ذلك الشهر . وكان عدد الطلبة لا يتجاوز أربعائة طالب وطالبة .
وانضمت إلى الجامعة بعض الكليات والمعاهد العليا التي كانت موجودة في شمال
نيجيريا حين ذاك وهي :

١ - الكلية النيجيرية للآداب والعلوم والتكنولوجيا بزاريا .

٢ - كلية عبد الله بايرو بكنو .

٣ - معهد الإدارة بزاريا .

٤ - معهد البحوث الزراعية بزاريا .

هذه هي المعاهد التي أصبحت أساساً أولياً للجامعة الجديدة ، والتي بنى منها
أوعليها الكليات والمعاهد الأخرى فيما بعد . وتفرعت من الكلية الأولى كليات الآداب
والعلوم الاجتماعية ، والعلوم ، والهندسة ، والفنون الجميلة ، ومن الكلية الثانية كلية
الآداب والدراسات الإسلامية . وأصبح المعهد الثالث مقرّاً لكلية الشريعة والقانون
وكلية الإدارة . وأما المعهد الرابع والأخير فقد تطور إلى كلية الزراعة . ثم أضيفت
للجامعة كليات وأقسام أخرى تدريجياً .

وبما أن جامعة أحمد بللو أنشئت بعد طلوع فجر الاستقلال فن الطبيعي أن يتوقع
المجتمع النيجيري وجود جامعة نيجيرية غير مستوردة من الخارج ، جامعة تبنى على
أسس من تقاليدهم وثقافتهم ، بمعنى ألا تكون نيجيرية أسماً وموقعاً فحسب ، ولكن
نيجيرية حقاً ، وموضوعاً ، ورسالة .

ولقد حاولت الحكومة بادئ ذي بدء أن تبنى هذه الجامعة على أسس سليمة
وتتحاشى بعض الأخطاء التي ارتكبتها جامعة إبادان في مرحلتها الأولية ، ولكن العقبات
كثيرة ، والتيارات الجارفة للحضارة الغربية قوية ، فلم يكن من السهل أن تنجو الجامعة
من الزلّات التي انزلت فيها غيرها من الجامعات الإفريقية ، وأن تكون هي نفسها صورة
شبيهة للجامعات الإنجليزية ، ولكن الجامعة حاولت - ولا تزال تحاول - ربط الجامعة

بالمجتمع ، والاستجابة لمطالب البلاد الحقيقية . فقد اهتمت من أول الأمر مثلاً بإدخال بعض اللغات النيجيرية واللغة العربية في مناهجها ، وبالقيام بأبحاث مشرة في التاريخ خاصة ، وفي العلوم الاجتماعية عامة ، وعلى العموم فقد كان ذلك الاهتمام موجوداً فيها من أول نشأتها . وكانت الخطب الرسمية التي تلقى فيها أيام حفلاتها تؤكد دائماً ضرورة أن تكون الجامعة نيجيرية في طابعها الحقيقي ، ففي كلمة ألقاها رئيس وزراء الحكومة الشمالية بمناسبة تعيينه رئيساً فخرياً للجامعة في نوفمبر سنة ١٩٦٣ أكد هذه الفكرة وقال : « .. ولكنها كذلك جامعة شمال نيجيريا . فن الواجب أن يكون سلوكنا حسب المتطلبات والتقاليد والتراث الاجتماعي والثقافي للبلاد التي نعيش فيها . ومن المحتم علينا - ونحن في بلد ينمو بسرعة - أن نطلب مساعدة من الخارج ، ولقد وجدنا من استجاب لذلك في سخاء . ولكننا في طلب المعاونة من الخارج لا نقصد أن نجعل أية جامعة من الولايات المتحدة أو من رابطة الشعوب البريطانية معياراً للقياس نسير عليه . فيجب علينا إذن أن ننشئ ونطور معياراً بلائم تقاليدنا وظروفنا الآن ، ويستجيب لطلقاتنا في المستقبل . ولا بد أن تنبت وتنمو جامعتنا في أرضنا ومنها . وستصبح معهداً حقيقياً وليس مرآة تعكس صورة مؤسسة أجنبية (٢٢) » .

وعلى هذا الأساس بُنيت الجامعة . وكانت مهمتها الرئيسية في المرحلة الأولية - زيادة على ما يجب على كل جامعة جديدة ناشئة أن تقوم به ، من بناء المرافق للطلبة والمدرسين وبناء الفصول والمعامل وقاعات المحاضرات وتعيين المدرسين واختيار الطلاب - وضع مناهج مطابقة ، وصبغها بصنغ إفريقي نيجيري . وفي هذا المجال أسست الجامعة في كلية عبد الله بايرو قسماً خاصاً باللغة العربية والدراسات الإسلامية ، الذي أصبح فيما بعد كلية الآداب والدراسات الإسلامية .

كلية عبد الله بايرو

يرجع تاريخ إنشاء هذه الكلية إلى سنة ١٩٦٠ . وكان اسمها عند إنشائها كلية أحمد بللو ، وذلك قبل إنشاء الجامعة نفسها . وعندما أنشئت الجامعة أخذت اسم هذه الكلية وأطلقت على الكلية الاسم الذى تعرف به الآن وهو كلية عبد الله بايرو . لقد لمست الحكومة الشمالية الحاجة الشديدة إلى فتح قسم خاص يعدّ الطلبة للالتحاق بالجامعة والتخصص فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية ففتحت هذه الكلية وأضيفت إلى مدرسة العلوم العربية^(٢٣) . وكان الطلبة يلتحقون بها بعد نيل الشهادة الثانوية العامة للتعليم (المستوى العادى) . وكانت المواد التى تدرس هى : اللغة العربية والتاريخ الإسلامى ولغة الهوسا ، واللغة والأدب الإنجليزى . وكانت مدة الدراسة فيها سنتين ، يحصل الطالب آخرها بعد امتحان على الشهادة العامة للتعليم - المستوى العالى . وبعد ذلك يلتحق بالجامعة ويدرس لمدة ثلاث سنوات . وعندما أكملت الفرقة الأولى دراستها الإعدادية فى هذه الكلية سنة ١٩٦٢ رأت الحكومة أن ترسل الطلبة الناجحين إلى جامعة القاهرة للتخصص فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، إذ أن كلية الآداب والدراسات الإسلامية فى جامعة أحمد بللو لم تكن قد افتتحت بعد . فذهب عشرة من الطلاب الناجحين وقبلوا فى جامعة القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٦٢ . التحق ثمانية منهم بكلية الآداب فى حين أن تسعة التحق بكلية دار العلوم وعاشروهم بكلية

(٢٣) وفى السنة الدراسية ١٩٦٣ - ١٩٦٤ أى بعد إنشاء جامعة أحمد بللو بسنة ، وبعد أن انضمت كلية عبد الله بايرو إليها ، وتفرعت عنها كلية الآداب والدراسات الإسلامية - انضمت الكلية من مدرسة العلوم العربية إلى مبنى فندق المطار القديم ، حيث أقيمت مؤقتاً إلى أن يتم بناء الكلية الجديد ، وبعد إجراء عملية التغيير والتبديل والترميم اللازم فى الفندق وجدت فصول ومكاتب للأساتذة وموظفى الجامعة ومساكن للطلبة ، وبدأ التدريس فيها ككلية جامعية فى شهر يناير سنة ١٩٦٤ .

البيطرة (الطب البيطرى) .

لم ترغب هذه الكلية فى أن تأخذ نظام تدريس اللغة العربية عن الجامعات الإنجليزية وتطبقه فيها ، لأن ذلك لا يلىق بالمستوى المطلوب فى نيجيريا ، كما أنه ليس من السهل أن تطبق النظام المتبع فى الجامعات العربية ، وذلك لاختلاف نظام التعليم الثانوى بين البلدين . ومع أن مسئولية الكلية الأولى كانت إعداد الطلبة المتخصصين فى اللغة العربية والدين ، فإنها لم ترد أن تقصر نشاطها على هاتين المادتين بدرجة تجعلها ضيقة النطاق ، ومحدودة المجال ، ومقيدة النشاط . لأنها تعرف حقاً أنها إذا فعلت ذلك خرجت طلاباً لا يستطيعون منافسة إخوانهم من خريجي الكليات أو الجامعات الأخرى فى الوظائف الحكومية وفى النشاطات العامة . وستقتصم اللغة الأجنبية كاللغة الإنجليزية ، وسيصبحون كخريجي الأزهر فى العصر الماضى قبل تطوره ، حينما كان المتخرج منه متبحراً فى اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولملماً بالثقافة الإسلامية التقليدية ، ولكنه ضيق الأفق فى الحضارة الحديثة ، والثقافة العامة بما فيها اللغات الأجنبية . فى حين أن المتخرج من جامعة القاهرة مثلاً كان ملماً بالثقافة العامة والحضارة الحديثة على النظام الجامعى الحديث ، فأصبح يتخرج من مصر قبل تطوير الأزهر طبقة من خريجي الجامعة - تختلف كثيراً فى نوع ثقافتها ، وفى تقاليدها وأفكارها ، كما يختلفون فى الصعيد الاجتماعى . فالأزهر يمثل الثقافة الإسلامية التقليدية العريقة ، والجامعة كانت تمثل الثقافة الغربية الحديثة (٢٤) .

ولم ترد كلية عبد الله بايرو أن تنجب طلبة متخلفين من غيرهم فتوجد بذلك ثنائية فى التعليم ، ولكنها أرادت أن تكون مركزاً وملتقى للحضارتين : الإسلامية القديمة

(٢٤) وقد أدى إلى مايسمى بثنائية التعلم ، وعرفت مصر لمدة طويلة سلمين تعليميين ، ينشأ أحدهما من الكتاب إلى الأزهر . ويبدأ الثانى من الابتدائية إلى الجامعة ، ولكن الأمر بدأ يتغير بتطوير الأزهر ، وبدأت الفروق تتلاشى بين التعليمين .

والغربية الحديثة . فذلك شقت طريقاً جديداً في نظام التعليم وتخطيط المناهج . وأوجدت منهجاً تعليمياً مزدوجاً يوجب على الطالب أن يدرس علوماً متعددة يتسع معها أفقه ، ويلم بقدر من الثقافة العامة ، ثم يتخصص فيها بعد في المرحلة الأخيرة على نظام تعليمي هرمي .

وبعد إنشاء القسم الجامعي في الكلية أصبح لها فرعان : جامعي وإعدادي ، أما الفرع الجامعي فيقبل الطلبة بعد إتمام الدراسة الثانوية ونيل الشهادة العامة للتعليم G.C.E. بشرط أن ينجح على الأقل إما في مادتين بالمستوى العالى ، وثلاث مواد بالمستوى العادى ، أو في ثلاث مواد بالمستوى العالى ومادة واحدة بالمستوى العادى . وكذلك يقبل الطالب الذى أكمل الدراسة الإعدادية في الكلية واجتاز بنجاح امتحان القبول للقسم الإعدادى . ومدة الدراسة في هذا القسم الجامعي هي ثلاث سنوات يدرس الطالب فيها ثلاث مواد رئيسية في السنة الأولى ، ويختار في السنة الثانية مادتين رئيسيتين ، ومادة إضافية ، وفي السنة الثالثة يختار بين التخصص وعدمه . فإذا أراد التخصص اختار مادة واحدة رئيسية وزاد عليها أخرى إضافية . وإذا لم يرد التخصص في مادة واحدة استمر يدرس مادتين رئيسيتين وأخرى إضافية .

ويضم هذا الفرع الجامعي الأقسام التالية :

١- قسم اللغة العربية وآدابها .

٢- قسم الدراسات الإسلامية .

٣- قسم التاريخ .

٤- قسم اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى . (ويدرس هذا القسم اللغات الإنجليزية والفرنسية ولغة الهوسا . وقد انفصلت لغة الهوسا فيما بعد ، عام ١٩٧٣ ، وأصبحت قسماً مستقلاً بنفسه .

فعلى الطالب في السنة الأولى أن يدرس في ثلاثة أقسام من هذه الأقسام على السواء

ثم يبدأ بالتخصص تدريجياً في السنة الثانية وينتهي إذا أراد التخصص بالانضمام إلى قسم واحد في السنة الثالثة .

وأما الفرع الإعدادي فكانت مدة الدراسة فيه سنتين ، يدرس الطالب فيها ثلاث مواد زيادة على اللغة الإنجليزية التي كانت إجبارية . ولا يقبل الطالب في هذا الفرع الإعدادي إلا إذا اجتاز بنجاح امتحان الشهادة العامة للتعليم في خمس مواد على الأقل بالمستوى العادي ، أو نجح بدرجة جيد جداً في خمس مواد في امتحان الشهادة المدرسية لطلاب إفريقيا ، بشرط أن تكون إحدى المواد التي نجح فيها اللغة العربية أو لغة الهوسا ، كما يشترط النجاح أيضاً في اللغة الإنجليزية . ويقبل أيضاً الحائز على شهادة المدرسين الدرجة الثانية ، والذي نجح في امتحان القبول الإعدادي الذي تضعه لجنة كلية الآداب والدراسات الإسلامية .

والذين يقومون بمهمة التدريس في قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الكلية هم أساتذة ومدرسون من جمهورية مصر العربية ، ومن جمهورية السودان الديمقراطية ، وكذلك من بعض البلاد الإسلامية الأخرى ، ومن النيجيريين . ولغة التدريس في القسمين أساساً اللغة العربية ، وقد تستعمل اللغة الإنجليزية في بعض المحاضرات في قسم الدراسات الإسلامية . ويعود الطلبة على الرجوع إلى المراجع وأمهات الكتب العربية في الأدب واللغة والتفسير والفلسفة الإسلامية وغير ذلك . وكان الطلبة من القسمين يقومون بنشاط ثقافي خارج دروسهم الرسمية ، ولهم جمعيات أدبية وثقافية تقوم بتنظيم المحاضرات والندوات والمناقشات ويشترك فيها كل من المدرسين والطلبة . ويصدر قسم اللغة العربية مجلة أدبية اسمها « الفجر » يكتب فيها الطلبة مقالات أدبية وثقافية ، كما يشترك في الكتابة بعض الأساتذة والمدرسين فينشرون بعض أبحاثهم القيمة . ولاشك أن هذه النشاطات الثقافية تساعد في إيجاد بيئة ملائمة لنشر الثقافة العربية والإسلامية في الكلية .

وأما المشكلات التي كانت تواجه قسم اللغة العربية في تعلم هذه اللغة فإنها تختلف عن المشاكل التي كانت موجودة في جامعة إبادن فالطلبة الذين يلتحقون بالكلية يأتي أكثرهم من الولايات الشمالية حيث تدرس اللغة العربية في الثانوية ولكن المشكلة الرئيسية هي أن الطلبة يأتون ومستواهم في هذه اللغة مختلف . الطالب الذي يأتي من مدرسة العلوم العربية بكنو وأمثالها يأتي بمستوى عال ، في حين أن الطلبة الذين يأتون من بعض المدارس الثانوية يدخلون ومستواهم ضعيف . فكان من الواجب على القسم إذن أن يضع برنامجاً مطابقاً لكلا المستويين ، وخصوصاً في السنة الأولى ، وأن يحاول سد الثغرة بين مستواهما في خلال ثلاث سنوات .. وأما بالنسبة إلى الكتب فلا إشكال ، إذ أن الطلبة يتلقون محاضرات ثم يرجعون إلى المراجع التي يشير إليها المحاضر ، ويجدونها في مكتبة الكلية أو مكتبة القسم .

وهكذا دخلت اللغة العربية الجامعة في نيجيريا كما دخلت في الجامعات الأوربية والإنجليزية ، ثم بدأت بالتدرج تتغير وتتطور وتجد محلها اللائق بها كلغة حية مثل باقي اللغات الحديثة التي تدرس في الجامعات . وقد أدرك الآن كثير من الباحثين في الجامعات النيجيرية أهمية هذه اللغة وضرورة معرفتها لكل من يقوم ببحث في التاريخ أو في الموضوعات التي تتعلق بالحياة الثقافية والاجتماعية في نيجيريا .

المخاتمة

تعرض هذا البحث فى التمهيد إلى ذكر حقائق تاريخية تدل على أن اللغة العربية والدين الإسلامى قد دخلا إلى غربى افريقية وإلى نيجيريا فى وقت مبكر ، أى قبل القرن الحادى عشر ، كما يذهب إليه كثير من المؤرخين . وكان ذلك عن طريق سلمى ، وهو طريق التجارة . وأما انتشار الإسلام والثقافة العربية فقد كانا منذ القرن الحادى عشر فى مملكة الهنو ، والرابع عشر فى ولايات الهوسا . ومن أهم ماحققناه هنا هو أن اللغة العربية كانت تتمتع باحترام كبير منذ تلك الفترة الأولى . فقد كانت هى اللغة الراقية التى تكتب . وكان المسلمون القليلون الذين يفهمونها ويعرفون كتابتها آن ذاك فى مترلة رفيعة عند الناس ، حتى عند الوثنيين وكانوا يشغلون مناصب حكومية مهمة فى مملكة وثنية ، كأمانة بيت المال والوزارة وغير ذلك .

وقد رأينا فى الباب الأول الدور الخطير الذى قام به الإسلام فى نشر الثقافة العربية . فبدخول الإسلام فتحت المدارس القرآنية والعلمية ، وبدأت الرحلات الى الأراضى المقدسة وإلى طلب العلم . ثم كانت الحركة الثورية التى قام بها الشيخ عثمان فغيرت مجرى التاريخ حتى أصبحت اللغة العربية لغة رسمية فى نيجيريا .

وأما فى الباب الثانى فقد تناول البحث عرضاً لحركة اللغة وتطورها من دخولها إلى العصر الحاضر . وتناول تفصيلاً ماوصلت اليه اللغة العربية من الازدهار فى دولة سكتو . وماأصابها من الجمود المؤقت بعد دخول المستعمرين . وقد تعرض البحث أيضاً إلى ذكر المؤثرات الحديثة التى أثرت فى تعليم اللغة العربية بعد إنشاء المدارس الحديثة ، وكيف أدى ذلك إلى وجود طريقتين مختلفتين لتعليمها : الطريقة التقليدية القديمة على

نمط النظام الأزهرى القديم ، والطريقة الحديثة المعروفة الآن في المدارس . وأهم
ماحققه البحث هنا هو مايلي :

١ - قامت المدارس القرآنية بدور مهم في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في
نيجيريا ، كما قامت بمجهودات كثيرة في مجال محو الأمية .

٢ - يرجع الفضل الأكبر في نشر اللغة العربية في نيجيريا في القرن الماضي إلى
الحركة الثورية الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي .

٣ - ازدهرت اللغة العربية في القرن التاسع عشر ، ووصلت إلى مستوى عال في
نيجيريا ، ولا يقل مستوى بعض المؤلفات في تلك الفترة عن مستوى الكتب التي ألفت
في الفترة نفسها في البلاد العربية .

٤ - أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دولة سكتولمدة قرن كامل . وكانت
هي اللغة الدبلوماسية التي يكتب بها ملوك نيجيريا إلى ملوك البلاد الأخرى شرقاً وغرباً .

٥ - أصاب اللغة العربية نوع من الجمود المؤقت في العقود الأولى بعد دخول
المستعمرين ، فلجأت أو أجبرت على اللجوء إلى زاوية منزلة ، بعيدة عن الحياة
الثقافية والسياسية والاجتماعية . وتلك هي الزاوية الدينية على نطاق ضيق .

٦ - بدأت اللغة العربية تستعيد نشاطها قبل أن يولى الاستعمار ظهره بسنوات قليلة .
ثم دار النشاط وبدأ التطور مرة أخرى بعد الاستقلال .

٧ - لم تصل إلى نيجيريا إلا مؤخراً ربح نهضة اللغة العربية التي هبت في البلاد
العربية .

وفي الباب الثالث والرابع انتقل البحث إلى دراسة الأدب العربي النيجيري في
القرنين التاسع عشر والعشرين . وعرضنا نماذج منه في الشعر والنثر وحللناها تحليلاً فنياً
أديباً . وتبعنا تطوره في خلال فترات مختلفة . ثم تناول البحث بعض خصائص اللغة
العربية في نيجيريا في النطق وفي مجال استعمال الألفاظ وفي الشعر .

وأما في الباب الخامس والأخير فقد تناول البحث البعثات التعليمية لدراسة اللغة العربية وآدابها إلى البلاد العربية وغيرها ، وأثر تلك البعثات في تطور اللغة العربية في نيجيريا ، كما تناول أيضًا تعلم اللغة العربية في الجامعات النيجيرية .

وإذا كانت اللغة العربية قد ازدهرت في نيجيريا في القرن الماضي وتوقفت عجلة السير فترة في أوائل هذا القرن ثم تابعت العجلة سيرها إلى الأمام في السنين الأخيرة فما مستقبلها في نيجيريا ؟ وما هي العقبات التي تقف في طريقها إلى التطور والتقدم ؟ هذه اللغة مكانة مرموقة في نيجيريا ، ولها مستقبل مزدهر . ولكن لا بد من إزالة العقبات وتذليل الصعوبات وزيادة الإمكانيات لتعليمها قبل أن تصل إلى مكانها اللائق بها ، والمشكلة الرئيسية التي يجب معالجتها فوراً هي عدم وجود عدد كافٍ لمدرسي هذه اللغة في كل المراحل التعليمية ، وعدم صلاحية عدد كبير من مدرسيها الآن ، وخاصة في المرحلة الأولية ، إذ لا يزال كثير منهم غير مؤهل للتدريس . فالواجب إذن هو توسيع المعاهد التربوية التي تقوم بتدريب المدرسين وتزويدها بكل الإمكانيات والوسائل الحديثة التي تساعد المدرس في القيام بعمله بعد التدريب ، وعلى من يريد التخصص في تدريس هذه اللغة أن يأخذ تدريباً واسعاً كما يأخذه غيره من مدرسي المواد الأخرى لئلا يكون بينه وبينهم فرق في الثقافة العامة أو في الرواتب . وهذا الأمر يجب على الحكومة المركزية النيجيرية وحكومات الولايات التي يهملها هذا الأمر أن تقوم به ، وخصوصاً أن نيجيريا الآن تتطور تطوراً سريعاً في التعلم . وأمامها ذلك المشروع القيم الذي يعطى التعلم مجاناً لكل من البنين والبنات ويجعله إجبارياً أو يجعله كالماء والهواء على حد تعبير المرحوم الدكتور طه حسين ، والذي سيبدأ تنفيذه ابتداءً من سنة ١٩٧٦ ، ونجاح هذا المشروع يعتمد أولاً على وجود عدد كافٍ ومؤهل من المدرسين الذين يقومون بالتدريس في المدارس الأولية . ومن المؤسف أن الحكومة والشعب النيجيري لا يهتمون اهتماماً بالغا الآن بهذه المرحلة الأولية ، ولا يعطونها ماتستحقه من

العناية ، مع أنها هي الأساس وعليها يعتمد نجاح المراحل التالية ، والمدرسون في هذه المرحلة أحوج إلى التدريب من غيرهم لخطورتها وأهميتها في بناء الجيل الناشئ . ومن الممكن إيفاد المعلمين لتدريس اللغة العربية في المراحل التعليمية الأخرى من البلاد العربية الشقيقة ، ولكن ذلك ليس ممكنًا في المدرسة الأولى ، إذ لا يستطيع التدريس فيها إلا من يفهم البيئة فهمًا تامًا ويكون ملماً بالمشاكل التعليمية الموجودة في هذه المرحلة . وبالإضافة إلى توسيع مجال تدريب مدرسي اللغة العربية يجب أيضًا إيفاد عدد أكبر من المدرسين من البلاد العربية وخاصة من جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان الديمقراطية وهما دائمًا على استعداد في معاونة الحكومة النيجيرية في هذا المجال .

ومن العقبات التي تواجه تعلم اللغة العربية في نيجيريا حاليًا عدم وجود وسائل سمعية وبصرية حديثة وكافية لتدريس هذه اللغة مثل الكتب والصور والأفلام والشرائط وغيرها . والكتب المستعملة الآن ليست مناسبة ، لأن أكثرها كتب ألفت لتعليم هذه اللغة حيث هي اللغة الاولية . فلا يستطيع التلميذ النيجيرى أن يسوغها بسهولة ، لأنها تتكلم ، في الغالب ، عن بيئة لايفهمها . وقد بدأ البعض الآن في وضع كتب تناسب التلاميذ إلا أنها ليست موضوعة على أسس علمية تربوية حديثة . فالواجب إذن هو أن ينهض عدد من المتخصصين النيجيريين والمدرسين العرب الذين يقومون بالتدريس هناك بتأليف كتب مناسبة وموضوعة على أسس تربوية سليمة . وهناك دور مهم يجب أن تقوم به الدول العربية كلها إزاء تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . وأهمية اللغة العربية بصفها لغة دين للملايين من المسلمين وبصفها لغة معترفًا بها في كل المنظمات الدولية العالمية ، يقتضى اتخاذ خطوة إيجابية لنشرها في العالم بوصفها لغة ثانية على نفس الطريقة التي تنشر بها اللغات الأوربية في العصر الحاضر . وواجب الدول العربية أن تفتح أقسامًا خاصة في جامعاتها لتقوم بدراسة وبحث

مشكلات تعلم اللغة العربية كلغة ثانية ، ثم تضطلع بوضع أسس وأساليب حديثة من شأنها تذليل الصعوبات وتسهيل طرق تعلم هذه اللغة . وتطبع هذه البحوث ليستفيد بها من يقوم بتعليم هذه اللغة في البلاد التي ليست اللغة العربية فيها هي اللغة الأولى . ويجب أن تحاول الجامعات تنسيق عملها وبحثها في هذا الميدان ، وتبادل النتائج التي وصلت إليها . وبإنشاء هذه الأقسام تستطيع كل جامعة إعداد محصنين في تعليم العربية لغير العرب . ويمكن هذه الجامعات أن تعيهم للبلاد التي تقوم بتدريس هذه اللغة عند الطلب . كما أن الجامعات إذا أنشأت هذه الأقسام تستطيع أن تفتح أبوابها لمن يأتي من تلك البلاد ويريد التخصص والبحث في هذا المجال .

وقد قامت بعض الجامعات الإنجليزية بمثل هذه البحوث فيما يتعلق باللغة الإنجليزية وأنشوا منهجاً خاصاً لتعليم الإنجليزية لغير الإنجليز . وتقوم هذه الجامعات بتنظيم مؤتمرات علمية للنظر في أحدث البحوث وأحدث الوسائل لتعليم هذه اللغة في مختلف المراحل .

وفي إمكان الدول العربية أيضاً أن تنشئ مركزاً^(١) خاصاً يقوم بهذه العملية كلها ويكون تابعاً لإحدى الجامعات العربية . ويضع على عاتقه مسئولية القيام بالأبحاث في هذا الميدان وإعداد المحصنين وتنظيم المؤتمرات العلمية وتقديم المساعدات الفنية لمعلمي العربية لغير الناطقين بها .

ويوجد دور مهم ينبغي أن يقوم به الكتاب العرب في مجال الثقافة العربية العامة . وهذا الدور هو وضع كتب خاصة للقراء غير العرب وغير المتخصصين في اللغة العربية . فالأدب القصصي والروائي العربي قد وصل الآن إلى مستوى عال . إلا أن الذي يستطيع قراءته والتمتع به هو الشعب العربي أو من يتخصص في اللغة العربية في الأقطار

(١) تقوم جامعة الدول العربية الآن بإنشاء معهد في الخرطوم بجمهورية السودان لإعداد مدرسي اللغة العربية لغير العرب ، والقيام بدراسات لغوية وبحوث علمية في هذا المجال .

غير العربية . وأما المثقف العام فإنه لا يستطيع ذلك . فلا يجد كتاباً بسيطاً في لغته وعالياً في أفكاره يقرؤه للمتعة . فياحبذا لو قام بعض الكتاب بإعادة كتابة بعض القصص والروايات في لغة بسيطة مختارة يفهمها المتعلم بدون مشقة . وقد قام الإنجليز بترجمة كثير من كتبهم الأدبية إلى لغة أدبية بسيطة يفهمها غير المتخصص وتسمى السلسلة البسيطة Simplified Series وهي مكتوبة بألفاظ مختارة في حدود فهم المتعلم حسب مراحل التعليم ولاشك أن مثل هذه السلسلة سيكون لها رواج كثير في البلاد غير العربية التي تتعلم هذه اللغة . فإذا قامت البلاد العربية بهذه الأدوار المهمة فلاشك أن اللغة العربية سترزدهاراً كبيراً وتنتشر انتشاراً واسعاً لافي نيجيريا فحسب ، ولكن في البلاد الإسلامية والإفريقية كلها ، بل في العالم بأجمعه .
والله ولي التوفيق

الملاحق

- الملحق الأول : تقرير لجنة التعليم الإسلامي العالى ، ١٩٥٣ .
- الملحق الثانى : طائفة من القصائد .
- الملحق الثالث : رسالة الوزير محمد البخارى إلى أهل العلم والتدبير فى نيجيريا .
- الملحق الرابع : خريطة توضح مواقع البلاد المشهورة فى نيجيريا الواردة فى الرسالة .

الملحق الأول : تقرير لجنة التعليم الإسلامي العالى سنة ١٩٥٣

(مترجم من اللغة الإنجليزية)

لم يكن رأى العام راضياً عن الإمكانيات المتاحة للتعليم الإسلامى فى هذا الإقليم ، منذ سنوات عديدة ، وكان رأيه ونقده يتركز فى أربع نقاط رئيسية :

١ - رغبته فى إرسال وفد لزيارة بلد إسلامى مستقل ، حيث يمكن دراسة تطبيقه للنظم الإسلامية وخاصة الشريعة الإسلامية حسب الظروف الحالية .

٢ - الرغبة المتزايدة فى إرسال طلبة إلى الجامعات الإسلامية وبخاصة لأن لجنة (الصندوق الشمالى للاعتماد على النفس فى التنمية) ، اقترحت مرة بأن تؤخذ تكاليف ذلك من ميزانيتها الخاصة .

٣ - ورأى البعض أن الحكومة ينبغى عليها أن تساعد المدارس القرآنية على نحو ما تقدمه من معونة مالية للمدارس الأولية التى تسير فى مناهجها على التعليم الأولى ، وأن تحاول تنسيق الطرق التعليمية المختلفة . والسبب الأساسى فى هذا الطلب ، هو الخوف فى أن الحكومة إذا ما قدمت إمكانيات ؟ لتشجيع التعليم الإسلامى الآن فسيقرض فى المستقبل .

٤ - وهناك آراء كثيرة ترى أن مدرسة العلوم العربية ، وهى تقبل الطلبة الذين حصلوا على شهادة المدارس الوسطى فقط ، وتدريبهم إما للتدريس أو القضاء ، تفضل فى توفير الإمكانيات لدراسة أصول الدين والعلوم العربية بصورة عامة ، وللطلبة الذين إمامهم محدود بالتعليم المدنى (الأولى) ، أوليس لهم إمام على الإطلاق . وقد استنكر

البعض أن يصبح المحاضر الإنجليزي . أو ضابط التعليم المسئول عن الإدارة في المدرسة رئيساً حقيقياً لها .

والعجز في التعليم الإسلامي في هذا الإقليم مسلم به على وجه العموم ، ولكن طريقة علاج ذلك لم تتضح . وكانت المعلومات التي لدينا تبين أن المذهب المالكي يتبع في مصر والمغرب فحسب - وقد ظهر أن هذا غير صحيح - مما يجعل تلبية الرغبات المذكورة أعلاه في الفترتين الأولى والثانية عسيراً . ولهذا السبب وجهت الحكومة أسئلة إلى المستر أندرسون Mr. Anderson والأستاذ آربري Prof. Arberry من جامعة كامبردج فيما يتصل بهذه القضية . ووعدت الدكتورة «جيري Geary» أن تقدم تقريراً عن التعليم في باكستان خلال عطلتها . وقد درس المجلس تقريرها في ٢٥ سبتمبر ١٩٥٢ ، في جلسته الثامنة والثلاثين ، وزيادة على ذلك ، فإن الظروف السياسية في مصر والمغرب ، ليست صالحة بدون شك لدراسة جدية في الوقت الحاضر . وقد يمكن وجود حل لهذه المشكلة بإنشاء كرسى للدراسات الإسلامية في كلية إبادن الجامعية . إلا أن هذا الرأي لم يجد قبولا . لأن البيئة في إبادن - كما يرى البعض - قد لا تشجع التقاليد الإسلامية كما تمارس في هذا الإقليم . وأما بالنسبة للرأي المذكور في الفقرة الثالثة أعلاه ، فقد حاولت الحكومة في الثلاثينيات أن تشجع المدارس القرآنية ، ولكنها تركت الأمر حينما طلب المدرسون مرتبات منها . وأما بالنسبة لمدرسة العلوم العربية ، فإن التغيير الذي لا يسمح بقبول الطلبة إلا ممن يحصلون على شهادة المدرسة الوسطى ، قد أدخل في سنة ١٩٤٧ . بعد استشارة الحكومات الأهلية . وكان ذلك لرفع مستوى التدريس في المدارس الوسطى ومستوى القضاة . وهذه الحاجة لا تزال موجودة . ولكن من المسلم به ، أن التركيز على تدريب المدرسين والقضاء فقط . يترك فرجة واسعة في التعليم الإسلامي .

ولقد ظهر من الملاحظات الصريحة في مناقشات الهيئة التشريعية للميزانية في سنة

١٩٥٢ ، أن هذه المشكلات لا بد أن تحل بدون تأخير . ووفقاً لذلك فقد وافق المجلس التنفيذي في جلسته السادسة عشرة التي عقدت يوم ٢٦ مايو ١٩٥٢ على تشكيل لجنة لتبحث في هذه المسألة فوراً . وكانت مهمتها :

١ - أن تبحث فيما يتضمنه مشروع تطوير مدرسة العلوم العربية ، لتصبح معهداً مستقلاً ، لاكتابع (لكلية إبادن) الجامعية .

٢ - أن تنظر في شأن إرسال بعثات تعليمية لطلبة مختارين ، أولم تخرجي مدرسة العلوم العربية ، « بكنو » .

٣ - أن تبحث مسألة تنظيم المدارس القرآنية ، وتعاون مع لجنة (التدريب الديني والخلق) .

وفي ٢ يونية ١٩٥٢ (قرار رقم ٤ من الجلسة رقم ١٨) وافق المجلس على تعيين أعضاء اللجنة على الوجه الآتي :

أمير زاريا

أمير كثنه

أمير مسو

وزير الخدمات الاجتماعية

وزير الأشغال

وزير التنمية الاجتماعية

وزير الثروة المعدنية

مدير المعارف

وزير سكتو

ثرومن كنو

معلم « أبو بكر إمام »

معلم محمد طن برم من مری

معلم « أمين » من مدرسة العلوم العربية .

وعقدت اللجنة أربعة اجتماعات في ١٨ يوليو و١٦ أكتوبر ١٩٥٢ ، وفي ٧ أبريل و٢٦ منه سنة ١٩٥٣ . وبالإضافة إلى هذه الاجتماعات اجتمعت اللجنة الفرعية يوم ٩ ديسمبر ، وكانت مكونة من وزير التعليم والشئون الاجتماعية ، ووزير الأشغال ، ووزير التنمية الاجتماعية ، ومدير التعليم .

٤ - وأوصت اللجنة خلال اجتماعاتها بإرسال وفد إلى السودان ، مكون من وزير التعليم ، ووزير الثروة المعدنية ، والأستاذ أمين من مدرسة العلوم العربية ، ليقوم ببحث منهج الدراسات الإسلامية هناك على وجه العموم ، ولينظر بخاصة في إمكانية إرسال عدد من الطلبة ليدرسوا في المعهد العلمي ، وهو معهد للدراسات الإسلامية . فوافق المجلس التنفيذي على إرسال الوفد . وكان من المتوقع أن تتفق هذه الزيارة مع قيام الشيخ عوض ناظر المدرسة السودانية بإجازته إلى وطنه . ولم يتمكن وزير الثروة المعدنية من أن يسافر مع الوفد ، لاستقالته من هذا المنصب ، وتعيينه وزيراً للبرنو ، فأخذ مكانه وزير الصحة . وقد أوصت اللجنة الأصلية والفرعية بدعوة المستر ت . ح بلدوين M.T.H. Baldwin مساعد المستشار التعليمي لأمين الدولة للمستعمرات البريطانية . ليرافق الوفد . وقد لبي الدعوة ورافقه بالفعل . وكانت الزيارة من ٨ إلى ٢٥ أبريل سنة ١٩٥٣ . وانضم الشيخ عوض إلى الوفد في السودان .

٥ - وبالنسبة إلى مهمة اللجنة الأولى وهي تطوير مدرسة العلوم العربية اقترحت

اللجنة مايلي :

(١) توفير الإمكانيات لتعليم من له إلمام قليل بالتعليم المدني من الطلبة أو ليس له أى إلمام إطلاقاً :

ويوجد عدد من العلماء في هذا الإقليم ممن لهم معرفة واسعة بالدين الإسلامى ، ومع ذلك على استعداد للالتحاق بفصل يدرسون فيه مزيداً من العلم . ويرغبون في دراسة الإسلام ، حباً له ، لا رغبة في وظيفة حكومية . وعلى أى حال فسيصبحون صالحين للتدريس بالمدارس القرآنية . فن الضرورى جداً أن يعطى هؤلاء فرصة ، ليستمروا في دراساتهم التى تقوم على أصول الدين . ويمكن أن يكون هؤلاء فصلاً خاصاً في مدرسة العلوم العربية . وقد فكرت الحكومة في استقدام مدرسين لهذا الفصل من البلاد الإسلامية الأخرى ، ولكن الوفد الذى زار السودان أشار في تقريره ، بأن مستوى المدرسين الأكفاء هناك ، لايفوق مستوى العلماء في هذا الإقليم ، ولذلك لم يوص بتعيينهم ، وقد قبلت الحكومة هذه التوصية . وأشار الوفد أيضاً أن يقوم مدير التعليم باختيار المدرسين الذين يستطيعون التدريس في هذا الفصل ، ومن الممكن أن يفعل ذلك بواسطة الحكومات الأهلية . وقد يكون واجباً إعطاء المدرسين المختارين دروساً أولية في طريقة التدريس . وينبغى أن يطلب من الحكومات الأهلية ترشيح طلبة أكفاء للالتحاق بهذا الفصل . واقترحت إنذار أولئك الطلبة مقدماً بأن اختيارهم لهذا الفصل لايجب على الحكومة الإقليمية أو الحكومة الأهلية توظيفهم بعد إكمال دراستهم بنجاح . وموافقهم على هذه الشروط شرط لقبولهم في هذا الفصل . ويجب أيضاً وضع المناهج بمساعدة مدرسى مدرسة العلوم العربية ، ومن يرون اشتراكه ضرورياً . وسيكون المنهج عاملاً مهماً لتحديد مدة الدراسة . ورأت اللجنة أن منهج المعهد العلمى بأمر درمان ، الذى أحضره الوفد معه ، والذى يحتوى على كثير من أصول الدين سيكون مرشداً مفيداً . ويرجى فتح هذا الفصل في أقرب وقت ممكن .

(ب) مدّة فترة الدراسة العامة في مدرسة العلوم العربية

مدة الدراسة العامة الآن في هذه المدرسة ستان ، وبعدها يتخصص الطلبة لمدة سنتين أخريين للتدريب ، إما في التدريس أو في الشريعة حسب ميولهم وقد فكرت اللجنة طويلا في طريقة تطوير هذه المدرسة وقررت أخيراً أن مدة الدراسة الحالية لا تكفي لتقديم معلومات كافية في اللغة العربية لمعظم الطلبة ، كى تؤهلهم للتدريس في المدارس الوسطى ويرجع ذلك إلى تعليم اللغة الإنجليزية في المدرسة . ولكن اللجنة رأّت أن من الخطأ حذف تدريس اللغة الإنجليزية ، أو إنقاص الحصص المقررة الآن لتدريسها لتزداد على حصص اللغة العربية . لأن معرفة اللغة الإنجليزية مهم للمدرسين الآن ، وخاصة إذا أرادوا أن يكونوا على درجة واحدة مع المدرسين الفنيين الآخرين ، وأن يقوموا بعملهم بكفاءة . وينطبق هذا أيضاً على القضاة الذين يضطرون إلى استخدام الأحكام المكتوبة باللغة الإنجليزية ، ومن ثم فلا بد من مدّة الدراسة العامة في المدرسة ، وينبغى أن تكون الفترة التي تزداد كافية لإعطاء الطلبة مزيداً من المعلومات ، لافى إجادة اللغة العربية محادثة فحسب ، بل وفي أصول الدين والأدب العربى أيضاً وعندئذ فقط تستطيع مدرسة العلوم العربية ، أن تساهم بنجاح في رفع مستوى التعليم العربى في كل النواحي ، الأمر الذى يتطلبه هذا الاقليم . ولذلك أوصت اللجنة بأن تزداد ستان ، فتصبح فترة الدراسة العامة أربع سنوات . وأيد الوفد تأييداً كاملاً هذا الاقتراح ، وقال إن هذا يرفع المستوى في خلال الفترة إلى مستوى الشهادة الثانوية تقريباً . وهذا المستوى كاف لحاجة هذا البلد في المستقبل القريب . ولن تكون هذه الدراسة إعدادية لتدريب المدرسين والقضاة الشرعيين فحسب ، ولكنها ستعطى تعليماً عاماً ملائماً للطلبة الذين يرغبون في التقدم إلى وظيفة إدارية في الحكومة المركزية ، أو الحكومة الأهلية فيما بعد . وإذا وافقت الحكومة على هذه الزيادة ، فلا بد

من تعيين مدرس من السودان . ويكفي وجود مدرس واحد فقط من الخارج ، لأنه من الممكن تعيين مدرسين آخرين ومؤهلين من الأهالي إذا دعت الحاجة إليهم ويظهر من الاستفسار الذى أجرى سابقاً ، أنه من المحتمل وجود مدرس ملائم عن طريق وزير التعليم السودانى . ويحتاج المنهج الذى سيعمل به لمدة أربع سنوات والذى سيوضع على مستوى شهادة المدرسة الثانوية ، إلى تفكير وعناية شديدة . وقد أوصت اللجنة بدعوة سودانى متخصص يستعان برأيه فى هذا الشأن . وقال الوفد إن الاستاذ النصر مساعد مدير التعليم السودانى الذى اهتم اهتماماً بالغاً باستفسارات الوفد ، هو الذى ينبغى دعوته إذا سمح له الوزير بالحضور .

وبالنسبة لقبول الطلبة ، أوصت اللجنة بقبول من أبدوا رغبة واستعداداً فى الدراسات العربية ، ولو لم ينالوا شهادة الفصل الرابع فى المدرسة الوسطى . وقد تظهر بعض المشكلات فى المستقبل فيما يخص مستوى القبول العام . فإذا تحولت المدارس الوسطى مثلاً إلى ثانويات صغرى ، فلا ينبغى للطلبة الذين بدءوا فى تعليمهم الثانوى أن يتركوه قبل أن يصلوا على الأقل إلى السنة الرابعة الثانوية . ولعله من الأحسن فى هذه الحالة قبول الطلبة بعد إكمالهم المدرسة الابتدائية ولاشك أن ست سنوات فى مدرسة العلوم العربية ، ستعطى الطلبة معلومات متينة فى اللغة العربية . وينبغى اعتبار هذا المشروع عند وضع المناهج . ومع أن اللجنة لم تناقش هذه النقطة فإنه من المحتمل أن يوافق عليها الأعضاء . وإذا احتاج هذه المسألة إلى مزيد من البحث ، لم تتخذ اللجنة قراراً فيها بعد .

(ح) تدريب المدرسين :

لم تنقد اللجنة الطريقة المتبعة حالياً لتدريب المدرسين فى مدرسة العلوم العربية . وكانت اللجنة تعتقد - كما سبق ذكره فى الفقرة السابقة أن العيب الطارئ من قصر فترة

التعليم العام قبل التخصص . ولكن الملاحظة هنا ، هي أن ثمرة التدريس في مدرسة العلوم العربية في شكلها الحالي ، لم تظهر إلى الآن في المدارس الوسطى . إلا أنه لوحظ في الستين الأخيرتين ارتفاع قليل في مستوى اللغة العربية في المدارس الوسطى . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن سبعة عشر طالباً من المدرسة الثانوية « بزاريا » يدرسون اللغة العربية بمستوى الشهادة الثانوية في هذه السنة ويعتقد الوفد أن تحسين مستوى التعليم العام ممكن بالاستفادة من معهد بخت الرضا بالسودان . وهذا المعهد ، هو حجر الأساس في تدريب كل المدرسين في السودان كافة . ويرجع الفضل في ذلك للحكمة المستر « غرفت » الذي حضر هنا قريبا ليقدم مشورته ، في شأن معهد تدريب المدرسين « بيوت » وفي الحقيقة فإن موظفي بخت الرضا ، لا يقومون بتدريب المدرسين فحسب ، ولكنهم يقومون أيضاً بالتفتيش على المدارس وتأليف الكتب المدرسية . ولم يستطع الوفد زيارة هذا المعهد ، لأنه كان مقفولاً في ذلك الوقت . إلا أن وزير الخدمات الاجتماعية الحالي ، والقائم بأعمال المفتش العام للتعليم ، قد قاما بزيارته ، وتقريرهما عنه مرض . ولذلك أوصى الوفد بإرسال الذين يستطيعون التدريس في الفصول الأخيرة للمدارس الثانوية إلى بخت الرضا ، لدراسة مدتها ثمانية عشر شهراً ، بعد إكمال دراساتهم العامة لأربع سنوات . وستعطيهم دراساتهم هناك تدريباً في التدريس والتحدث باللغة العربية ومزيداً من المعلومات في الأدب العربي . وأما مدرسو المدارس الابتدائية فستكفيهم سنة واحدة فقط للتدريب على طرق التدريس في مدرسة العلوم العربية ، بدل سنتين ، كما هو حالياً ، إذا زيدت فترة الدراسة العامة إلى أربع سنوات . وقد قبلت اللجنة هذه التوصيات من الوفد .

(د) تدريب طلبة الشريعة :

رأت اللجنة أن سير تدريب القضاة في مدرسة العلوم العربية الآن مرض . ويعتقد

الوفد أن زيادة سنة واحدة لتدريب خاص بالإضافة إلى أربع سنوات للدراسة العامة كافية ، إلا إذا كان المقصود زيادة رفع مستوى القضاة ويمكن النظر فيما إذا كان من المرغوب فيه الآن زيادة سنة أخرى للتخصص يمكن فيها تدريس القانون الجنائي . واتخذت اللجنة قراراً بإحالة الأمر إلى المستشار للشريعة الإسلامية ، والمستشار القانوني ليديا رأيها أولاً . وأوصى الوفد أيضاً بإرسال بعثات تعليمية للنجباء من الطلبة الذين يستطيعون أن يخدموا فيما بعد في المحاكم الشرعية من الدرجة الأولى ، إلى الكلية الجامعية بالخرطوم ليدرسوا الشريعة بعد إكمالهم سنة التخصص في مدرسة العلوم العربية . وفي الخرطوم يدرس المذهب الحنفي ، في حين أن المذهب المالكي هو المعترف به في هذا الإقليم بأجمعه ، وكذلك الحال - مع غرابته - في السودان . وقد يبدو هذا غير صالح ، ولكنه في الحقيقة خلاف ذلك ، لما بين المذهبين من تشابه . والدراسة في أصول المذهب الحنفي ستكون ذات قيمة . ويعمل بهذا المذهب في الحقوق الشخصية فقط ، لأن القضاء الجنائي كله في أيدي المحاكم المدنية . ومدة دراسة الشريعة في كلية الخرطوم الجامعية أربع سنوات . وبما أن قيمة هذه الدراسة للطلبة النيجريين محدودة ، اقترح الوفد أن يقضى الطلبة ثمانية عشر شهراً فقط . وقد أيدت اللجنة هذه التوصيات .

(هـ) دراسات للمدرسي المدارس الأولية :

تعتقد اللجنة أن مستوى تعليم اللغة العربية في المدارس الأولية غير مرض . ويمكن تحسين هذا بزيادة الحصص المقررة لتدريسها في الجدول . ولكن زيادة الحصص غير ممكنة ، لكثرة المواد الأخرى التي يجب تدريسها ولقد سر الوفد من طريقة تدريس الدين ، وخاصة القرآن في المدارس الأولية بالسودان . فبدل ترديد التلاوة وحدها ، يشرح المدرس بعض الآيات شرحاً مبسطاً ويأتي بقصص ممتعة تأييداً للأخلاق الحميدة

التي يدرسها . وكان التدريس كذلك في مدرسة البنين والبنات . ولذلك أوصى الوفد بدعوة مدرس ماهر للمدارس الأولية من السودان ليعطى دروساً في مدرسة العلوم العربية لمفتشى اللغة العربية في المدارس الأولية ومدرسيها . وسيكون هذا المدة قصيرة إلى أن يرجع الطلبة النيجيريون من بخت الرضا وهم قادرون على تدريس هذه الطريقة نفسها . وقد قبلت اللجنة توصيات الوفد .

(و) تعيين مدير لمدرسة العلوم العربية :

رأت اللجنة أنه لا يصح أبداً تعيين أوربي مسيحي مهما بلغ من العلم في اللغة العربية مديراً لهذه المدرسة . ومع أن بعض الأعضاء يقدرون قيمة وجود أوربي في المدرسة من الناحية الإدارية ، لكنه يظن أن وجوده بأية صورة ، ولو لم يكن مديراً ، يجعل المسلمين يخافون من نفوذه ، وقد طلبت الحكومة من الوفد أن يبحث عن مدير مسلم للمدرسة في السودان . إلا أن الوفد أدرك أن وجود مدرسين الآن في السودان ، بمستوى المدرسين السودانيين الذين خدموا هذه المدرسة خدمة قيمة ، صعب . وسيكون وجود مثلهم أصعب ، لدنو الاستقلال الذاتي في السودان . وشيء مهم أيضاً ، هو أن مدير هذه المدرسة لا بد أن يكون محبوباً لدى الرؤساء المسلمين . ولا بد أن يكون لهم ثقة به ، كما أنه ينبغي أن يعرف لغة الهوسا ، وتاريخ هذه المدرسة . وقد قبلت اللجنة الآن ترشيحاً لسوداني ترى أنه مناسب ، ولكن لأنه من غير المتوقع أن يستمر لفترة أكثر من بضع سنين بعد تعيينه مديراً ، فيجب اتخاذ الإجراءات اللازمة لتدريب خلفه . ويقترح لذلك انتخاب نيجيري مؤهل ، ليرسل إلى السودان لمدة ستة أو ثمانية عشر شهراً ، يلتحق خلالها بكلية الخرطوم الجامعية ، وبمعهد بخت الرضا ، ليأخذ فكرة عن طريقة إدارة المعاهد الإسلامية ، وفيما يتصل بتدريب القضاة والمدرسين أيضاً . ويرجى من ضابط التعليم الحالي ، لمدرسة العلوم العربية أن يستمر في

مساعدة المدير في الناحية الإدارية حتى يكمل المبعوث النيجيرى تدريبه . وينبغى ألا
يثقل ظهر المدير بالأعمال الإدارية . لأن المطلوب منه أن يدرس كثيراً بقدر الإمكان .
٦ - وبالنسبة إلى مهمة اللجنة الواردة في الفقرة ب ، وهى إرسال نخبة من الطلبة
في بعثات تعليمية ، فإن اللجنة تعتقد حسب التقارير الموجودة لديها أن جامعة الزيتونة
في تونس والأزهر والجامعات الأخرى في مصر كلها ليست صالحة لإرسال طلبتنا إليها
في هذه المرحلة . وذلك للدور الكبير الذى تلعبه هذه الجامعات من الناحية السياسية في
كل ما تقوم به من نشاط . ولهذا السبب أيضاً ، فإنها ليست صالحة لطلب مدرسين
منها . وأما مدرسة الدراسات الشرقية بلندن ، التى يمكنها أن تقبل طلبة بمستوى دون
مستوى القبول الجامعى ، فإنها لا تدرس شيئاً من نواحي الحياة الاجتماعية الإسلامية .
وقد تدرس بعض العقائد غير المرغوب فيها في هذا الإقليم . وتنطبق هذه الحجة الأخيرة
أيضاً على باكستان ، وهى كذلك بعيدة جداً . وحالة التوتر أيضاً بين التقليديين
والتقدميين ، مقلقة بعض الشيء . وقد بحث الوفد في السودان ، بتأمل إمكانية إرسال
الطلبة إلى المعهد العلمى - ذلك المعهد الذى يهتم بتدريس أصول الدين . وللوهلة
الأولى ، بدا للوفد كأنه معهد ملائم ، ولكنه ظهر بعد بحث دقيق ، أنه لا توجد فيه
فصول إلى الآن ، تناسب مستوى طلبة مدرسة العلوم العربية ، وأن الطلبة الذين كانوا
يحصلون على الشهادة النهائية منه ، يتلقون دراسات خاصة خارج المعهد ، ويستعينون
باستعارة كتب من مكتبته . وفضلاً عن ذلك ، فإن نظامه في طريقة التدريس ،
والجدول الذى يسير عليه ، يحتاج إلى تعديل . ولا يزال في طوره الانتقالى . وفي الماضى
لم تكن وزارة التعليم تهتم به كثيراً ولكن الموقف بدأ الآن يتغير . ويوجد الآن مشروع
يدعو إلى إدخال المواد المدنية وتغيير المعهد بصفة عامة . ولهذا رأى الوفد أنه ليس من
الحكمة إرسال طلبة حالياً إلى هذا المعهد ، حتى تنتهى فترة الانتقال وإلى أن تظهر
الصورة الحقيقية لهذا التعديل . وقد يأخذ هذا خمس سنوات على الأقل . ويوجد قسم

خاص للأدب العربي في كلية الخرطوم الجامعية ، ولكنه لا يدرس أصول الدين . وأقل مستوى لقبول الطلبة فيه هو مستوى القبول الجامعي بتقدير (جيد جداً) . إما في العربي ، أو في الإنجليزى وفي مادة أخرى من الآداب ، وهذا طبعاً يفوق مستوى الطلبة في هذه البلاد حالياً . ولكنه من الممكن اعتبارها كلية ملائمة في المستقبل إذا ارتفع مستوى المدارس الثانوية . ولهذا الأسباب أوصى الوفد بأن معهد «بخت الرضا» . ملائم لتدريب المدرسين على مستوى عال .

ويوجد في هذه السنة عشرون طالباً على الأقل لبعثات في الدراسات العربية . وقد سبق أن أخذ أكثر المتقدمين تدريباً في التدريس في مدرسة العلوم العربية ، لذلك ينبغي أن يعقد لهم امتحان مسابقة على مستوى الشهادة الثانوية ، لاختيار ستة منهم وإرسالهم إلى بخت الرضا في شهر أغسطس حيناً تبدأ السنة الدراسية هناك . وسيكون تدريبهم في بخت الرضا على التخاطب باللغة العربية ، وفي الأدب العربي ، وأصول الدين ، لأنهم قد أخذوا تدريباً في التدريس سابقاً . ولا شك أن بخت الرضا ، منظمة قابلة للتعديل ، فمن السهل أن تقوم بتنظيم دروس مناسبة لهم . وقد قبلت اللجنة آراء الوفد .

٧ - وأما بالنسبة لمهمة اللجنة الواردة في الفقرة ج ، والمتصلة بمشكلة المدارس القرآنية ، فإن اللجنة تعتقد أنها مشكلة معقدة جداً . وذلك لأن المدارس القرآنية محافظة جداً ، وأية محاولة من قبل الحكومة لتنظيم تفتيش فيها ، لرفع المستوى ، ستقابل بمعارضة شديدة . وحينما زار الوفد مدرسة قرآنية مشهورة في السودان ، وجد أن طريقة التدريس فيها مشابهة تماماً لطريقتنا . ولم تتدخل وزارة المعارف السودانية في شأنها ، لا في طريقة التدريس فيها ولا في سيرها . ومما لا شك فيه أن هناك مجالاً لتحسين هذه المدارس في هذا الإقليم . ويرجى أن المدرسين الذين سيدربون في مدرسة العلوم العربية في المستقبل في الفصل الجديد ، سيقومون بعمل كثير لرفع المستوى . ومع أن اللجنة قد

أخبرت بوجود طريقة حديثة للتدريس في المدارس القرآنية في السودان - تقصر مدة الدراسة فيها ، فإن الوفد لم ير هذه الطريقة ، وقد عاد مقتنعاً بعدم وجودها . وقد شاهد الوفد في المدرسة القرآنية التي زارها ثلاثمائة تلميذ ، كان الخليفة (خليفة المهدي) يسكنهم ويطعمهم . ولا بأس إذا اقتدى الأمراء والشخصيات المهمة في نيجيريا به ، ولو بقدر أقل . فهم في موقف أحسن من غيرهم ، لاختيار مدرسين واستخدام مركزهم في تشجيع التلاميذ للحضور . وكما اتضح في زاريا أخيراً ، يستطيع مدرس ماهر ، أن يعمل الكثير لرفع مستوى التعليم . وللمدارس القرآنية ميدان واسع يعطى فرصة لمشاريع خاصة . فليس من المطلوب أن تتدخل الحكومة في شأنها حالياً . وقد قبلت اللجنة هذا الرأي .

وأما فيما يخص تشجيع التربية الأخلاقية في المدارس القرآنية ، فقد أقرت اللجنة كتابي التحلية والترغيب ، والتربية والتهديب ، اللذين ترجما لفائدة أعضاء اللجنة ، بشرط اتخاذ بعض التعديلات اللازمة ، مثل : استبدال بعض الآيات القرآنية فيهما بآيات قرآنية أخرى . وتعتقد اللجنة أنه يمكن استعمال هذين الكتابين في كل المدارس .

٨ - واستحسنت اللجنة اقتراحاً يدعو بترتيب زيارات إلى البلاد العربية على نمط الرحلات التي يقوم بترتيبها المجلس البريطاني حالياً . ومن المعروف أن من سيشجع على مثل هذه الرحلات ، هم على وجه العموم محافظون . ولا يفوتنا أن نلاحظ أن الطلبة والزوار الذين سيقومون بالسفر إلى مثل هذه البلاد كالسودان ، سيجدون انحلالاً كثيراً من ناحية العبادات والتقاليد الإسلامية . ويرجع السبب في ذلك إلى أن الاتجاه المادي للثقافة الغربية أثر على نحو أكثر مما هو في هذا الإقليم إلى الآن . ومستقبل السودان السياسي غير معروف الآن . فقد تسرب السياسة إلى المعاهد الإسلامية ، كما تسربت في مصر . ومن المحتمل أن يعود هؤلاء الطلبة أو الزوار الذين سيذهبون إلى السودان بآراء وتقاليد غير مرغوب فيها . وليس المقصود بهذا الإنذار وقف الزيارات إلى البلاد

الإسلامية الأخرى ، لأن هذه الزيارات مطلوبة جداً . ولكن ليكون أهل الحل والعقد على علم بهذا الخطر .

٩- ملخص التوصيات :

١- أن توفر الإمكانيات في مدرسة العلوم العربية ، لترتيب دروس ملائمة لمن لهم إلمام قليل بالتعليم العربي أوليس لهم على الإطلاق .

٢- أن تمتد فترة الدراسة العامة في مدرسة العلوم العربية من سنتين إلى أربع سنوات ، وأن يطلب مدرس مؤهل من السودان لهذا الغرض .

٣- أن يعث بمدرسين مؤهلين ، يستطيعون التدريس في الفصول العالية بالمدارس الثانوية إلى معهد بخت الرضا في السودان لدراسة مدتها ثمانية عشر شهراً في آخر دراستهم العامة . ويعطى غيرهم من المدرسين سنة للتدريب في مدرسة العلوم العربية .

٤- أن يرسل طلبة الشريعة الذين يستطيعون أن يخدموا فيما بعد في المحاكم (درجة أ) إلى كلية الخرطوم الجامعية لدراسة الشريعة لمدة لا تتجاوز ثمانية عشر شهراً . ويعطى غيرهم سنة لتدريب خاص في الشريعة . ولكنه لا بد من بحث فيما إذا كان من المطلوب زيادة سنة أخرى لدراسة القانون الجنائي في هذا البلد .

٥- أن يدعى مدرس ماهر للمدارس الأولية ، ليأتي إلى مدرسة العلوم العربية ، ويعطى دروساً خاصة لمفتشى المدارس الأولية للغة العربية ومدرسيها .

٦- أن يعين الشيخ عوض - المدرس حالياً بمدرسة العلوم العربية مديراً . ويستمر ضابط التعليم الحالي في مباشرة أعماله الإدارية والتدريس لبعض المواد ، إلى أن يرجع الأستاذ أمين من السودان حيث سيتعلم إدارة المعاهد الإسلامية .

٧- أن ترسل ست بعثات علمية إلى بخت الرضا في هذه السنة ، ويكون الاختيار

عن طريق امتحان مسابقة ومراقبة . وسيدرسون هناك أصول الدين والأدب العربي .
٨ - أن تستمر المدارس القرآنية مدارس خاصة ، ولكن ينبغي للحكومة أن تمدّها
بكتب في الأخلاق .

٩ - أن يجرى مزيد من البحث في إمكانية بعث وفد من العلماء إلى المعاهد
الإسلامية في البلاد الإسلامية الأخرى .

الملحق الثانى : طائفة من القصائد

١ - القصيدة المستجابة «لحمد بللو» :

أناديك يا مولاي فى السر والجهر
وبالمصطفى الهادى الرشيد محمد
وبالأنبيا والرسل والملئك الرضا
لتكفيننا من كل سوء وفتنة
إلهى ومولائى ترى ما العدا سعوا
فكذ يا إلهى كل من رام كيدنا
فنصرأ عزيزأ يا إلهى لقومنا
أغئبل فاحص يجمعه ثم فله
فلائجعلنا فتنة للذين هم
وأتمم لنا نورأ أرادوا خموده
واسق بلادأ كان فيها مقامنا
أغئنا أغئنا أنت مالك أمرنا
فقد مسنا ضر وضاقت فجاجنا
ونسألك التأيد بالروح فى الذى
نعوذ بوجهك من شقاوة نفسنا
ومن شر وسواس الرجيم المطرد
ومن سوء قهر الخلق والدين والهجا

بأسمائك الحسنى السنية كالدر
وأصحابه والآل والتبع الغر
وبالأوليا والصالحين أولى الأمر
وترزقنا رزقأ كفافأ مدى العمر
وكادوا به فينا من الكيد والمكر
وخذه إذا يبغى علينا على قدر
فئك نرجى الفوز بالطف والنصر
فيقرع سنأ بالندامة والخسر
عتوا واعتدوا بالظلم والفخر والكفر
ولو كره الكفار من ذلك النور
ومن بركات الأرض أخرج على الفور
وعجل بيسر لا يعقب بالعسر
فئك نبغى الكشف من ذلك الضر
نريد فن أيدته باء بالخير
إذ النفس مطبوع على الشؤم والشر
ومن سوء أقدار المهيمن فى الأمر
فلطفك نرجو فى الأمور مدى الدهر

يضاهون قول الكافرين بلا نكر
ولا يرتضون الحكم من شرعة الأمر
وأهوائهم ظلماً وكفرًا على الكفر
فتعلم ما هم فيه يارب من مكر
ولا تبق دياراً يبادر بالغدر
وقلع عماد الكفر في ذلك القطر
من الشرع في هذى البلاد على الفور
ومن كل سوء في القيامة والحشر
وأصحابه والآل والتابع الغر
وآثرهم باللطف والعفو والغفر
أجبتها إليك رفعت بئى فيسرى

وفينا إلهى آخرون من العدا
وهم عرفاء الناس ثم رعاؤهم
فلا يهيمهم إلا اتباع ضلالهم
وما زادنا إلا خبالا سوادهم
فبددهم يا رب فلّ سوادهم
ويسر لنا فتح لخصون بأسرها
ويسر لنا يا رب نصب دعائم
إلهى ومولاني من النار نجى
ويبلغ سلامى للنبي محمد
ويبلغ لموتانا السلام بأسرهم
إلهى رجائي لا تخيب، دعوتى

٢ - قال محمد بللو بعد غزوة كئو :

يوم دار الحرب في كئو الحفر
أو كأحطام هشيم المختظر
في صناديد كياوا المنكسر
بجنود كجراد مستنشر
جداً تخطف أشلاء البقر
برماح وسهام كالطر
فأقنا هكذا حتى الظهر
فدخلنا حصنهم وقت العصر
فهم مثل جدوع منقر

سائلو عنا وعن أعدائنا
قد تركناهم بها مثل الهبا
وكرك أردى به فرساننا
إذ زحفنا لهم وقت الضحى
وكان الخيل في أرجائها
فلقيناهم وأوغلنا بهم
واشرأبوا فرميناً مثلها
فدعوننا يا نزال للوغى
فسقيناهم منايا فرووا

ثم رحلنا غانمين كأننا
 فاحمدوا الله على إحسانه
 فهو أهل الحمد والشكر معاً
 فهو مولانا ووالى أمرنا
 قد رجعنا من جؤاثى للحضر
 يا أولى الإسلام يا أهل الغير
 وثقوا بالله فى صرف الدهر
 نعم المولى ونعم المنتصر

٣- قال محمد بللو يري محمد بن السيد المختار الكنتى :

عين جودى بعبرة وصبيب
 واذرفى أدمع الجفون انسكاباً
 علّ بذل الدموع يشفى غراما
 ليتنى بعد نأى مراتح قلبى
 سيدى وابن سيدى وإمامى
 من تجلى بكشفه كل معنى
 كان شمساً أضاء من نورها الآ
 أو ربيعاً بضوئه ونداه
 خدمته العلا وخصت ذراه
 ساد بل شاد ذكره فى البرايا
 وتمت مشارق الأرض منه
 كملت حاله وتمت علاه
 فعلى إثره تفانت دموع ال
 وتعزى الوجود من بعد ما أش
 وارث الهدى والمعالم والعا
 ومحط السباق والمجد والرون

واسكبى الدمع بعدَ بعدِ الحبيب
 واهملى واهطلى وسحى وصوبى
 مستكناً وفرط وجد مديب
 صبحتنى المنون كأس شعوب
 وعريقى وعمدنى وطبيبي
 وتبدى وبان كل مريب
 فاق دهرأ فحاق وقت غروب
 أخصب المجدبون جم السكوب
 كل علياء كالخديم اللبيب
 فله فى العلاء كل العجيب
 ما به الغرب جاز كل نصيب
 ونما طيهه على كل طيب
 خلق من كل يابس ورطيب
 فى على الهلك بالخليف النجيب
 لى على كل مغلق ومصيب
 فى والملتجا به فى الخطوب

ذی النار الرفیع سیدنا الخ تار أیمن بسید ونقیب
 ساس بالحلم والوقار كثيراً واكتسى منه كل برد قشيب
 فسقى ربه شایب تهی من يد المفضل القريب المحیب

٤- قال محمد بللو يرثى أخته وبقية إخوانه الذين ماتوا :

أيا دهر لنا عات	تولى بالرزيات
فرفقاً بالقوارير	قلوب كالبليات
وهت أعارها طراً	بوقع من مللمات
ولا درت ليالينا	تبكىنا بعبرات
وقد ذهبت بآباء	وإخوان وأخوات
وأعمام وعمات	وأحوال وخالات
وذى قرى وذى رحم	وجيران وجيرات
فإن الموت أفتاهم	فأضحوا بين أموات
فأمت دارهم وحشاً	بموتات خليات
ولولا خوف آثام	قرفناها وحبوات
ومطلع ما وراء المو	ت من هول العظيات
لأن على شوقاً فيه	م صعب المنيات
لعمرك ما لنا الدنيا	بدار للمرات
ولكن دار أكدار	وأقذار مصيبات
وما أحد من الناس	من الموت بمنجات
فطوبى لامرئ ولى	إلى الأخرى بنيات
وأعمال له صلحت	وأخلاق نقيات

أعنا ربنا في ك
ويقصينا من النار
ويجمعنا وموتانا
فراديس عريضات
ويحطينا بنظرات
فحمد الذي يقضي
وصلى دائماً أبداً
وأصحاب له والآ

ل ما يفضى الجنات
وأنكال شديداً
بجنات رفيصات
وكثبان عليات
إليه من الزبادات
ويعدل في القضايا
على خير البريات
ل سادات وقادات

٥ - قال « محمد بللو » بمدح النبي ﷺ :

أيا طاهر الأوصاف يا طيب الخلا
ويا باب عفو الله غوث عباده
فهذا عبيد جاء للباب عاتياً
براحتكم فك العناة وعتقهم
فجودوا بعطف عناية ورعاية
فيحظى بغفران الذنوب وتوبة
ويكسى بستر دائم متمدّد
ويكفي من الأعداء طراً بنصرة
ويعطى من الدارين ما كان يرتجى
فإن رجاء العبد إذ حل ضيفنا
رجونا مكارمه فجننا لبابه
فحاشاه أن يرجو مكارمه فتى
وصلّ عليه الله ما ذكر اسمه

ويا غوث ملهوف طريد وملجأه
وجاها عظيماً وهو جاه هو الجاه
أسير ذنوب قيدته خطاياها
وإسقاط غرم عنهم طال بلواه
إليه لكي يعطى الذي يتمناه
وتقوى الإله الحق مع حسن عقباه
ويشفي من الأضنا ومن كل أدواه
عليهم ويكفي الدهر من كل شكواه
ويوفى من الدارين ما يتوقاه
بساحته رحمي من الله تغشاه
وها هو قد عمّ الجميع بحسنه
فيرجع محروماً فحاشاه حاشاه
وآل له والصحب ما فاه أفواه

ألا أبلغن يا شعر عنى تحية
إلى ملك الحسن الكبير تحيتي
نسلت بها نفسى لبعذك، إنه
فجسى صحراء كمصر وأنت لى
وأسأل ربي أن يكون لقاءنا
كذلك ذى الدنيا فيوم حلاوة
ولكنه اليسران والعسر واحد
ألا أيها الأعداء موتوا بغيظكم
يقولون هجر أو قلى، لا، كذبتمو
لقد كذبوا فيما يقولون ثم لا
وكيف يضر الحسد صفوة حينا
لعنتم بما جئتم من المين حظكم
لقد خلق الأعضاء زوجين فانتظم
لذاك يجب القلب حتماً قرينه
وعندئذ تجلوا الحياة سعيدة
لقاؤهما أواه ! أذهب غمنا
حبيى انتظر كى ندرك السعد كله
ولو سئل العشاق كنه حياتهم
لأرواحنا أجسام حب، محله
لقد آمنوا هذا حياة حياتهم
أيا حب أنزل من جهات كثيرة

إلى القصر قصر الخلل قد حجز القدم
تكاد تفوق المسك إن رامها الشم
يحل لبعده الخلل في خله سقم
كنيل بها إن صافح النيل والغم
بأقرب من رد الجواب به أنمو
وفي الغد عكس ساء من زوقه الطعم
كما جاء في التزليل ليس به كتم
فلا يعترى ما بيننا من هوى عدم
نجياً فؤاد إن نوى ذلك الجسم
يبالى بنبج الكلب لما سما النجم
وقد صانه بالحفظ من عنده الحكم
به البغض من فينوس والسحق والإثم
سوى فنا والقلب فانتقص القسم
ويلثم ثغر الخلل كى يكمل النظم
فلا منكر وقت اللقاء ولا غم
ولم يبق من آثار ذلك حتى اسم
ونجعل أقصاه هو الحظ والسهم
لقالوا بأعلى الصوت يسمعه الصم
لها كمحل الروح يحى به الجسم
وينكره فى الناس من لاله فهم
وخذانا أسارى طائعين لك الغم

وياخل أنزل من رحيقك مشربا
 تمنيت هذا اللثم يمتد دائما
 فنجى معاء، إن زار موت نمت معاً
 فذلك في دين الهوى خير ميتة
 نعم ذاك في شرع الهوى هو منتهى
 أقبه قد راقني ذلك اللثم
 ويبقى بقاء العمر بل فوق لا إثم
 نشاطر قبراً يلثم العظم العظم
 إلى عرش كوفيد لذلكو نسمو
 منى من يقاسى العشق بل نعم الحتم

٧- الكون ممت لولا الحب - لعمر إبراهيم أيضاً :

يا حبيبي يا حبيبي اصغ سمعاً للحبيب
 هل أتاك اليوم أنى صرت عظماً في الشعار
 ذهب اللحم بخاراً صاعداً من حر نار
 مائلاً فوق سحاباً لا أرى ضوء النهار
 وهو لا يتزل مطراً أو يبرك بجواري
 يا حبيبي يا حبيبي هل تبالي بنحبي
 أن يطل صدك عنى يذهب الحر عظامي
 اختفى عنك ولا تسمع من بعد كلامي
 إن تشأ ذلك وأخشى علّ ترمى بلام
 لو ينادى (غير شيء) قلت أنعم بسلام
 يا حبيبي يا حبيبي طيفك اليوم طيبى
 كنت أرجو الزور لما بان ثغر لابتسام
 ورأيت النور حولي قربه باب السلام
 ذلك الرضوان يأتي فاتحاً باب مرامى
 فإذا بي صرت آدم آه لا شجر أمامي

يا حبيبي يا حبيبي جنت بالأمر العجيب
يا حبيبي لم يملني عنك شر الوسواس
زال أنديز وأما أنت في القلب فراس
يفرح الناس بجمر وأنا ثغرك كاسي
لذة إن نبض القلـب ب بها قرت برأسي
يا حبيبي يا حبيبي هل أنادي من مجيب
لذة تنشئ في جسـمى ما تهواه نفسي
فأرى الكون بشكل غير ما بان بأمس
كله مسك وزهر كعروس قرب عرس
وأراني الحب ما لم يرنيه نور شمس
يا حبيبي يا حبيبي ريقكم خمري وطبي
إنما الحب بأمر الر ب فلتأت تعانق
لو أبي ذاك لصار القلب وقت العشق آبق
بل تراه وفق صوغ السـرب للأحباب عاشق
فأبرّ الناس معطى الـحب حقاً ثم فاتق
يا حبيبي يا حبيبي نقصه شر الذنوب
إنما الكون بأقصا ه موات في موات
فحياة زينت ذا ك بشئ الحسنات
ثم راقـت هي بالحب بأضعاف مئات
يا حبيبي إنما الحـب حياة للحياة
يا حبيبي يا حبيبي أسقنيه بذنوب
واسأل الأشجار عن أز هارها من فوق غصن

واسأل الأطييار عما هاجها حين تغنى
 وارقب الوحش ولا تخش تر العشق بعين
 واسأل المنكر في الجنة معنى حور عين
 يا حبيبي يا حبيبي أعطني فوق نصيبي
 يا حبيبي طيفك المحبوب لي خير مرادى
 بعد جرم لك لا يدنع فوزي في رقادي
 سل فؤادي ما بقا سى لحظة حين انفرادى
 انفرادى لي ضلال وتلافينا رشادى
 يا حبيبي يا حبيبي أنت سقى وطبيبي
 قالت الأنجم لَمَّا شعرت من حرِّ ما بي
 إنما الحب عذاب دونه كلَّ العذاب
 قد سكنا مطمئنا ت على رغم انجذاب
 لو عرفنا الحب تدقانا على حال اضطراب
 يا حبيبي يا حبيبي جئن بالقول العجيب
 ياذوات النور ما قو لك هذا بسداد
 إن يكن هذا عذاباً فهو عذاب في فؤادى
 فيك نار ثم لا حسب احمدي مثل الرماد !
 اخلعي ثوب بياض والبسى ثوب سواد

اتركي الحب بنا ينزل في مغنى رحيب
 قربن فاك خليلي ماؤه كالسلسبيل
 لشفائي وحياتي اسقني غير القليل

وكآين من عليل
 ماله في الروح - لولا الـ
 يا حبيبي يا حبيبي
 لأرى ما قيل في من
 وشهداً في حروب الـ
 من نعم في جنان
 لكالم الحسن في بد
 يا حياتي يا خلودي
 وكآين من قتيل
 حب أحياء - من سبيل
 أحيى عما قريب
 مات صديقاً ومؤمن
 حب لا في القتل مؤقن
 لشهيد (البدن) كامن
 رى ذقت القتل ساكن
 في مآي المستطاب

٨ - قصيدة يا دهر للوزير الجندي :

يا دهر مالك تبتغي إجحافى
 وأراك تبعث لى بعوث وساوس
 ومتى رجوتك أن تساعدنى على
 وتسومنى ما لست أقدر حملة
 أبغى الوقوف على مكان مسرة
 إن شمت برقاً أرتهجى منه الروى
 أتعبتنى وغدرتنى غدرت لى
 ونفرت عنى إذ ركنت وجئت لى
 أوردتنى كدر المياه وعفتنى
 وأراك تسمو بالأرازل فى العلا
 رفه على فإن ظهرى لا يقوى
 أنضيت نضوى فى مهامه لا أرى
 وتحاول التدبير فى إتلافى
 لترعنى وتريد فى إرجافى
 ما رمته أعرضت عن إسعافى
 ويكاد يغلب ثقله أكتافى
 وتريد أنت على الأسى إيقافى
 صارت جهاماً لم يكن بالكافى
 ووعدتنى فرغبت فى إخلافى
 وسط الضحى من بعد ظل ضافى
 فى وقت ظمئى عن ورود الصافى
 وتدوسنى بالرجل والأخفافى
 م لحمل ثقلك لا ولا أعطافى
 فيها سوى القيعان فى الأطرافى

أشكو إلى المولى وأسأل لطفه
يا ربنا أشكو إليك جميع ما
يا حي يا قيوم يا من جوده
أدرك عبيدك قد تورط واكفه
أدركه ربي بالنبي محمد
فعليه صل وسلمن بالانتها
وعلى الصحابة كلهم مع آله
أعطيني قبل السؤال فكيف لا
أنت الذى وعد الإجابة إن دعا
ثم الصلاة مع السلام على الذى
ومدحته فى آى ذكرك معلناً
وعلى صحابته الكرام وآله

لى دائماً هو مالك الألطاف
أنا فيه من جور الزمان الجافى
للقانعين على السوى والعافى
مما يزاول من أسى يا كافى
خير البرية ناعل أو حافى
ما نيل فضل الله بالأضعاف
فبجاههم أرجوك فى إسعافى
أرجو عطاءك فى أوان دعائى
داع وأنت بكل وعد وافى
أوصفته فى سورة الأعراف
بعلوه فى النفس والأوصاف
ما جاء يسر للفقير العافى

٩ - قال القاضى أبو بكر محمود غمى وهو يحن إلى وطنه حين كان يبخت الرضا

بالسودان :

بكيت لدمع العين منى تدفق
تطول الليالى وهى سجن وزهرها
أناغمها مستأنساً بابتسامها
أزودها نظر الوداع إذا هوت
فهل علم المحبوب بؤسى لبعده
بذكرى لأولادى الكرام يهزى
أقول أيا سرب القطا من يعيرنى

تساورنى الأحزان ليلا فأعرق
تبطئ سيراً فى الدجا تتألق
كما ابتسمت أم البنين تحقد
ومرت على من كنت أهوى وأعشق
وهل كان فيما نالى يترقق
إليهم حنين والنهى تنفرد
جناحاً إلى من طيبهم أنتشق

وما مسنا ضر نطوف ونفرق
على حسد طيارة تتشقق
ومخطر أهل السلم إذ تتحلق
نجوم وفيها النار تذكو وتحرق
لكيلا يفوت الخطر إذ تنفق
وما الروح إلا حائر ليس ينطق
لما اشتهرت منى العلا والتفوق
رمتني إلى بخت الرضا أتشقق
من الناس تجار أتوا وتسوقوا
إليه يخلص النفس إذ يتشقق
يسر بما قد سرهم وبحق
بعيد ولا يدري إليه نصفق
شخصاً ونزوى منهم ونحقق
بما تركوا أرواحنا عوض تعق
يقول أناس ارتشوا « بهم ثقوا »
بدا زائل والنوم بالكد يسبق
من الكأس يسلى الهم والحزن يسحق
لمن ضعفت منه القوى يتعلق
مزارعها الصيني ليس يصعق
يرون به أن التجارة تنفق
وأزرى يعرف المسك حين يدقق
على مهله في عمله مترقق

وكنا وما ندرى الفراق ولوعه
سبتني وطارت بي تفرق بيننا
مطية إبليس اللعين وأهله
تطير وتمشي في الهواء بأرضها
وما راكب إلا يشد بجملها
فجالت على الآفاق تحمل جثتي
ولما رأته أألا محل يسلق
تدلت إلى الصحراء من سوء كيدها
مدينة ناموس ، وسكان ربعاها
وكل له شأن يسدد وجهه
يخاطب قوماً لم يكن قد رآهم
وأكثرهم ماتوا ، ومن عاش منهم
فغابوا وما زلنا نرى من خيالهم
مضوا واستراحوا بالممات وعبدوا
إذا ما فررنا بالسامة منهم
فصبر جميل يآذه النفس كلما
فقى عللى منك الدماء بما حلا
من الشاي فيه البر إن شئت والشفاء
وأوراقه من خير شجر أعدها
وجاء به التجار من بعد أرضه
وضمت له النعناع ينفع طيبه
وصنى غلام مائه بعد غليه

تراه من الإبريق ينصب ماؤه
قواريره من فضة فوق مقعد
إذا هدأت كأس به خلت أنه
ويجذب إنسان العيون إذا هوت
فإن شئت فاشرب منه تلتذ ثم خذ
كما سال بعد الذوب في الطست زئبق
كساه كساء بالرسوم منمنق
وصفرته ماء اللجين يرفرق
بملعقة كف الغلام وتقلق
نشاطك تشتد القوى ثم تصدق

الملحق الثالث : رسالة الوزير محمد البخارى

الرسالة التى أرسلها الوزير « محمد البخارى » إلى أهل العلم والتدبير ، إثر ما جرى بينه وبين الإنجليز من الصلح :

الحمد لله الملك الحكيم ، والقادر المنفرد بالإيجاد والإعدام ، والذى تعالى عن أن تضاف أحكامه إلى العلل ، جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد خير الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات أجمعين . أما بعد فهذه رسالة منى إلى كل من وقف عليها من أهل العلم والتدبير ، كتبها إليهم ليعلموا أنى ما فعلت هذا الأمر الذى فعلته مع النصارى ، اتباعاً لهُوى النفس ، لكن فعلته بإشارة علمائنا إليه . وذلك لما نزلنا فى مرونو اجتمع الناس عندى لأجل المشورة ، وشاور بعضهم بعضاً ، ولم يروا سبيلاً إلى الهجرة عن هذه الأرض ، لما فى الطريق من قلة المياه ، وعدمها أصلاً فى بعض الطرق ، وشدة الحرّ ، وكون النصارى نازلين فى جميع الطرق . فلما سمعت أن لا سبيل إلى الهجرة أمرت كل واحد منهم أن يفارقنى ويأخذ طريقه ، وأبوا على ذلك . فلما رأى علمائنا ذلك أشاروا لى إلى ذلك الأمر الذى فعلته مع النصارى . وقرءوا على كتاب شيخنا وإمامنا عثمان بن فودى رضى الله عنه . أما المحل الذى قرءوا على قوله : المسألة الرابعة فى بيان حكم موالات الكفار ، فأقول وبالله التوفيق : إن موالات الكفار على ثلاثة أقسام . القسم الأول : موالات هى كفر على الإجماع ، وهى مواصلة الكفار ومصادقتهم ومحببتهم لأجل أنهم كفار ، بغضاً لدين الإسلام ولمن جاء به . وعلى هذه الموالات معنى قوله تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء) . وقوله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) والقسم الثانى : موالات هى

معصية لا كفر على الإجماع . وهي مواصلة الكفار ليصيب الواصل ما في أيديهم من الأموال . وعلى هذه الموالات معنى قوله تعالى : (يأبى الذين آمنوا لا يتولوا قوماً غضب الله عليهم) . أى اليهود إذ قال المفسرون إنها نزلت في بعض المسلمين ، كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم . فتبين أن مجرد حب الكفار ومواصلتهم ليصيب الواصل ما في أيديهم من الأموال لا يكون كفراً ، بل هى معصية . قال « أبو يحيى زكريا الأنصارى » فى فتح الرحمان عند قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . إن قلت هذا يدل أن ود أهل الكتاب يكون كفراً وليس كذلك ، قلت إنما قال ذلك مبالغة فى اجتناب المخالف فى الدين ، أولأن الآية فى المنافقين ، وهم كفار ، انتهى . القسم الثالث : موالات هى جائرة على الإجماع وهى مواصلة الكفار وموالاتهم باللسان دون القلب ، خوفاً منهم . وعلى هذه الموالات معنى قوله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال « البيضاوى » عند تفسيره هذه الآية : هذا نهى عن موالات الكفار ظاهراً وباطناً فى الأوقات كلها إلا وقت الخوف ، فإن إظهار الموالات حينئذ جائز . قال « جلال الدين السيوطى » فى التكملة تفسيره فى بيان معنى هذه الآية ، إن تخافوهم ، فلکم موالاتهم دون القلب ، وهذا قبل عزة الإسلام . ويجرى فى بلد ليس قوياً فيها . انتهى . قلت أعوذ بالملك المعبود بحق من القسم الأول والثانى . فلما سمعت قراءتهم على كُتبت إلى كبير النصارى كتاباً وانتظرت جوابه فى « ديناوا » . فلما أتانى جوابه رُكبت وذهبت إلى « سكو » خائفاً من أن يتعرضوا لدينا ويصدونا عن الإسلام ، ويأمرونا باتباع دينهم . فلما خاطبتهم سمعت منهم كلاماً لا يميل إلى منع الصلاة التى هى أعظم العبادات ، ولا إلى منع صوم رمضان ، ولا إلى منع الزكاة ، ولا إلى منع حج البيت الحرام ، غير أنهم يظهرون القهر على المسلمين ، ويفتخرون عليهم بنيل الغلبة وشدة القوة ، ويأمرونهم بحمل الأشياء الثقيلة ، وبناء البيوت على أرجاء البلد . فلما اعتبرت بذلك منهم . فرحت وحمدت الله على ذلك وشكرته . وجلست فى

« سكتو » وعاملتهم . ثم بعد ذلك كله دخل في قلبي شيء . وهيج لي هوماً وحررت في أمرى . فلما رأيت ذلك بعثت الغلام عبد القادر إلى العلامة الفهامة الأخ « أحمد بن سعيد » ليسأله عن بيان حقيقة أمرنا هذا . فلما وصل إليه وناولته كتابي كتب إلي هذه الورقة وهي :

(بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا « محمد » وآله وصحبه . حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فمن الفقير إلى عفو مولاه أحمد بن سعيد رحمه الله إلى أخينا أمير المصالح وإلى النصائح الوزير محمد البخاري بن الحال أحمد رحمه الله . تحية وسلام عام ، ورضا وإكرام . أما بعد فلقد رأينا الكتاب فيما جرى به القدر علينا ، وعلى جميع أهل الإسلام . فالدنيا دار بلاء وامتحان . ولنا أسوة بما فعل الكفار بخليفة رسول الله ﷺ ، ببغداد وحرقتها وإتلافها ونبش قبور الأولياء ، وتزيق الأمة ، وقتل الخليفة ، حتى خلت الدنيا من الخليفة مدة . ولنا أسوة وتسليبة بالكافر القرمطي الذي سلطه الله على مكة بمجنوده يوم النحر وقتل المسلمين ، حتى امتلأ المسجد الحرام بالقتلى بين الركن والمقام ، وامتلاً بثر زمزم بالقتلى ، حتى أخذ الحجر الأسود وسار به . وكما جبر الله ذلك للمسلمين برد الحجر ، ورد الخلافة إليهم نرجو أن يجبر الله لنا هذا الأمر ويصلحه بقدرته وفضله . ثم إن فعلكم هذا هو عين الصواب ، والله أعلم . لأن بلادنا هذه بلاد إسلام . وإذا هاجرنا منها صارت بلد الكفر ، مع أن الهجرة الواجبة التي يقدمها الإنسان المسلم على كل شيء حتى على النفس هي الهجرة عن محل صده الكفار فيه عن قواعد الإسلام الخمس ، أو صيروه عبداً . وأما هؤلاء فلم يصدوا عن الدين ، وشعائر الإسلام قائمة في بلادنا . وغايتهم طلب الرأس في أمر الدنيا والبلاد . وأما الإسلام فلم يصدوا أحداً عنه من « فوت » إلى هنا . فالأفضل لكم أن تهادنوهم وتصالحوهم لأن المهادنة جائزة للإمام ونائبه ، إذا عجز المسلمون عن القتال كما في المختصر ، وقيدته بشروط ، ولكنه يترك جميع تلك الشروط . ويجوز

للمسلمين أن يدلّوهم مالا ، إذا تعين خوف استئصال الجماعة الإسلامية في تلك البلاد . والإمام الأعظم كما في شرح المختصر ، وفي ضياء الحكام للشيخ عبد الله عند ذكر المهادنة ، ويجوز كل ما منع للخوف المذكور هذا . وقال أبو عمران يستحب أن لا تزيد المدة على أربعة أشهر إلا للخوف والعجز عن القتال فتجوز مطلقاً . هذا وفي قصيدة الشيخ عثمان رحمه الله تعالى (باللغة الفلانية) :

وع بدعاك كفرني ولايا مكافرين فهماك آيا
يددمب غم علاوا النب ولايتن مكفر فهم صاحب
يددمب وندود وضرورة دن يد غيد فهم وبصيرا

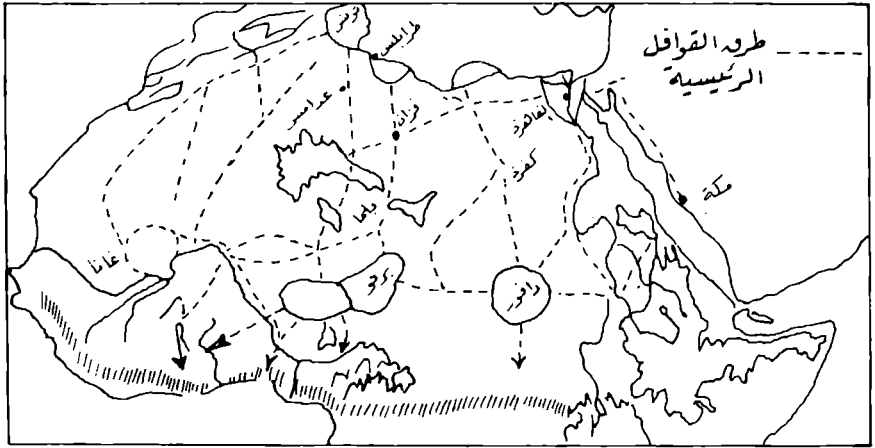
وهو عين ولايتنا معهم الآن ، نقيم باللسان والمعاملة في أمور الدنيا وحاشا أن نجهم في قلوبنا ، وأن نتبع دينهم ، وهو ما دلت عليه آية (إلا أن تقوا منهم نقاة) ، ويجزى ذلك في كل بلد ليس الإسلام فيه قوياً . هذا ، أما الموالاة التي بمعنى نصرهم ، أو الاستنصار بهم على مالا يجوز شرعاً كقتال المسلم ، وتخريب المسجد ، وغزو المسلمين ، فذلك كفر على فتوى « المغبلي » . وأما السكنى والمجالسة مع الكفار ، فليس بكفر إذا لم يكفر الساكن ، بل ذلك معصية اختياراً ، وأما اضطراراً فلا شيء فيه . وأما تأويلاً فهو أبعد من الإثم ، إما لهدايتهم أو لرجاء زيادة الإسلام وقوته ، كحالنا هذا . كيف تكون المساكنة كفرة إذا لم يكفر الساكن . ولقد سكن مع الكفار في بلدهم نحو مائة سنة قبل الشيخ وأخيه ، وبعد وجودهما نحو إحدى وخمسين سنة ، فلا يكفر أحد بتلك المجالسة ، وكونهم تحت حكم الكفار . وفي ذلك يقول الشيخ « عبد الله » إنا وإن كنا بأرض لم تكن للمسلمين . نقيم في الكفار لسنا نخالطهم بشيء . بل لهم دين ولنا دين النى المختار . هذا وإن إسلام بلدنا وكونه دار الإسلام ظاهر محقق ، فلنشغل بتدبير بقاء ذلك الإسلام في بلادنا ، حتى ترجع كل قرية إلى

محلها ومسجدها . وأما ما استدل به الأخ « عبد الله » في مهادنتنا معهم . ذهاب للإسلام . فليس كذلك . بل هو استنباطه . وتخمين ظنه . فعسى الله أن يقوى دينه بإذاهم عنا بقدرته . هذا قدر فهمى في هذه المسألة . كفاك فائدة بفهمك كما قال شيخنا « عثمان » .

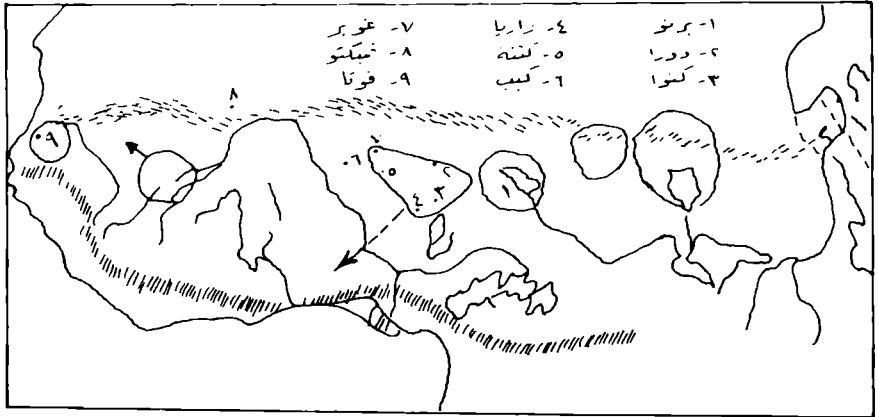
هذا . فاجتهد أيها الوزير مع أهل الحل والعقد . بتحسين النية في نصب هذا الإمام استبقاء للإسلام وأهله في هذه البلاد . وأنتم أعلم بما يكون صلحاً بينكم وبين النصارى في أمر الدنيا . لأنها مطلبهم فقط . وأما دينكم فواف كامل . ودين الرعية تبع دينكم . فأصلحوا أمرنا بإخلاص التوبة والنصح لأمر المؤمنين الذين باعتم له . ولقد سمعنا أنه ذو دين . وافر العقل . غير متصلب في أموره . قابل للنصح . ذو حظ في العلم . فله الحمد على ذلك . الناس أكيس من أن يصطفوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان . هذا فاجتهدوا في تقوى الله . والعدل والتوكل عليه . وأعى أولى الأرحام والإحسان إليهم . ونرجو من الله أن يعافينا . ويجبر لنا أمرنا . كما جبر لأسلافنا حين ابتلاهم فصبروا وتابوا . رزقنا الله توبة نصوحاً . هذا . قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله » . أى الساعة . جعلنا الله منهم والسلام . انتهى فلما قرأت كتابه . وفهمت خطابه . امتلأت فرحاً وسروراً وشكرت الله على ذلك . ثم أتاني الغلام « عبد القادر » بشرح المختصر وقرأته وازداد سرورى . وحمدت الله وشكرته . هذا . ثم اعلموا يا إخوانى أن الدنيا دار بلاء وامتحان . واصبروا وتوكلوا ولا تستغربوا من وقوع شئ في الدنيا . لأنها دار أكدار . قال « ابن عطاء الله » رضى الله عنه في الحكم : « لا تستغرب من وقوع الأكدار . مادمت مقيماً بهذه الدار . فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها . وواجب نعتها . » ثم اعلموا أنها حقيرة فانية ذاهبة . فاجتهدوا في طلب الزاد إلى المعاد . قبل حلول الأجل . ودخول القبر . وسؤال الملكين . اللهم يا حكيم . يا رحيم . يا على .

يامن هو بكل شيء عليم . نجنا من شر أنفسنا . وارزقنا توبة نصوحاً . وسلمنا ونجنا
من مصائب هذا الزمان النكد والصعب وحل بيننا وبين إبليس اللعين . ونجنا منه بجاه
سيد المرسلين وإمام المتقين « محمد ﷺ » . وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات
وسلم .

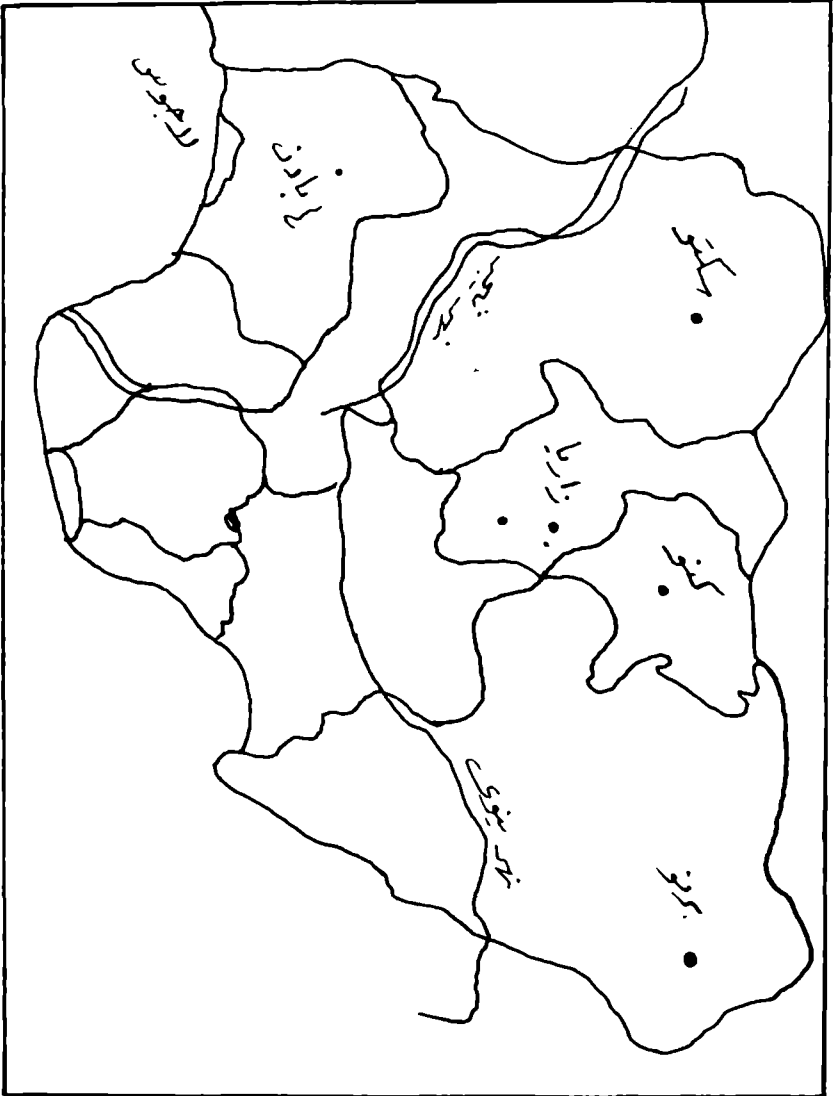
الملحق الرابع : خريطة توضح مواقع البلاد المشهورة في نيجيريا



ولايات الهوسا في القرن السابع عشر إلى الثاني عشر



نيجيريا حالياً



المراجع العربية

أولا : المخطوطات

أبوبكر محمود غمى (قاضى القضاة) :
ديوان أبى بكر غمى .

آدم بن محمد الفندقى :
كتاب الإعلان بتاريخ كنو .

الجنيد بن محمد البخارى (الوزير) :
ضبط الملتقطات .

عرف الريحان فى التبرك بذكر الشيخ عثمان .
إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو .
ديوان قصائد الوزير .

إتحاف الحاضر بمرأى المسافر .
تفريح النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
تعليق وجيز .

روائح الأزهار من روض الجنان .
متحف الإخوان لما أتى فى الكشف والبيان .
تحفة الإخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من كرامات .

تجديد ذكر السادات .

تجديد ذكر الشيخ .

نسق كتاب سعد على حروف أبجد .

تأنيس الأحياء .

نيل الامرام .

إسعاف الزائرين .

التحفة السنية .

قلائد العقيان

تسلية القلوب .

مجموع الدعوات والتوسلات .

تنبيهات أمير المؤمنين محمد بللو .

عثمان بن محمد فودي (الشيخ) :

تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان .

بيان وجوب الهجرة على العباد ووجوب غضب الإمام وإقامة الجهاد .

تعليم الإخوان بالأموال التي كفرنا بها ملوك السودان .

نور الألباب .

الفرق بين ولايات أهل الإسلام وبين ولايات أهل الكفر .

تنبيه الحكام .

نصيحة أهل الزمان .

عبد الله بن محمد فودي (الشيخ) :

الحصن الرصين .

البحر المحيط

ضياء السنة

ضياء الحكام فيما لهم وعليهم .

عبد القادر بن عثمان :

الأنيس المفيد .

عبد القادر مشطو بن محمد البخارى (الوزير) :

تبشير الإخوان في ذكر دولة الشيخ عثمان .

قصيدة التوحيد .

تهنئة السلطان الحسن .

على أبو بكر (الدكتور) :

الثقافة العربية في نيجيريا .

عمر إبراهيم (القاضي) :

حديقة الأزهار .

عمر بن أبى بكر بن عثمان الكنوى :

السرحة الوريقة في علم الوثيقة .

محمد بللو بن الشيخ عثمان (السلطان) :

مرثية عمه عبد الله .

سرد الكلام .

شرح القصيدة الطائية البدماصية .

تخميس بانة سعاد .

رسالة إلى جماعة المسلمين .

رسالة إلى محمد المختار .

محمد البخارى (الوزير) :
رسالة الوزير إلى أهل العلم والتدبير .
محمد حماسة عبد اللطيف :
الضرورة الشعرية فى النحو العرفى .
(رسالة ماجستير بكلية دار العلوم)

ثانيا : الكتب المطبوعة

إبراهيم أنيس (الدكتور) :
الأصوات اللغوية ، مطبعة نهضة مصر (بدون تاريخ) .
أحمد هيكل (الدكتور) :
تطور الأدب الحديث فى مصر - دار المعارف . (القاهرة سنة ١٩٥٨ م)
الأدب الأندلسى ، الطبعة الثالثة . دار المعارف . (القاهرة سنة ١٩٦٧ م) .
أحمد محمد الحوفى (الدكتور) :
الفكاهة فى الأدب ، أصولها وأنواعها ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة الجزء الأول
والثانى .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد :
العبر وديوان المبتدأ والخبر . الجزء السادس (بولاى ١٣٨٤) .
أحمد شلى (الدكتور) :
موسوعة التاريخ الإسلامى ، الجزء الرابع والسادس ، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة
المصرية ، (القاهرة ١٩٦٩ م) .
ابن بطوطة ، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله :

تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بولاق .

أحمد بابا التنبكى ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر :

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (القاهرة ١٣٣٩) .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي :

الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ١٩٦٦ ، (الجزء الأول) .

إبراهيم على طرخان (الدكتور) :

إمبراطورية غانة الإسلامية ، وزارة الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ .

دولة مالى الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

أبو بكر عتيق (الشيخ) :

مجموع أربع كتب ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٧٢ . ابن حوقل ،

أبو القاسم بن حوقل النصبي :

كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ببيروت .

البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز :

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، دى سلان ، باريس ١٩٦٥

ابن عذارى المراكشى :

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان

وَأ . لى بروفنتال ، دار الثقافة ببيروت (الجزء الأول) .

الجبرتي ، عبد الرحمن بن الحسن :

عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، بولاق (القاهرة) .

الملاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر :

البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

حسن إبراهيم حسن :

انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، الطبعة الثانية ، النهضة ١٩٦٤
حسن أحمد محمود :

قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧ .

السعدى ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر :

تاريخ السودان ، هوداس (باريس ١٩٦٤) .

الطاهر أحمد مكي (الدكتور) :

دراسة في مصادر الأدب . الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠
امرؤ القيس ، الطبعة الثانية . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٠ .

طه حسين (الدكتور) :

من حديث الشهر والنثر . الطبعة العاشرة . دار المعارف .

مستقبل الثقافة في مصر . الجزء الأول والثاني . القاهرة ١٩٣٨ .

عثمان بن محمد فودى :

إحياء السنة وإيجاد البدعة . (القاهرة ١٩٦٢) .

عبد الله بن محمد فودى :

تزيين الورقات . تحقيق هسكت . مطبعة إبادن (سنة ١٩٦٣) .

إيداع النسخ . نولا نيجيريا .

ضياء التأويل في معاني التنزيل . القاهرة ١٩٦١ .

عبد الرحمن أيوب (الدكتور) :

أصوات اللغة . الطبعة الثانية . مطبعة الكيلاني ١٩٦٨ .

عبد العزيز مطر (الدكتور) :

لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . وزارة الثقافة . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (سنة ١٩٦٧) .

عبد الحكيم حسان (الدكتور) :

التصوف في الشعر العربي . نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٥٤ .

القلقشندي ، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي :

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة .

القرزاز ، أبو عبد الله محمد جعفر التيمي :

ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة ، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور محمد مصطفى هدارة ، منشأة المعارف ، (الاسكندرية ١٩٧٣) .

القاضي الفع محمود كعب بن الحاج المتوكل كعب الكرمي التنبكي الوعكري :

تاريخ الفتن في أخبار البلدان والحجوش وأكابر الناس ، (هوداس) باريس ١٩٦٤ .

محمد بللو بن الشيخ عثمان :

إنفاق الميسور ، وتنغ ، لندن ١٩٥١ .

محمد عبد الفتاح إبراهيم :

أفريقية ، مكتبة الأنجلو المصرية

المقرئزى :

الخطط ، القاهرة ١٣٣٤ هـ .

الناصرى ، الشئخ أبو العباس أحمد بن خالد :

كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصرئ
ومحمد الناصرئ ، دار الكتاب ، الدار البضاء ١٩٥٤ (الجزء الثالث
والخامس) .

ثالثاً : المراجع الإنجليزية

- Adeleye, R.A., **Power and Diplomacy in Northern Nigeria**, London, 1971.
- Arnold, T.W. **The Preaching of Islam**, Lahore, 1968.
- Bovill, E.W., **The Golden Trade of the Moors** London, 1958.
- Bello, Sir Ahmadu Bello, **My Life**, Cambridge University Press, 1962.
- Bivar, A.D.H., Hiskett, M., **The Arabic Literature of Nigeria to 1804**, Bulletin School of Oriental and African Studies, 25, 1962.
- Arabic Documents of Northern Nigeria**, Bulletin School of Oriental and African Studies, 22, 1959.
- Burns, Sir Alan, **History of Nigeria**, George Allen and Unwin Ltd., 1963.
- Coleman, J. S., **Nigeria, Background to Nationalism**, California, 1958.
- Fage, J., **An Atlas of African History**, Cambridge, 1958. **An Introduction to the History of West Africa**, Cambridge, 1961.
- Fafunuwa, A. **Babs Over a Hundred Years of Higher Education for Nigerians**. Federal Ministry of Information, Lagos 1968.
- Graham, S.F. **Government and Mission Education** Ibadan 1966.
- Gwarzo, H. Ibrahim, **The Life and Teaching of Al-Maghili**, (unpublished thesis, London).
- Hillard, F.H., **A Short History of Education in British Edingburgh**, 1957.
- Hiskett, M., **Material relating to the State of learning among the Fulani before their jihad**, Bulletin School of Oriental and African studies, 19, 1957.
- Hogben, S.J. **The Muhammedan Emirates of Northern Nigeria**, Oxford 1930. (New edition with Kirk-Greene 60).
- Hodjkin, T.L. **Nigerian Perspectives**, Oxford 1960. **Investment in**

Education, Report of the Commission on Postschool certificate and Higher Education in Nigeria, Federal Ministry of Education Lagos 1964.

Kano Chronicle, Unknown author.

Lewis, L.J. Society, Schools and Progress in Nigeria Pergamon Press Ltd. 1965.

Last, M. The Sokoto Caliphate, London 1967.

Smith, Abdullahi, The early States of the central Sudan, History of West Africa, edited by Ajayi & Crowder, 1971.

Trimingham, J.S. A History of Islam in West Africa, Oxford 1962. Islami in West Africa, Oxford 1959.

Whittings, C.E.J. History of Sokoto, (trans) Kano, 1949.

THE DEVELOPMENT OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE IN NIGERIA IN THE 19TH AND 20TH CENTURIES

Attempt is made in this dissertation to survey and examine the “Development of Arabic Language and Literature in Nigeria in the Nineteenth and Twentieth centuries”. As a background to this study, the introduction of Islam and Arabic Language South of the Sahara is discussed in general outlines, in the introduction.

The thesis is divided into five chapters and a conclusion.

Chapter one deals with the role of Islam in spreading Arabic Language in Nigeria and the contribution of the Sokoto Caliphate in this respect.

In chapter two the growth of Arabic Language in Bornu and Hausa States is traced. Attention is particularly given to the development of Arabic learning during the Sokoto caliphate, when Arabic Scholarship flourished and Arabic language became the official language of the state. With the introduction of Western system of education during the colonial period, Arabic scholarship stagnated for a while, and only starts thriving again in recent years.

Chapter three and four deal with Arabic literature in Nigeria in the nineteenth and twentieth centuries respectively. A critical analysis of the literature both poetry and prose produced during this period is made. An attempt is also made to examine the characteristic of Arabic language in Nigeria in its calligraphy, pronunciation, use of the language as well as in the poetry.

Chapter five describes the position of Arabic language and literature in Universities and Higher Institution of learning in

Nigeria. This is followed by a discussion on scholarship to Arab countries and United Kingdom to study Arabic, and its contribution to the development of Arabic in modern Nigeria.

In conclusion some observations and suggestions on the ways and means of improving the standard of Arabic in Nigeria is offered.



١٩٨٢/٢٤٣٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٠١٩-٠	الترقيم الدولي

١/٨١/٣٠٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)